الزُّبدة في شرح البُردة

وإعرابها

للعلّامة اللغوي المحقق الشيخ

خالد بن عبد الله الأزهري

المتوفى سنة ٩٠٥ هـ

دراسة وتقديم

عادل عبد المنعم أبو العباس

دار الطلائع

خالد الأزهري ؛ خالد - عبدالله بن ابي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري - ١٤٣٤ - ١٤٩٩

الزبدة فى شرح البردة واعرابها / لخالد بن عبدالله الأزهري، دراسة وتقديم عادل عبد المنعم أبو العباس

القاهرة: دار الطلائع للنشرو التوزيع ، ٢٠٢٠.

١٦٠ص ؛ ٢٤سم

تدمك: ٤ ٩٠٢ ٢٧٧ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - الشعر الدينى - تاريخ ونقد.
٢ - المدائح النبوية.
أ - أبوالعباس - عادل عبدالمنعم (دراسة وتقديم)
ب - العنوان

٨١١,٠٦٢٠٠٩

رقم الإيداع: ٢٠٢٠/١٠٤٤٦

الترقيم الدولي: 978 - 977 - 277 - 902 - 4

تصميم الغلاف الفنان: زكريا عبدالعال

• جميع الحقوق محفوظة للناشر•

يحظر طبع أو نقل أو ترجمة أو اقتباس أي جزء من هذا الكتاب دون إذن كتابي سابق من الناشر، وأية استفسارات تطلب على عنوان الناشر.

٣٢ شارع أحمد فخـــري
- مدينة نصر - القاهرة
تليفون: ٢٣٥٤٦٣٩٢ (٢٠٢ +)
فاكس: ٢٣٥٤٦٣٩٣ (٢٠٢ +)

مقدِّمة

أحمدُ الله أن جعلني من أمة خاتم الرسُلِ والأنبياء، وشرفني بالعمل خادمًا في حقل دعوتهِ السامقة الغراء، منتظرا شفاعته صلوات الله وسلامه عليه يوم اللقاء، سائلا الله تعالى أن يمنح حضرته الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة يوم يقوم الناس لرب العالمين.. وبعد،،

فقد شرفَ الشعر العربي على مَرِّ العصور الخوالي بفن «المديح النبوي» الذي تسابق فيه الشعراء في بيان أوصاف النبي المصطفى وشمائله خَلْقًا وخُلُقًا فأجادوا وأبدعوا، وما زال هذا الفنُّ قائمًا إلى يومنا هذا، بل سيظل أبد الآبادِ ما دام في الكون إنسان يَدُبُّ على هذا الكوكب.

ومعلوم أنه لا يخطرُ «فن المديح» ببال أديب إلا ويستحضرُ تلك الرائعة الميمية التي سماها ناظمها بـ«الكواكب الدرية في مدح خير البرية» والتي اشتهرت باسم «البردة» أو «بردة البوصيري»، والتى حاكَى فيها قصيدة «بَانَت سُعَادُ» لـ«كعب بن زهير» التي مدح فيها سيد المرسلين ﷺ فكساهُ «بردته».

وقد حاول الشعراء في العصور السابقة وإلى يوم الناس هذا أن يلحقوا بصاحب البردة أو أن يوقفوا شهرتها فلم يستطيعوا.

فقد طبعت في جميع الأقطار الإسلامية دون استثناء، حتى إنك لا تجد مكتبة عامة أو خاصة إلا وفيها نسخ من هذه القصيدة، بل إن الناس كانوا يتدار سونها في البيوت والمساجد ودور العلم.

يقول أحمد زكي باشا -رحمه الله: «طالما عارض الناس بردة البوصيري في القديم والحديث بمئات ومئات من المنظومات، لكن الصِّيت بقي لهذه البردة وحدها، حتى إن شوقي أمير شعراء عصره لم يستطع أن يزحزحها، وإن نالت قصيدته شرفًا واسمًا..

البوصيري وبردته:

البوصيري: هو محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله بن صنهاج، كان أحد أبويه من (أبو صير) والآخر من (دلاص) من قرى بني سويف، فركبت له منهما نسبه، وقيل: (الدلاصيري) لكنه اشتهر بالبوصيري، وكان يعاني صناعة الكتابة والتصرف، ويباشر الشرقية ببلبيس، ودرس العلوم الدينية، وشيئا من النحو والصرف والعروض والسيرة النبوية، ودرس التصوف وآدابه، والبوصيري شاعر مصري ظريف من شعراء القرن السابع الهجرى، تجري في شعره النكت المستملحة، وله في شكوى حاله والتذمر من الموظفين قصائد لا تخلو من ذكاء، وفي شعره وصف للحالة الاجتماعية في عصره، وأحسبه من الصادقين، فهو يذكر أن الموظفين كانوا يسرقون الغلال، وأنهم لولا ذلك ما لبسوا الحرير، ولا شربوا الخمور، وأن من الكُتاب طائفة تنسَّكت وعدت من الزهاد مع أنها تملأ بطونها بالسُحت، وتأكل مال الأيتام، ويذكر أن القضاة خانوا الأمانة، وبرروا خيانتهم بتأويل القرآن والحديث.

والمُطلع على «ديوان البوصيري» يلحظ دوره الثقافي والاجتماعي والأدبي في العصر الذي عاش فيه لكنه لم ينل الحظوة الكبرى، إلا بعد نظمه لقصيدة «البردة» والتي نال بها شرف المديح لسيدنا رسول الله ﷺ،ونالت هي شهرة لا مثيل لها في عصور متتالية وإلى يوم الناس هذا مما يدعونا أن نقف وقفة موجزة للحديث عن عناصرها وتأثيرها في التأليف الذي يظهر في الشروح الكثيرة عليها.

عناصر البردة:

1 - قصيدة البردة من القصائد الطوال، وأغلب الظن أن البوصيري استأنس عند نظمها بميمية (ابن الفارض). ودليل ذلك تشابه المَطلعين، فإن مطلع قصيدة ابن الفارض[1]:

هَـلْ نَـارُ ليلَـى لَيْـلًا بـذِي سَـلَمِ أَمْ بَـارِقٌ لاحَ فـي الـزّوراءِ فَالْعَلَـمِ

(1) انظر المدائح النبوية د/ زكي مبارك [ص 196].

أَرْوَاحُ نُعْمَـان هـلّا نَسْـمَة سَـحَرا وَمَـاءُ وَجْـرَة هـلّا نَهْلَـةً بِفَـمِ

ومطلع قصيدة البوصيري:

أَمِـنْ تَذكّـر جِيـرانٍ بـذِي سَـلَمِ مَزَجْـتَ دَمْعًـا جَـرَى مِـنْ مُقْلَـةٍ بِـدَمِ

أَمْ هبّـتِ الرّيـحُ مِـنْ تِلقـاءِ كَاظِمَـةٍ وَأَوْمـضَ البـرقُ فـي الظّلماءِ مـن إِضَمِ

فذا سلم، وهبوب الريح، وإيماض البرق: مما اشترك فيه الشاعران مع وحدة الوزن والقافية، يضاف إلى ذلك أن ابن الفارض قال:

يَـا لَائِمَـا لَامَنِـي فـي حُبّهـم سَـفَهًا كُـفّ المـلامَ فَلَـوْ أَحْببـتَ لَـمْ تلُـمِ

فتابعه البوصيري فقال:

يَا لَائِمِي فِي الهَوَى العـذري مَعْـذِرةً مِنِـي إليـكَ ولـوْ أَنْصَفْـتَ لَـمْ تلُـمِ

كما تابع شوقي البوصيري حين قال:

يَـا لَائِمِـي فـي هَـواهُ والهَـوَى قَـدَرٌ لَـوْ مَسَّـكَ الشـوقُ لَـمْ تَعْـذِلْ وَلَـمْ تَلُمِ

وقال ابن الفارض:

طَوْعًـا لقـاضٍ أَتَـى فـي حُكْمِـهِ عَجَبًـا أَفْتَـى بِسَـفْكِ دَمِـي فـي الحِـلّ والحَرَمِ

أَصَـمُّ لَـمْ يَسْـمعِ الشَّـكْوَى وَأَبْكَـمُ لَـمْ يَحِـرْ جَوَابًـا وَعَـنْ حَالِ المَشُـوقِ عَمِي

فدار البوصيري حول هذا المعنى إذ قال:

عَدَتْـكَ حَالِـي لَا سِـرّي بِمُسْـتَتِرٍ عَـنِ الوشَـاةِ ولَا دَائِـي بِمُنْحَسِـمِ

مَحَضْتَنِي النصْحَ لكن لستُ أَسْمَعُهُ إِنَّ المُحِـبَّ عـن العُـذَّالِ فِـي صَمِمِ

2 - وتشتمل البردة على عدة عناصر:

1 - ففي صدرها النسيب.

2 - ويليه التحذير من هوى النفس.

3 - ثم مدح الرسول.
4 - والكلام عن مولده ومعجزاته.
5 - ثم القرآن.
6 - فالإسراء والمعراج.
7 - والجهاد.
8 - ثم التوسل والمناجاة.

المتشددون والبوصيري:

عادَى بعض الناس في عصرنا هذا الإمام «البوصيري»، ووصلَ الأمر ببعضهم فاتهموه بالكفر وأخرجوه من الملة مدَّعين أن في بعض أبيات «البردة» غلوًّا في رسول الله ﷺ حيث إنه توسَّل به، واستغاث بغير الله، وسؤال المخلوقين، وأمور أخرى اختلف فيها أهل السُّنة بين مانع ومجيز بما لا يقتضي مطلقا الحكم على عقائد الناس وتكفيرهم وإخراجهم من حظيرة الإسلام والعياذ بالله.

فالعقلاء قالوا: نحن وإن اختلفنا مع «البوصيري» في بعض أبيات فيها توسُّل مختلف في مشروعيته، إلا أننا نتعامل مع نص شعري عملاق وأبيات تطربُ لها الأسماع، وتهتز لها المشاعر والقلوب، ونص أدبي فنّي رفيع، يستحيلُ أن يكون ناظمهُ بعيدًا عن رحاب الله، بل هو محبٌّ والِهٌ، وصاحب عقيدة سليمة، فقلبه بتوحيد الله عامر، وبمحبة سيد المرسلين جياش. ألا فليصمت المتشددون!!.

رد على الدكتور زكي مبارك:

لم يبق لنا إلا أن نرد على الدكتور زكي مبارك، وهو أحد الذين أجادوا في الحديث عن «فن المديح النبوي» وكانت له فيه دراسات وأبحاث تذكر له فيشكر، إلا أنه عندما تحدث عن «البوصيري وبردته» اتهمه بالسذاجة، وكذلك أولئك الذين يتبركون بقراءة بردته، معلنا عن آراء مادية يقتنع بها الدكتور زكي مبارك، فهو يقرأ كلام «البوصيري» في السبب الذي دفعه إلى إنشاء البردة، وأنه أصيب بالفالج وأن النبي ﷺ ألقى عليه بردته فكان الشفاء. ويعلق قائلا:

«وفي هذه القطعة دلالة على عقلية البوصيري، فهو رجل فيه طيبة وسذاجة، وكأكثر

الصوفية، فليس من المعقول أن يبرأ مريض من مرضه لآية يتلوها، أو قصيدة ينشدها، كما يرى البوصيري بقصيدته، ولو مرض مفتي الديار المصرية - لا سمح الله - ما استغنى بالبردة عن الطبيب».

ويرد الدكتور إبراهيم عوضين على زكي مبارك قائلا:

وصدور مثل هذا الكلام من مثل الدكتور ليس مفاجأة ولا مثيرًا للدهشة؛ لأن الدكتور كان يعيش تحت تأثير أفيون العقل والعقليين، الذين هزتهم الكشوف العلمية الحديثة، ورأوا أن دور العقل فيها، يؤهله للتأليه والخضوع له في كل ما يعن، والرجوع إليه في كل أمر، فما قبله سلموا به، وما رفضه رفضوه.. وغفلوا عن أن الإنسان ليس بالعقل وحده يكشف، ولا به وحده يعيش، ولكنه وسيلة من وسائل منحها الله الخالق للإنسان كي يستعين بها على أداء وظيفة الخلافة في الأرض.

ولو أن الدكتور ومَنْ على شاكلته رجعوا في ذلك إلى كبار الأطباء المختصين لسمعوا منهم - في مجال العلاج والتطبب- ما لايخطر على البال من معجزات تلفت الأنظار إلى أن العقل ليس كل شيء.

بل لو أنهم رجعوا بأنفسهم بضع عشرات من السنين، وسمعوا من يقول لهم إن هناك جهازًا مصنوعًا ينقل صوت المتكلم وصورته من أقصى الأرض إلى أقصاها، لسارعوا بإنكار ذلك، متعللين بالعلة نفسها: «ليس من المعقول حدوث مثل ذلك».

وأما ما ساقه على سبيل التهكم والسخرية، من أن مفتي الديار لا يستطيع أن يستغني بالبردة عن الطبيب؛ فهو إن دل على شيء، فإنما يدل على سذاجة الدكتور نفسه - لا على سذاجة البوصيري - وعلى مدى خضوعه لسلطان المادة الذي يعمي عن الحقيقة.

فما قال أحد باستغناء مريض بالبردة عن الطبيب، ولا قال أحد بأن مفتي الديار المصرية أقرب الناس إلى الله بحكم وظيفته؛ فقد تكون وظيفته تلك سببًا في بعده عن الله، كما قد تكون سببًا في قربه من الله!

فإذا كان عقل الدكتور يقرر أن القلم في يده يفعل ما لا يفعله القلم نفسه في يد رجل أمي، فكيف يغيب عنه أن الدعاء من فم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يفعل ما لا يفعله الدعاء من فم زكي مبارك؟!

وليت الدكتور وقف عند ذلك الحد في تهكمه على البوصيري.

لقد استسلم الدكتور لنزوات عقله فأنحى باللوم على البوصيري لذكره كلمة(ﷺ) كلما ذكر اسم الرسول ﷺ، حتى كررها في الفقرة التي نقلها عنه الدكتور خمس مرات. ورأى أن هذا التكرار من وساوس المتأخرين، ولا أدري بأي عقل سوغ تلك الرؤية، وكان يكفيه أن يتذكر قول الحكيم العليم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:56]. حتى يعرف أن المؤمنين مأمورون بذلك على إطلاقه، وليس في موقف دون موقف، ولا في حالة دون حالة!

ولو أن الدكتور وأمثاله استغلوا عقولهم في النظر الشامل.. إذن لرأوا ما بين طيات الماضي من وقائع تكشف عن أثر الغرور في الإنسان، وكيف أوصله إلى البطر والطغيان، فلم يفق إلا بعد فوات الأوان؟!

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: 6، 7]، ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٢٢ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: 22، 23].

شروح البردة:

من يوم أن نظم «البوصيري» بردته، كان لها الحظ والتوفيق في المعارضة والتشطير والتخميس والتسبيع، فقام الأعلام من الشعراء على محاكاتها، والأعلام والبلغاء على شرحها وإعرابها، واستخراج ما فيها من دُرر بلاغية وأدع الكلام عن شرَّاحها لصاحب «كشف الظنون».

قال العلامة حاجي خليفة في «كشف الظنون». باب القاف:

قصيدة البردة، الموسومة: (بالكواكب الدرية، في مدح خير البرية).

الشهيرة: (بالبردة الميمية) للشيخ، شرف الدين أبي عبد الله: محمد بن سعيد الدلاصي ثم البوصيري. المتوفى: سنة 649 هجرية. لما أراد براعة المطلع، جرد من نفسه شخصًا، مزج دمعه بدمه، فسأله عن علة ذلك، فقال مخاطبًا له:

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمٍ ... مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

وهي: مائة واثنان وستون بيتًا:

منها: اثنا عشر في المطلع.

وثلاثون: في مدائح الرسول ﷺ.

وعشرة: في يمن دعائه.

وثلاثة عشر: في ذكر معراجه.

وأربعة عشر: في الاستغفار.

وستة عشر: في ذكر النفس، وهواها.

وتسعة عشر: في مولده.

وسبعة عشر: في مدح القرآن.

واثنان وعشرون: في جهاده.

وتسعة: في المناجاة.

وعليها شروح كثيرة، منها:

(شرح): للشيخ: علي بن محمد البسطامي الشاهرودي المعروف: بـ«مصنفك»، المتوفى: سنة 875 هجرية. خمس وسبعين وثمانمائة. أوله (الحمد لله الذي جعل مقادير العلماء... إلخ). قال في آخره: تم بقصبة بسطام، لثماني عشرة مضين من رمضان، سنة 836، ست وثلاثين وثمانمائة. وكان الافتتاح فيه: بجامع هراة، في جمادى الأولى، سنة 835، خمس وثلاثين وثمانمائة..

وشرحها: الشيخ، بدر الدين: محمد بن محمد الغزي. وسماه: (الزبدة). وتوفي: سنة 984، أربع وثمانين وتسعمائة.

والشيخ محيي الدين: محمد بن مصطفى، المعروف. شيخ زاده. المتوفى: سنة 951. أوله: (الحمد لله المحتجب عن درك العيون بكمال فردانيته... إلخ).

وشرحها: الشيخ، القاضي: بحر بن رئيس بن الهاروني المالكي. شرحًا أوله: (الحمد لله كاشف الكروب والآلام.. إلخ). وسماه: (ارتشاف الشهدة، في شرح قصيدة البردة). قال مؤلفه: إنني قدمت في الأبيات، وأخَّرت لأجل الشرح، ولم يكن أحد تقدَّمني بمثل هذا الشرح، إلا من احتوى على كتب كثيرة، وعلوم جمة غزيرة.

وشرحها المولى: عبيد الله (محمد) بن يعقوب الفناري (صاري). المتوفى: سنة 936 هجرية، ست وثلاثين وتسعمائة، معزولًا عن قضاء حلب. قال صاحب (الشقائق): وهو من أحسن شروحها.

وشرف الدين: علي اليزدي: المتوفى: سنة 828، ثمان وعشرين وثمانمائة.

وشمس الدين، أبو عبد الله: محمد بن عبد الرحمن الزمردي، الشهير: بابن الصائغ. المتوفى: سنة 776 هجرية. أوله: (أما بعد، حمدًا لله الذي من حمده مدح أنبيائه.. إلخ).

وكمال الدين: حسين الخوارزمي: المتوفى: في حدود سنة 840 هجرية.

وجمال الدين: عبد الله بن يوسف، المعروف بابن هشام النحوي. المتوفى: سنة 761.

والشيخ زين الدين: خالد بن عبد الله الأزهري. فرغ من تأليفها: في رجب، سنة 903 هجرية. شرحها أولا: شرحا مفصلا. سماه: (الزبدة، في شرح قصيدة البردة). أوله: (أما بعد، حمدًا لله مستحق التحميد... إلخ). ثم اختصره. وهو الذي بين يديك.

وجلال الدين: محمد بن أحمد المحلي، الشافعي. المتوفى: سنة 864 هجرية. وهو: شرح مختصر، أيضًا.

وشرحها: أحمد بن محمد بن أبي بكر. لعله: المرعشي. اقتصر على: حل ألفاظها. وأتمه في: المحرم، سنة 797، سبع وتسعين وسبعمائة. ثم شرحها. شرحًا مبسوطا. في: شعبان، سنة 809، تسع وثمانمائة. وسماه: (نزهة الطالبين، وتحفة الراغبين).

وشرحها: خير الدين: خضر بن عمر العطوفي. المتوفى: سنة 948هـ، ثمان وأربعين وتسعمائة.

وزين الدين، أبو العز (أبو المظفر) ظاهر بن حسن، المعروف: بابن حبيب الحلي المتوفى: سنة 808 هجرية. وسماه. (وشي البردة). وخمَّسها.

وشرحها: أبو عبد الله: محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني. وهو شرح عظيم. سماه: (بالاستيعاب، لما فيها من البيان والإعراب). وله: (شرح آخر). سماه: (إظهار صدق المودة، في شرح قصيدة البردة). أوله: (الحمد لله الذي خلع على حبيبه محمد بردة عنايته السابقة الكبر... إلخ). وهو: شرح عظيم. وتوفي: سنة 781 هجرية.

وشرحها: أحمد بن مصطفى، الشهير: بلالي. شرحًا بالعربي. ثم شرحها: بالتركي ثانيا. وأتمه في: سنة 1001 من الهجرة. وأول الشرح التركي: (الحمد لمن جعل النظم لحسن الكلام... إلخ).

وخمَّسها أيضا جماعة، منهم: سليمان بن علي القراماني. المتوفى: سنة 924 هجرية وعارضها: بأخرى.

ومحمد نبادكاني بن صافي. المتوفى: في حدود سنة 900 هجرية.

وأبو الفضل: أحمد بن أبي بكر المرعشي. المتوفى: سنة 872 هجرية.

وعبد الله بن محمود، المعروف: بكجوك محمود زاده. المتوفى: سنة 1042 هجرية.

ويوسف بن موسى الجذامي. المتوفي: سنة 767 هجرية.

وأسعد بن سعد الدين المفتى، من آل حسن جان، المشهور المتوفى: سنة 1034 هجرية.

ويحيى بن زكريا المفتي.

ومن شروحها: (صدق المودة).

وخمَّسها: الشيخ، شمس الدين: محمد بن خليل المقري، الحلبي، المعروف:

بابن القباقبي. المتوفى: سنة 849 هجرية. سماه: (الكواكب الدرية، في مدح خير البرية). وشرحه: مصطفى بن بالي. والمولى: معروف، حال كونه قاضيا بمصر. وهو مختصر. تركي.

وشرحها: المولى: محمد، الشهير: بابن بدر الدين المنشي، الرومي، الحنفي، شيخ الحرم المحمدي. المتوفى: سنة1001 هجرية وسماه: (طراز البردة). وتاريخه: تم شرحي. أوله (أفصح ما أفصح عنه بلابل البلاغة..) وفرغ من كتابته: سنة 958 هجرية. قال:

ولما تم ما أملأت بالشام أتى تاريخ رشحي: تم شرحي

سنة 958 هجرية.

والشيخ، رضي الدين: يوسف بن أبي اللطف القدسي، الشافعي. المتوفى: بعد الألف، في مجلد. أطال فيه، وأطب.

أوله: (الحمد لله الذي أرسل محمدا رحمة... إلخ).

وبدر الدين: محمد بن بهادر الزركشي. المتوفى: سنة 794 هجرية.

وعبيد الله بن محمد بن يعقوب. وسماه: (إغاثة اللهفان).

وشرحها: شمس الدين، أبو عبد الله: محمد بن حسن القدسي، البرموني.

أوله: (الحمد لله الذي أظهر من مكنون سره.. إلخ). وذكر فيه: أنه شرحه بمدينة قسطنطينية، بالزاوية البايزيدية. جمعه: من الشروح. سماه: (النبذة في طي العدة، لنشر معاني البردة). سنة: 990 هجرية.

ومن شروحها: شرح الشيخ: جلال الدين الخجندي، نزيل الحرم. المتوفى: سنة 803 هجرية. أوله: الحمد لله الذي أكرمنا بدين الإسلام... إلخ). وهو: شرح مختصر. جمعه: بعض تلامذته، من إملائه في الحرم النبوي.

وشرحها: العلامة، أبو شامة: عبد الرحمن بن إسماعيل القدسي، الشافعي، المقري،

النحوي، المؤرخ. المتوفى: سنة 665 هجرية. أوله: (سبحان من أخفى سبحات وجهه، بحجاب عجائب الأنوار... إلخ).

ومن شروحها: شرح أبي العباس: أحمد الأزدي، المعروف: بالقصار.

وحسن بن حسين التالشي. أوله: (الحمد لله المحمود الذي خلق نور محمد.. إلخ). ذكر فيه: أنه أنشأه بالقاهرة، للوزير: علي باشا.

وخمسها الشيخ، الأديب، ناصر الدين بن عبد الصمد، معيد المدرسة المالكية، بفيوم.

وشعبان بن محمد القرشي. وسماه: (آثار المعشوق) (آثار العشرة). أوله:

يـا قلـب قـد فـاض دمـع العيـن كالديـم

وخمسها: الإمام، شهاب الدين: أحمد بن محمد الحجازي. المتوفى: سنة 875 هـ.

وشرحها: الفاضل: مسعود بن محمود بن يحيى الحسيني. أوله: (الحمد لله نحمده ونستعينه... إلخ). ذكر فيه: بحر القصيدة، وعروضها. وسماه: (نزهة الطالبين، وتحفة الراغبين).

ومن شروحها: (نتايج الأفكار). ليحيى بن منصور بن يحيى الحسني. أوله: (أحمد الله ذا العظمة والسلطان.. إلخ).

وشرحها: الإمام، فخر الدين: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن محمد الشيرازي. شرحا بسيطا. أوله: (الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونؤمن به، ونتوكل عليه.... إلخ). ذكر فيه: أنه رواها عن شيوخه، منهم: صاحب: (القاموس). ثم شرحها، مع أبحاث كثيرة. في: شعبان، سنة 809هـ. بعد أن شرحها أولا، مقتصرا على حل ألفاظها. وشرح معانيها: في محرم، سنة 797هـ. مبنيا على: خمس قواعد: مبادئ، ومقاصد، وتراجم، وتقطيعات، وإعرابات. وسماه: (نزهة الطالبين، وتحفة الراغبين).

ومن شروحها: شرح: منسوب للفاضل: الحسن بن محمد بن الحسن الحنفي، النخعي. أوله: (إن أول ما ألويت إليه أعنة الأقلام في ديوان التحميد.. إلخ). ذكر فيه:

لغاتها، وإعرابها، ومعناها، مبسوطا، قال حاجي خليفة: ورأيت: نسخة منه، منسوخة: عام 1046هـ.

وشرحها: محمد بن منلا: أبو بكر بن محمد بن منلا: سليمان الكردي، السهراني، الحنفي، في: رمضان، سنة 1048هـ، بالجامع الأزهر. أوله: (الحمد لله الذي أوجد الموجودات من كتم العدم... إلخ). وسماه: (بالدرة المضية، في شرح الكواكب الدرية).

ومن شروحها الفارسية: شرح مزوج. أوله: (بدانك ناظم أين قصيدة ... إلخ). شرحه: سنة 920 هـ. وأول شرحه: (موزون ترين كلامي كه أركان بيت المعمور قصيدة.. إلخ) لغضنفر بن جعفر الحسيني.

وشرحها: عبيد الله بن محمد بن يعقوب. وسماه: (إغاثة اللهفان). وكان حيا: سنة 932 هجرية.

وشرحها: جلال بن قوام بن الحكم. أوله: (الحمد لله الذي علم بالقلم.. إلخ). قال: قد اطلعت على القصيدة الموسومة: (بالكواكب البدرية، في مناقب أشرف البرية). وتعرف: (بالبردة النبوية). التي نظمها: البوصيري، في: فضائل رسول الله ﷺ، وترشيح شيء من معجزاته الباهرة، وآثاره المرضية، يُتبرك ويُستشفى بها، أكثر مما يتبرك بها بسائر مدائحه ومعجزاته، لكرامة ظهرت على ناظمها منها. وأتمه في: جمادى الآخرة، سنة 792هـ.

ومن أحسن شروحها: شرح: نور الدين: علي القاري، المتوفى: سنة 1014هـ. ومن شروحها بالتركي: شرح مختصر. للشيخ: سعد الله الخلوتي.

ومن شروحها: شرح أوله: (حمدًا لله العلي العظيم... إلخ). وفرغ منه: سنة 882، اثنتين وثمانين وثمانمائة.

وشرح: الشيخ، شهاب الدين: أحمد بن محمد القسطلاني، شارح: (البخاري). المتوفى: سنة 923هـ. أوله: (الحمد لله الذي شرح بمدح نبينا محمد ﷺ قلوب أوليائه ... إلخ). وسماه: (مشارق الأنوار المضية، في شرح الكواكب الدرية).

ومن شروحها: شرح. أوله: (لك الحمد والشكر يا ذا النعم.. إلخ). ألفه صاحبه، للوزير: محمود باشا.

ومن شروحها بالتركية: شرح مبسوط ليحيى بن عبد الله الدفتري، المصري. أورد فيه: تخميسا تركيا، وعربيا، وترجمة للأبيات. ألفه: في عصر السلطان: أحمد خان. وذكر أنه: شرح (المفرجة) أيضا، بالتركية.

وتسبيعها: لجمال الدين: محمد بن الوفاء. أوله:

الله يعلم ما بالقلب من ألم... إلخ

وشرحها بعض المدنيين. بعد القراءة على الشيخ، عفيف الدين: عبد الله بن محمد بن أحمد بن خلف بن عيسى السعدي، المطري. في: محرم، سنة 760هـ، في الروضة. وأشار هو إليه: بتعليق حواش، كالشرح له.

وشرحها: القاضي: زكريا بن محمد الأنصاري. المتوفى: سنة 926 هـ. وهو: شرح ممزوج. مختصر. أوله: (الحمد لله الملك، الوهاب.. إلخ). سماه: (الزبدة الرائقة، في شرح البردة الفائقة). وفرغ في: صفر، سنة 928 هجرية.

وشرحها: عصام الدين إبراهيم بن عربشاه الأسفرايني المتوفى: 944 هـ. بالفارسية.

وممن خمسها: الشيخ، نجم الدين: محمد بن أحمد بن عبد الله القلقشندي، الشافعي. المتوفى: سنة 876هـ.

ومن شروحها: (طيب الحبيب، هدية إلى كل محب لبيب). لجلال الدين: أحمد بن محمد بن محمد الخجندي. ولد: سنة 719 وذكر: الحسين الواعظ، في (تحفة الصلوات) شرحًا لها. للإمام المدني.

كما توجد في دار الكتب شروح كثيرة لمجهولين مما يدل على أثرها في التأليف والتصنيف.

التعريف بالشيخ خالد الأزهري

هو الشيخ الإمام العلَّامة زيْنُ الدين خالد بن عبد الله بن محمد الجرجاوي النحوي الأزهري نسبة إلى الجامع الأزهر.

ولد رحمه الله سنة «838هـ» بمدينة جرجَا بصعيد مصر، ثم تحوَّل صغيرًا مع والده إلى القاهرة، وفيها قرأ القرآن، وتعلَّم شيئا من العربية، ثم انقطع عن العلم، واشتغل بالوِقادة في الأزهر الشريف. وإذا أرادَ الله لعبد من عباده الخير سبب له من الأسباب ما يدفعهُ إلى ما يريد، فعندما بلغ الشيخ خالد فوق الثلاثين من عمره، حدثت له حادثة يحكيها ابن العماد قائلا: «اشتغلَ بالعلم على كِبَر، قيل: كان عمرهُ سِتًّا وثلاثين سنةً، فسقطتْ مِنْهُ يومًا فتيلة على كُرَّاسِ أحَدِ الطلبَةِ فشتمهُ وعيَّرَهُ بالجَهْلِ، فترك الوقادَةَ، وأكبَّ على الطلب».

تحوَّل الشيخ خالد الأزهري إلى العلم بشتى فروعه بنهمٍ شديد من جرَّاء هذه الكلمات السالفة وهي تعييرهُ بالجهل، فأخذَ عن أعلام عَصْرِهِ في جُلِّ العلوم والفنون، حتى صار علمًا يشارُ إليهِ بالبنان وذاع صيتُه في مصر وسائر البلدان.

أتقنَ الشيخ خالد جُلَّ العلوم التي تلقاها عن أساتذته، بيد أنهُ آثر التفوق في النحو والصرف والتجويد، وأبدع في التأليف والتصنيف في هذه العلوم.

• ومن أهم مؤلَّفاته ما يلي:

1 - التصريح بمضمون التوضيح، وهو شرح على أوضح المسالك لابن هشام وقد مدح ابن المعلى الحلبي هذا الشرح بقولهِ:

إنمَـا التصريـحُ شـرْحٌ قصـرَ الشـرَّاحُ عنـهُ
قـدْ غـدَا منْهَـل عِلْـم كلهُـم يكْـرَعُ مِنْـهُ

2 - «الإعراب» لابن هشام.

3 - المقدمة الأزهرية وشرحها.

4 - شرح الآجرومية، وقد علقتُ عليه ودرستُهُ، وصدر عن دار الطلائع بالقاهرة.

5 - إعراب الآجرومية.
6 - النبيل إلى نحو التسهيل.
7 - إعراب كافية ابن الحاجب.
8 - شرح العوامل المائة النحوية، وقد صدر بتحقيقي عن دار الطلائع.
9 - شرح البردة وهو الكتاب الذي بين يديك.

وقد أثنى العلماء على خالد الأزهري، ومنحوه ما يستحق من الثناء. قال عنه العلامة الغزي: «إنه صَاحبُ المؤلَّفات المتقنةُ النافعةُ». وقال عنه ابن العماد: «أكبَّ الناسُ على علمه، وصنَّفَ شرحًا حافلا على «التوضيح» ما صُنِّفَ مثله، وكَثُرَ النفعُ بتصانيفه لإخلاصِه ووضوحها». تُوفي ببركة الحاج، بالقرب من «شبين القناطِر» خارج القاهرة. وهو راجعٌ من الحج سنة «905 هـ» ودفنَ بالقاهرة رحمه الله مقدار ما قدم للعلم وأهله، وأسكنه مساكِنَ الصالحين.

إعراب البردة

أفاد الشيخ خالد الأزهري في شرح البردة وإعرابها من علماء أجلاء سبقوه، فقد اطلعت على «إعراب البردة» لمؤلف مجهول، وقارنت بين ما جاء في شرح الأزهري وبينه، فرأيت نقل الأزهري منه حتى في الأوهام التي وقع فيها صاحب الأصل، والذي سمى مؤلفه «العمدة في إعراب البردة» مما يدل على تأثر الأزهري به بسبب التشابه النصيّ بينهما، وإليك بعض الأمثلة:

- في البيت الرابع يذهب معرب البردة (بين) منصوب على الظرفية ويقول الأزهري: منصوب على الظرفية المكانية.

ويقع الناسخ في الوهم حينما يقول: في البيت الخامس (وجملة لم ترق ومعوليها...) فالأصح (ومعولاها) وكذلك الأزهري.

- وفي البيت السادس نجد أن المعرب يعلق (كيف) وأيضا يذهب الأزهري إلى ذلك، بينما الباجوري لا يعلقها.

• ويقع الناسخ في الوهم حينما يقول:

في البيت الثامن والعشرين (سوى. معقول أصل) وكذلك الأزهري.

والأصح مفعول (أصلي).

• وفي البيت الثالث والثلاثين. يأخذ المعرب برأي سيبويه في إعراب (لولاه) والأزهري يأخذ بهذا الرأي أيضا.

• وفي البيت الأربعين (حدهم) كسر الميم والإشباع.

• (الحكم) جمع حكمة، وهي صواب الأمر وسداده .

• وفي البيت الثالث والأربعين. (مدحا) تمييزا (الزبدة).

• وفي البيت الثامن والأربعين (معناه) مضاف إليه مرتين، شرح البردة للأزهري.

في البيت (60) يوم: أي زمن (وهو خبر لمبتدأ محذوف) عند الأزهري، والغزي.

في البيت (66) عموا وصموا: فعل ماض مبني للفاعل أو للمفعول. (عند الغزي).

وفي البيت (70) (أبرهة) بفتح الهمزة وسكون الباء الموحدة، وفتح الراء المهملة والصرف للضرورة.

وكذلك (أو عسكر) بالرفع عطفا على أبطال وبالجر عطفًا على أبرهة.

(الأزهري).

وفي البيت (71) (نبذا) بالمعجمة مفعول مطلق، والناصب له (رمى) لأنه يلاقيه في المعنى، لأن (الرمي) هو النبذ على حد (قعدت جلوسا) (الأزهري).

•(به بعد) متعلقان (برمى) ولا يجوز تعلقهما (بنبذا) لأن المصدر المؤكد لا يعمل. (الأزهري).

• في البيت (75) (مبرورة) صفة يمينا المقدرة، دل عليها أقسمت (الغزي ص 95).

• في البيت (77) نجد كلمة (فالصدق) أي: النبي ﷺ مبالغة أو هو على حذف أي: فذو الصدق (الزبدة في شرح البردة).

• في البيت (90) نجد كلمة (آمال) عند المعرب وكذلك (الأزهري) شرح البردة.

• في البيت (96) ردت بلاغتها أي: صرفت فصاحتها وجزالتها. (الزبدة في شرح البردة).

• في البيت (97) وفوق: معطوف على كموج، صفة معان المرفوع ونصبه لازم على الظرفية وإن كانت مجازية، ونحوه في التنزيل ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ (يوسف: 76) الزبدة في شرح البردة.

وكذلك في كثير من المواضع الأخرى مما يدل دلالة واضحة أن خالد بن عبد الله الأزهري اطلع على كتاب «العمدة في إعراب البردة» وأفاد منه في شرحه هذا، أو أنهما أخذا من مصدرٍ واحد سبقهما في إعراب البردة.

العمل والمنهج

• قدمتُ لهذا العمل بدراسة موجزة، عرفت فيها بالبردة وصاحبها وشُراحها، وأثرها في التأليف.

• عرَّفتُ بالمؤلف الشارح الشيخ خالد بن عبد الله الأزهري الذي تميز شرحه بالسهولة واليسر مما جعلني أقدمه دون إضافات تثقل الشرح، فهو يوضح المعنى العام للبيت بكلام في غاية الوضوح.

• وضحتُ أثر من سبقه فيه وخاصة صاحب «العمدة في إعراب البردة».

•وضعت متن البردة كاملا ليكون المتن والشرح بين يديك. سائلا الله أن يعينني على إخراج شروح أخرى لقصيدة «البردة» في المستقبل القريب لتعلم أننا أمة مبدعة نهتم بالعلم والثقافة، وأنه لاعودة لنا إلى الريادة إلا بالمعرفة، فنحن أمة «اقرأ» ولا حياة لنا إلا إذا قرأنا وعملنا وكانت القراءة باسم ربك الذي خلق.

وما توفيقي إلا بالله

عادل عبد المنعم أبو العباس

القاهرة- بني مجدول

صور للمخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم
أمن تذكر جيران بذي سلم

بسم الله الرحمن الرحيم
أمن تذكر جيران بذي سلم

أولاً متن

بردة المديح

المباركة

للإمام شرف الدين أبي
عبد الله محمد البوصيري

الفصل الأول: في الغزل وشكوى الغرام

أَمِـنْ تَذَكُّـرِ جِيـرانٍ بِـذِي سَـلَمِ ... مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقلَةٍ بِدَمِ

أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِن تِلقاءِ كاظمةٍ ... وأَوْمَضَ البَرقُ في الظَّلماءِ مِن إضَمِ

فَمَا لِعَيْنَيْكَ إنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَتَا ... ومَا لِقَلْبِكَ إنْ قُلْتَ اسْتَفِقْ يَهِمِ

أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ ... مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ ومُضْطَرِمِ

لَوْلَا الهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعًا علَى طَلَلٍ ... وَلا أَرِقْتَ لِذِكْرِ البَانِ والعَلَمِ

فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبًّا بَعْدَمَا شَهِدَتْ بِهِ ... عَلَيْكَ عُدُولُ الدَّمْعِ والسَّقَمِ

وأَثْبَتَ الوَجْدُ خَطَّيْ عَبْرَةٍ وضَنًى ... مِثْلَ البَهَارِ عَلَى خَدَّيْكَ والعَنَمِ

نَعَمْ سَرَى طَيْفُ مَنْ أَهْوَى فأَرَّقَنِي ... والحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذَّاتِ بِالْأَلَمِ

يا لائِمِي فِي الهَوَى العُذْرِيِّ مَعْذِرَةً ... مِنِّي إلَيْكَ ولَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلُمِ

عَدَتْكَ حالِي لا سِرِّي بِمُسْتَتِرٍ ... عَنِ الوُشَاةِ ولا دَائِي بِمُنْحَسِمِ

مَحَّضْتَنِي النُّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسمَعُهُ ... إنَّ المُحِبَّ عَنِ العُذَّالِ فِي صَمَمِ

إنِّي اتَّهَمْتُ نَصيحَ الشَّيْبِ في عَذَلٍ ... والشَّيْبُ أَبْعَدُ فِي نُصْحٍ عَنِ التُّهَمِ

الفصل الثاني: في التحذير من هوى النفس

فَإِنَّ أَمَّارَتِي بالسُّوءِ ما اتَّعَظَتْ ... مِنْ جَهْلِها بِنَذِيرِ الشَّيْبِ والهِرَمِ

ولا أَعَدَّتْ مِنَ الفِعْلِ الجَمِيلِ قِرَى ... ضَيْفٍ أَلَمَّ بِرأسِي غَيْرَ مُحتَشِمِ

لَـوْ كُنْـتُ أَعْلَـمُ أَنِّـي مـا أُوَقِّـرُهُ ... كَتَمْـتُ سِـرًّا بَـدَا لِـي مِنْـه بِالْكَتَـمِ

مَـنْ لِـي بِـرَدِّ جِمَـاحٍ مِـنْ غَوَايَتِهـا ... كَمَـا يُـرَدُّ جِمَـاحُ الخَيْـلِ باللُّجُـمِ

فَـلَا تَـرُمْ بالمَعاصِـي كَسْـرَ شَـهْوَتِها ... إنَّ الطَّعَـامَ يُقَـوِّي شَـهْوَةَ النَّهِـمِ

والنَّفْسُ كالطِّفْلِ إنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى ... حُـبِّ الرَّضَـاعِ وإنْ تَفْطِمْـه يَنْفَطِـمِ

فاصـرِفْ هَوَاهـا وحـاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَـهُ ... إنَّ الهَـوَى مـا تَوَلَّـى يُصْـمِ أَوْ يَصِـمِ

ورَاعِهَـا وهْـيَ فـي الأعمـالِ سـائمةٌ ... وإنْ هِـيَ استَحْلَتِ المَرْعَى فلَا تُسِـمِ

كَـمْ حَسَّـنَتْ لَـذَّةً لِلْمَـرْءِ قاتِلَـةً ... مِـنْ حيثُ لَمْ يَدْرِ أَنَّ السُّـمَّ فِي الدَّسَـمِ

واخْـشَ الدَّسـائسَ مِـنْ جُـوعٍ وَمِنْ شِـبَعٍ ... فَـرُبَّ مَخْمَصَـةٍ شَـرٌّ مِـنَ التُّخَـمِ

واستَفْرِغِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدِ امتَلَأَتْ ... مِـنَ المَحـارِمِ والـزَمْ حِمْيَـةَ النَّـدَمِ

وخالِفِ النَّفْسَ والشَّيْطَانَ واعْصِهِمَا ... وإنْ هُمَـا مَحَّضَـاكَ النُّصْـحَ فاتَّهِـمِ

ولا تُطِـعْ مِنْهُمـا خَصْمًـا ولا حَكَمًـا ... فأَنْـتَ تَعْـرِفُ كَيْـدَ الخَصْـمِ والحَكَـمِ

أَسْـتَغْفِرُ اللهَ مِـنْ قَـوْلٍ بِـلَا عَمَـلٍ ... لَقَـدْ نَسَـبْتُ بِـهِ نَسْـلًا لِـذِي عُقُـمِ

أَمَرْتُـكَ الخَيْـرَ لَكِـنْ مـا ائْتَمَـرْتُ بِـهِ ... وَمَـا اسْـتَقَمْتُ، فَمَـا قَـوْ لِـي لَكَ اسْتَقِمِ

ولَا تَـزَوَّدْتُ قَبْـلَ المَـوْتِ نافِلَـةً ... وَلَـمْ أُصَـلِّ سِـوَى فَـرْضٍ، وَلَـمْ أَصُـمِ

الفصل الثالث: في مدح النبي ﷺ

ظَلَمْـتُ سُـنَّةَ مَـنْ أَحْيَـا الظَّـلَامَ إِلَـى ... أَنِ اشْـتَكَتْ قَدَمَـاه الضُّـرَّ مِـنْ وَرَمِ

وشَـدَّ مِـنْ سَـغَبٍ أَحْشَـاءَهُ وَطَـوَى ... تَحْـتَ الحِجَـارَةِ كَشْـحًا مُتْـرَفَ الأَدَمِ

ورَاوَدَتْـه الجِبَـالُ الشُّـمُّ مِـنْ ذَهَـبٍ ... عَـنْ نَفْسِـه، فأَرَاهَـا أَيَّمَـا شَـمَمِ

وأَكَّـدَتْ زُهْـدَهُ فِيهـا ضَرُورَتُـهُ ... إنَّ الضَّـرورةَ لا تَعْـدُو عَلَـى العِصَـمِ

وكَيْفَ تَدْعُو إلى الدُّنْيَا ضرورةُ مَنْ ... لَوْلَاه لَمْ تُخْرَجِ الدُّنْيَا مِنَ العَدَمِ

محمدٌ سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ والثَّقَلَيْـ ... ـنِ والفريقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ ومِنْ عَجَمِ

نَبِيُّنَا الآمِرُ النَّاهِي فلَا أَحَدٌ ... أَبَرَّ في قَوْلِ «لا» مِنْه ولا «نَعَمِ»

هُوَ الحَبيبُ الذِي تُرْجَى شفاعتُه ... لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الأَهْوالِ مُقْتَحَمِ

دَعَا إلى اللهِ فالمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ ... مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلٍ غَيْرِ مُنْفَصِمِ

فَاقَ النبِيِّينَ في خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ ... ولَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ ولا كَرَمٍ

وكُلُّهُم مِنْ رَسولِ اللهِ مُلْتَمِسٌ ... غَرْفًا مِنَ البَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدِّيَمِ

ووَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِمِ ... مِنْ نُقْطَةِ العِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الحِكَمِ

فهُوَ الذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وصُورَتُهُ ... ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيبًا بارئُ النَّسَمِ

مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكٍ فِي مَحَاسِنِه ... فَجَوْهَرُ الحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ

دَعْ مَا ادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمُ ... واحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحًا فِيه واحْتَكِمِ

وانْسُبْ إِلَى ذَاتِهِ ما شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ ... وانْسُبْ إلى قَدْرِه ما شِئْتَ مِنْ عِظَمِ

فإنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللهِ لَيْسَ لَه ... حَدٌّ فَيُعْرِبَ عَنْهُ ناطِقٌ بِفَمِ

لَوْ ناسَبَتْ قَدْرَهُ آياتُه عِظَمًا ... أَحْيَا اسْمُه حِيْنَ يُدْعَى دارِسَ الرِّمَمِ

لَمْ يَمْتَحِنَّا بِمَا تَعْيَا العُقُولُ بِهِ ... حِرْصًا عَلَيْنَا، فَلَمْ نَرْتَبْ ولَمْ نَهِمِ

أَعْيَا الْوَرَىٰ فَهْمُ مَعْنَاهُ فَلَيْسَ يُرَىٰ ... فِي الْقُرْبِ وَالْبُعْدِ فِيهِ غَيْرُ مُنْفَحِمِ

كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعْدٍ ... صَغِيرَةً وَتُكِلُّ الطَّرْفَ مِن أَمَمِ

وكَيْفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَه ... قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عَنْه بالحُلُمِ

فَمَبْلَغُ العِلْمِ فِيهِ أَنَّه بَشَرٌ ... وأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ

وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسْلُ الكِرَامُ بِهَا ... فإنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمِ

فَإِنَّه شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا ... يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ

أَكْـرِمْ بِخَلْـقِ نَبِـيٍّ زانَـهُ خُلُـقٌ ... بالحُسْـنِ مُشْـتَمِلٍ بالبِشْـرِ مُتَّسِـمِ

كالزَّهْرِ فِي تَرَفٍ، والبَدْرِ فِي شَرَفٍ ... والبَحْرِ فِي كَرَمٍ، والدَّهْرِ فِي هِمَمِ

كَأَنَّـه وهْـوَ فَـرْدٌ مِـنْ جَلَالَتِـه ... فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وفِي حَشَمِ

كَأَنَّمَـا اللُّؤْلُـؤُ المَكْنُـونُ فِي صَـدَفٍ ... مِـنْ مَعْدِنَـيْ مَنْطِـقٍ مِنْـه ومُبْتَسَـمِ

لا طِيـبَ يَعْـدِلُ تُرْبًـا ضَـمَّ أَعْظُمَـهُ ... طُوبَـى لِمُنْتَشِـقٍ مِنْـه ومُلْتَثِـمِ

الفصل الرابع: في مولده ﷺ

أَبَـانَ مَوْلِـدُهُ عَـنْ طِيـبِ عُنْصُـرِهِ ... يـا طِيـبَ مُبْتَـدَأٍ مِنْـه ومُخْتَتَـمِ

يَـوْمٌ تَفَـرَّسَ فِيـهِ الفُـرْسُ أَنَّهُـمُ ... قَـدْ أُنْـذِرُوا بِحُلُـولِ البُـؤْسِ والنِّقَـمِ

وبَـاتَ إِيـوانُ كِسْـرَى وهْـوَ مُنْصَـدِعٌ ... كَشَـمْلِ أَصْحَـابِ كِسْـرَى غَيْـرَ مُلْتَئِـمِ

والنَّـارُ خامِـدَةُ الأَنْفَـاسِ مِـنْ أَسَـفٍ ... عَلَيْـه والنَّهْـرُ سَـاهِي العَيْـنِ مِـنْ سَـدَمِ

وَسَـاءَ سَـاوَةَ أَنْ غاضَـتْ بُحَيْرَتُهَـا ... وَرُدَّ وارِدُهَـا بالغَيْـظِ حِيـنَ ظَمِـي

كَأَنَّ بالنَّـارِ مـا بِالْمَـاءِ مِـنْ بَلَـلٍ ... حُزْنًـا، وبِالْمَـاءِ مَـا بالنَّـارِ مِـنْ ضَـرَمِ

والْجِـنُّ تَهْتِـفُ، والأَنْـوَارُ سـاطِعَةٌ ... والحَـقُّ يَظْهَـرُ مِـنْ مَعْنًـى وَمِـنْ كَلِـمِ

عَمُـوا وصَمُّـوا، فَإِعْـلَانُ البَشَـائِرِ لَـمْ ... تُسْـمَعْ، وبارِقَـةُ الإِنْـذَارِ لَـمْ تُشَـمِ

مِـنْ بَعْـدِ مـا أَخْبَـرَ الأَقْـوَامَ كاهِنُهُـمْ ... بِـأَنَّ دِينَهُـمُ الْمُعْـوَجَّ لَـمْ يَقُـمِ

وبَعْـدَ مَـا عايَنُوا فِي الأُفْقِ مِنْ شُـهُبٍ ... مُنْقَضَّـةٍ وَفْـقَ مَـا فِي الأَرْضِ مِـنْ صَنَمِ

حَتَّـى غَـدَا عَـنْ طَرِيـقِ الوَحْـيِ مُنْهَزِمٌ ... مِـنَ الشَّـياطِينِ، يَقْفُـو إِثْـرَ مُنْهَـزِمِ

كَأَنَّهُـمْ هَرَبًـا أَبْطَـالُ أَبْرَهَـةٍ ... أَوْ عَسْـكَرٌ بالحَصَى مِـنْ راحَتَيْـه رُمِي

نَبْـذًا بِـهِ بَعْـدَ تَسْـبِيحٍ بِبَطْنِهِمَـا ... نَبْـذَ المُسَـبِّحِ مِـنْ أَحْشَـاءِ مُلْتَقِـمِ

الفصل الخامس: في معجزاته ﷺ

جَـاءَتْ لِدَعْوَتِـه الأشـجارُ سَـاجِدَةً ... تَمْشِـي إلَيْـه عَلَـى سـاقٍ بِـلَا قَـدَمِ

كَأَنَّمَـا سَـطَرَتْ سَـطْرًا لِمَـا كَتَبَـتْ ... فُرُوعُهَـا مِـنْ بَدِيـعِ الخَـطِّ باللَّقَـمِ

مِثْـلَ الغَمَامَـةِ أَنَّـى سـارَ سـائرَةً ... تَقِيـهِ حَـرَّ وَطِيـسٍ لِلْهَجِيـرِ حَمِـي

أَقْسَـمْتُ بالقَمَـرِ المُنْشَـقِّ إنَّ لَـهُ ... مِـنْ قَلْبِـه نِسْـبَةً مَبْـرُورَةَ القَسَـمِ

وَمَا حَوَى الغَارُ مِنْ خَيْرٍ ومِنْ كَرَمٍ ... وَكُلُّ طَـرْفٍ مِـنَ الكُفَّـارِ عَنْـه عَمِـي

فالصِّدْقُ في الغَارِ والصِّدِّيقُ لَمْ يَرِمَا ... وهُـمْ يَقُولُـونَ مـا بالغَـارِ مِـنْ أَرِمِ

ظَنُّوا الحَمَامَ وظَنُّوا العَنْكَبُوتَ عَلَى ... خَيْـرِ البَرِيَّـةِ لَـمْ تَنْسُـجْ ولَـمْ تَحُـمِ

وِقَايَـةُ اللهِ أَغْنَـتْ عَـنْ مُضَاعَفَـةٍ ... مِنَ الدُّرُوعِ، وعَنْ عالٍ مِنَ الأُطُمِ

مَا سَامَنِي الدَّهْرُ ضَيْمًا واسْتَجَرْتُ بِه ... إلَّا وَنِلْـتُ جِـوَارًا مِنْـه لَـمْ يُضَـمِ

وَلَا الْتَمَسْتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ ... إلّا اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ

لَا تُنْكِـرِ الوَحْـيَ مِـنْ رُؤْيَـاه إنَّ لَـه ... قَلْبًـا إذَا نامَـتِ العَيْنَـانِ لَـمْ يَنَـمِ

وذَاكَ حِيـنَ بُلُـوغٍ مِـنْ نُبُوَّتِـه ... فَلَيْـسَ يُنْكَـرُ فِيـهِ حَـالُ مُحْتَلِـمِ

لَا تُنْكِـرِ الوَحْـيَ مِـنْ رُؤْيَـاه إنَّ لَـه ... قَلْبًـا إذَا نامَـتِ العَيْنَـانِ لَـمْ يَنَـمِ

تَبَـارَكَ اللهُ مـا وَحْـيٌ بِمُكتَسَـبٍ ... ولا نَبِـيٌّ عَلَـى غَيْـبٍ بِمُتَّهَـمِ

كَـمْ أَبْـرَأَتْ وَصِبًـا باللَّمْـسِ راحَتُـهُ ... وأَطْلَقَـتْ أَرِبًـا مِـنْ رِبْقَـةِ اللَّمَـمِ

وَأَحْيَـتِ السَّـنَةَ الشَّـهْبَاءَ دَعْوَتُـهُ ... حتّى حَكَتْ غُرَّةً فِي الأَعْصُرِ الدُّهُمِ

بِعـارِضٍ جَـادَ أَوْ خِلْـتُ البِطَـاحَ بِهَـا ... سَـيْبٌ مِنَ اليَـمِّ أَوْ سَـيْلٌ مِـنَ العَـرِمِ

الفصل السادس: في شرف القرآن ومدحه

دَعْنِي وَوَصْفِيَ آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ ... ظُهُورَ نَارِ القِرَى لَيْلًا عَلَى عَلَمِ

فالدُّرُّ يَزْدَادُ حُسْنًا وَهْوَ مُنْتَظِمٌ ... وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْرًا غَيْرَ مُنْتَظِمِ

فَمَا تَطَاوُلُ آمَالِ المَدِيحِ إِلَى ... مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الأَخْلَاقِ والشِّيَمِ

آيَاتُ حَقٍّ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثَةٌ ... قَدِيمَةٌ، صِفَةُ المَوْصُوفِ بالقِدَمِ

لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ وَهْيَ تُخْبِرُنَا ... عَنِ المَعَادِ، وعَنْ عادٍ، وعَنْ إِرَمِ

دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ ... مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جاءَتْ وَلَمْ تَدُمِ

مُحَكَّمَاتٌ فَمَا تُبْقِينَ مِنْ شُبَهٍ ... لِذِي شِقَاقٍ ولا تَبْغِينَ مِنْ حَكَمِ

مَا حُورِبَتْ قَطُّ إِلَّا عادَ مِنْ حَرَبٍ ... أَعْدَى الأَعَادِي إِلَيْهَا مُلْقِيَ السَّلَمِ

رَدَّتْ بَلَاغَتُهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا ... رَدَّ الغَيُورِ يَدَ الجَانِي عَنِ الحُرَمِ

لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ البَحْرِ فِي مَدَدٍ ... وفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الحُسْنِ والقِيَمِ

فَمَا تُعَدُّ ولَا تُحْصَى عَجَائِبُهَا ... ولا تُسَامُ عَلَى الإِكْثَارِ بالسَّأَمِ

قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ قارِيهَا، فَقُلْتُ لَهُ ... لَقَدْ ظَفِرْتَ بِحَبْلِ اللهِ فاعتَصِمِ

إِنْ تَتْلُهَا خِيفَةً مِنْ حَرِّ نَارِ لَظَى ... أَطْفَأْتَ حَرَّ لَظَى مِنْ وِرْدِهَا الشَّبِمِ

كَأَنَّهَا الحَوْضُ تَبْيَضُّ الوُجُوهُ بِهِ ... مِنَ العُصَاةِ وقَدْ جاؤُوهُ كالحُمَمِ

وكَالصِّرَاطِ وكالمِيزَانِ مَعْدَلَةً ... فالقِسْطُ مِنْ غَيْرِهَا فِي النَاسِ لَمْ يَقُمِ

لا تَعْجَبَنْ لِحَسُودٍ رَاحَ يُنْكِرُهَا ... تَجَاهُلًا وَهْوَ عَيْنُ الحاذِقِ الفَهِمِ

قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ ... ويَنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ المَاءِ مِنْ سَقَمِ

الفصل السابع: في إسرائه ومعراجه ﷺ

يـا خَيْـرَ مَـنْ يَمَّـمَ العَافُـونَ سَـاحَتَهُ ... سَـعْيًا وفَـوْقَ مُتُـونِ الأَيْنُـقِ الرُّسُـمِ

ومَـنْ هُـوَ الآيَـةُ الكُبْـرَى لِمُعْتَبِـرٍ ... ومَـنْ هُـوَ النِّعْمَـةُ العُظْمَـى لِمُغْتَنِـمِ

سَـرَيْتَ مِـنْ حَـرَمٍ لَيْـلًا إِلَـى حَـرَمٍ ... كَمَا سَرَى البَـدْرُ فِي دَاجٍ مِـنَ الظُّلَـمِ

وَبِـتَّ تَرْقَـى إِلَـى أَنْ نِلْـتَ مَنْزِلَـةً ... مِنْ قَـابِ قَوْسَيْنِ لَـمْ تُـدْرَكْ وَلَـمْ تُـرَمِ

وَقَدَّمَتْـكَ جَمِيـعُ الأَنبِيَـاءِ بِهَـا ... والرُّسْـلِ تَقْدِيـمَ مَخْـدُومٍ عَلَى خَـدَمِ

وأَنْـتَ تَخْتَـرِقُ السَّـبْعَ الطِّبَـاقَ بِهِـمْ ... فِي مَوْكِـبٍ كُنْتَ فِيـهِ صَاحِـبَ العَلَمِ

حَتَّـى إِذَا لَـمْ تَـدَعْ شَـأْوًا لِمُسْـتَبِقٍ ... مِـنَ الدُّنُـوِّ وَلَا مَرْقًـى لِمُسْـتَنِمِ

خَفَضْـتَ كُلَّ مَقَـامٍ بِالإِضَافَـةِ إِذْ ... نُودِيـتَ بِالرَّفْـعِ مَثْـلَ المُفْـرَدِ العَلَـمِ

كَيْمَـا تَفُـوزَ بِوَصْـلٍ أَيِّ مُسْـتَتِرٍ ... عَـنِ العُيُـونِ وسِـرٍّ أَيِّ مُكْتَتَـمِ

فَحُـزْتَ كُلَّ فَخَـارٍ غَيْـرَ مُشْـتَرَكٍ ... وجُـزْتَ كُلَّ مَقَـامٍ غَيْـرَ مُزْدَحَـمِ

وجَـلَّ مِقْـدَارُ مـا وُلِّيـتَ مِـنْ رُتَـبٍ ... وعَـزَّ إِدْرَاكُ مَـا أُولِيـتَ مِـنْ نِعَـمِ

بُشْـرَى لَنَـا مَعْشَـرَ الإِسْـلَامِ؛ إِنَّ لَنَـا ... مِـنَ العِنَايَـةِ رُكْنًـا غَيْـرَ مُنْهَـدِمِ

لَمَّـا دَعَـا اللهُ دَاعِينَـا لِطَاعَتِـهِ ... بِأَكْـرَمِ الرُّسْـلِ كُنَّـا أَكْـرَمَ الأُمَـمِ

الفصل الثامن: في جهاد النبي ﷺ

رَاعَـتْ قُلُـوبَ العِـدَا أَنْبَـاءُ بَعْثَتِـهِ ... كَنَبْـأَةٍ أَجْفَلَـتْ غُفْـلًا مِـنَ الغَنَـمِ

مَـا زَالَ يَلْقَاهُـمُ فِـي كُلِّ مُعْتَـرَكٍ ... حَتَّى حَكَوْا بِالقَنَا لَحْمًا عَلَى وَضَمِ

وَدُّوا الفِـرَارَ، فَـكَادُوا يَغْبِطُـونَ بِـهِ ... أَشْـلَاءَ شَـالَتْ مَـعَ العِقْبَـانِ والرَّخَـمِ

تَمْضِـي اللَّيَالِـي ولا يَـدْرُونَ عِدَّتَهَـا ... مَا لَـمْ تَكُـنْ مِن لَيَالِي الأَشْهُرِ الحُرُمِ

كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ ... بِكُلِّ قَرْمٍ إِلَى لَحْمِ العِدَا قَرِمِ

يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيسٍ فَوْقَ سَابِحَةٍ ... يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الأَبْطَالِ مُلْتَطِمِ

مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ للهِ مُحْتَسِبٍ ... يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلكُفْرِ مُصْطَلِمِ

حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الإِسْلَامِ وَهْيَ بِهِمْ ... مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْصُولَةَ الرَّحِمِ

مَكْفُولَةً أَبَدًا مِنْهُمْ بِخَيْرِ أَبٍ ... وَخَيْرِ بَعْلٍ، فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمْ تَئِمِ

هُمُ الجِبَالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ ... مَاذَا رَأَى مِنْهُمُ فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ

وَسَلْ حُنَيْنًا، وَسَلْ بَدْرًا، وَسَلْ أُحُدًا ... فُصُولُ حَتْفٍ لَهُمْ أَدْهَى مِنَ الوَخَمِ

المُصْدِرِي البِيضِ حُمْرًا بَعْدَمَا وَرَدَتْ ... مِنَ العِدَا كُلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ

والكَاتِبِينَ بِسُمْرِ الخَطِّ، مَا تَرَكَتْ ... أَقْلَامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمِ

شَاكِي السِّلَاحِ لَهُمْ سِيمَا تُمَيِّزُهُمْ ... والوَرْدُ يَمْتَازُ بالسِّيمَا مِنَ السَّلَمِ

تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَاحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمُ ... فَتَحْسَبُ الزَّهْرَ فِي الأَكْمَالِ كُلَّ كَمِي

كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الخَيْلِ نَبْتُ رُبًا ... مِنْ شِدَّةِ الحَزْمِ لا مِنْ شَدَّةِ الحُزُمِ

طَارَتْ قُلُوبُ العِدَا مِنْ بَأْسِهِم فَرَقًا ... فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ البَهْمِ والبُهَمِ

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللهِ نُصْرَتُهُ ... إِنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ فِي آجَامِهَا تَجِمِ

وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيٍّ غَيْرِ مُنْتَصِرٍ ... بِهِ ولا مِنْ عَدُوٍّ وغَيْرِ مُنْقَصِمِ

كَمْ جَدَّلَتْ كَلِمَاتُ اللهِ مِنْ جَدِلٍ ... فِيهِ وكَمْ خَصَمَ البُرهَانُ مِنْ خَصِمِ

كَفَاكَ بالْعِلْمِ فِي الأُمِّيِّ مُعْجِزَةً ... فِي الجَاهِلِيَّةِ والتأْدِيبِ فِي اليُتُمِ

الفصل التاسع: في التوسل بالنبي ﷺ

خَدَمْتُـهُ بِمَدِيـحٍ أَسْـتَقِيلُ بِـهِ ... ذُنُوبَ عَمْرٍ مَضَى فِي الشِّعْرِ والخِدَمِ

إِذْ قَلَّدَانِـيَ مـا تُخْشَـى عَوَاقِبُـهُ ... كَأَنَّنِـي بِهِمَـا هَـدْيٌ مِـنَ النَّعَـمِ

أَطَعْتُ غَيَّ الصِّبَا فِي الحالَتَيْنِ، وَمَا ... حَصَلْـتُ إِلَّا عَلَـى الآثَـامِ والنَّـدَمِ

فَيَـا خَسَـارَةَ نَفْـسٍ فِـي تِجَارَتِهَـا ... لَـمْ تَشْـتَرِ الدِّيـنَ بالدُّنْيَـا ولَـمْ تَسُـمِ

ومَـنْ يَبِـعْ آجِـلًا مِنْـه بِعَاجِلِـهِ ... يَبِـنْ لَـهُ الغَبْـنُ فِـي بَيْـعٍ وفِـي سَـلَمِ

إِنْ آتِ ذَنْبًـا فَمَـا عَهْـدِي بِمُنْتَقِـضٍ ... مِـنَ النَّبِـيِّ، ولَا حَبْلِـي بِمُنْصَـرِمِ

فَـإِنَّ لِـي ذِمَّـةً مِنْـهُ بِتَسْـمِيَتِي ... مُحَمَّـدًا، وَهُـوَ أَوْفَى الخَلْقِ بالذِّمَـمِ

إِنْ لَـمْ يَكُنْ فِي مَعَـادِي آخِـذًا بِيَدِي ... فَضْـلًا، وإِلَّا فَقُـلْ يـا زَلَّـةَ القَـدَمِ

حاشَـاهُ أَنْ يُحْـرِمَ الرَّاجِـي مَكَارِمَـهُ ... أَوْ يَرْجِـعَ الجَـارُ مِنْـه غَيْـرَ مُحْتَـرَمِ

وَمُنْـذُ أَلْزَمْـتُ أَفْـكَارِي مَدَائِحَـهُ ... وَجَدْتُـهُ لِخَلَاصِـي خَيْـرَ مُلْتَـزِمِ

وَلَـنْ يَفُـوتَ الغِنَـى مِنْـهُ يَـدًا تَرِبَـتْ ... إِنَّ الحَيَـا يُنْبِـتُ الأَزْهـارَ فِـي الأَكَـمِ

وَلَـمْ أُرِدْ زَهْـرَةَ الدُّنْيَـا الَّتِي اقْتَطَفَـتْ ... يَـدَا زُهَيْـرٍ بِمَـا أَثْنَـى عَلَـى هَـرِمِ

الفصل العاشر: في المناجاة وعرض الحاجات

يـا أَكْـرَمَ الخَلْـقِ، مَـا لِـي مَـنْ أَلُـوذُ بِـه ... سِـوَاكَ عِنْـدَ حُلُـولِ الحـادِثِ العَمِـمِ

ولَنْ يَضِيقَ - رَسـولَ اللهِ - جاهُكَ بِي ... إِذَا الكَرِيـمُ تَحَلَّـى باسْـمِ مُنْتَقِـمِ

فَـإِنَّ مِـنْ جُـودِكَ الدُّنْيَـا وضَرَّتَهَـا ... وَمِـنْ عُلُومِـكَ عِلْـمَ اللَّـوْحِ والقَلَـمِ

يـا نَفْسُ لا تَقْنَطِي مِـنْ زَلَّةٍ عَظُمَـتْ ... إِنَّ الكَبَائِـرَ فِـي الغُفْـرَانِ كاللَّمَـمِ

لَعَـلَّ رَحْمَـةَ رَبِّـي حِيـنَ يَقْسِـمُها ... تَأْتِي علَى حَسَـبِ العِصْيَانِ في القِسَـمِ

يَا رَبِّ واجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ ... لَدَيْكَ واجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمِ

والْطُفْ بِعَبْدِكَ فِي الدّارَيْنِ إنَّ لَهُ ... صَبْرًا مَتَى تَدْعُهُ الأَهْوالُ يَنْهَزِمِ

وأْذَنْ لِسُحْبِ صَلَاةٍ مِنْكَ دائِمَةٍ ... عَلَى النَّبِيِّ بِمُنْهَلٍّ ومُنْسَجِمِ

ما رَنَّحَتْ عَذَبَاتِ البَانِ رِيحُ صَبًا ... وأَطْرَبَ العِيسَ حادِي العِيسِ بالنَّغَمِ

[ثُمَّ الرِّضَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعَنْ عُمَرٍ ... وَعَنْ عَلِيٍّ وَعَنْ عُثْمَانَ ذِي الْكَرَمِ

وَالْآلِ وَالصَّحْبِ ثُمَّ التَّابِعِينَ فَهُمْ ... أَهْلُ التُّقَى وَالنَّقَا وَالْحِلْمِ وَالْكَرَمِ

يَا رَبِّ بِالْمُصْطَفَى بَلِّغْ مَقَاصِدَنَا ... وَاغْفِرْ لَنَا مَا مَضَى يَا وَاسِعَ الْكَرَمِ

وَاغْفِرْ إِلٰهِي لِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ بِمَا ... يَتْلُوهُ فِي الْمَسْجِدِ الأَقْصَى وَفِي الْحَرَمِ

بِجَاهِ مَنْ بَيْتُهُ فِي طِيبَةٍ حَرَمٌ ... وَإِسْمُهُ قَسَمٌ مِنْ أَعْظَمِ الْقَسَمِ

وَهَذِهِ بُرْدَةُ الْمُخْتَارِ قَدْ خُتِمَتْ ... وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فِي بَدْءٍ وَفِي خَتَمِ

أَبْيَاتُهَا قَدْ أَتَتْ سِتِّينَ مَعْ مِائَةٍ ... فَرِّجْ بِهَا كَرْبَنَا يَا وَاسِعَ الْكَرَمِ][1]

(1) قلتُ: من أول قوله: [ثم الرضا عن أبي بكر وعن عمر] إلى آخر الأبيات ليست من نظم البوصيري، وإنما هي لبعض الصالحين، ولذا لم يشرحها «خالد الأزهري» ولا غيره من شراح «البردة»، وهي أبيات واضحة المعنى، لكني أحببت أن أشير إلى أنها ليست لصاحب البردة، وقد أثبتُها هنا لأن حفاظ المتن يذكرونها تبركًا، وقد اطلعت على ديوان البوصيري ولم يذكرها ضمن بردته «عادل أبو العباس».

ثانيًا شرح

بردة المديح

المباركة

للعلامة اللغوي

خالد بن عبد الله الأزهري

مقدمة الشارح

وما تَوفيقِي إلّا باللَّهِ، علَيْه تَوكّلْتُ، وإلَيْه أُنِيبُ

أمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللّهِ مستحِقِّ التحميدِ والتكبيرِ والتهليلِ والتسبيحِ، والصلاةِ والسَّلَامِ علَى سَيِّدِنا محمدٍ صاحبِ الوَجْهِ المَلِيحِ، واللِّسانِ الفصيحِ، والقَدِّ الرَّجِيحِ، وعلَى آلِه وأصحابِه أُولِي الاقتباسِ والتضمينِ والحَلِّ والعَقْدِ والتَّلْميحِ..

فيَقولُ العبدُ الفَقِيرُ إلى مَوْلَاه الغَنِيِّ، خالدُ بنُ عَبدِ اللّهِ الأزهريُّ: قَدْ سألْتَنِي - أيُّها الأخُ الصالحُ النَّجيحُ -، أنْ أَضَعَ شَرْحًا لَطِيفًا علَى بُرْدَةِ المَديحِ، لِلشيخِ الإمامِ شَرَفِ الدِّينِ محمدٍ البُوصِيرِيِّ - رَحِمه اللّهُ تعالى - مشتَمِلًا علَى بَيَانِ لُغاتِها، وإعرابِ أبْيَاتِها وإيضاح مَعانِيها أَتَمَّ توضيحٍ، فأَجَبْتُكَ لِمَا سألْتَ على وَفْقِ ما اخترْتَ، مقتصِرًا على القولِ الصحيحِ.

الفصل الأول في الغزل وشكوى الغرام

قالَ ناظمُ هذه القصيدةِ: سببُ نَظْمِي إيَّاها أنَّنِي أصابَنِي خِلْطُ فالجٍ، عَجزَ عَن عِلاجِه كُلُّ معالِجٍ، إذْ أبطَلَ نِصْفِي، وتَحيَّرَ فيه وَصْفِي، فلَمَّا أَيِسْتُ مِنْ نَفْسِي، وقارَبْتُ حُلُولَ رَمْسِي، تَذَكَّرْتُ في ساعةٍ سَعيدةٍ، أنْ أَصنَعَ قصيدةً في مَدْحِ خَيْرِ البَرِيَّةِ، فصَحَّ العَزمُ والنِّيَّةُ، وشَرَعْتُ في امتداحِ المُصطَفَى، ورَجَوْتُ بِهِ البُرْءَ والشِّفَا؛ فأعانَنِي رَبِّي، ويَسَّرَ علَيَّ طَلَبِي، فلَمَّا خَتَمْتُها رأَيْتُ في مَنامِي، المصطفَى التِّهامِيَّ، قَدْ أَتَى إلَيَّ، ومَرَّ بِيَدِه المبارَكةِ علَيَّ، فعوفِيتُ لِوَقْتِي، وعُدْتُ لِمَا كانَ مِنْ نَعْتِي. انتهى بمَعْنَاه.

فدُونَكَ بُردةً قَدْ غُزِلَتْ مِنْ نُعوتِ المصطفَى، ونُسِجَتْ على نيرَيِ[1] الإخلاصِ والصَّفَا، واشتَمَلَتْ أَوَّلًا على براعةِ المَطْلَعِ، وهِيَ أَنْ تُفتَتَحَ القصيدةُ بِذِكْرِ ما يُلائمُ المقصودَ، ثُمَّ على أسلوبٍ آخَرَ مشتمِلٍ على معنَيَيْنِ: أَوَّلُهما: التَّلَهُّفُ والأحزانُ، والاعترافُ بالغفْلَةِ والعِصْيانِ، وثانِيهما: التمسُّكُ بالمَوْعِظةِ الحسَنةِ والجِدَالِ بالبُرهانِ، ثُمَّ على أسلوبٍ آخَرَ مشتمِلٍ على شيئَيْنِ: علَى المَديحِ والصِّفاتِ، وعلى الآثارِ والمعجِزاتِ، ثُمَّ على أسلوبٍ آخَرَ مشتمِلٍ علَى شَيْئَيْنِ: علَى تصحيحِ الاعتقادِ، وتحقيقِ وظائفِ المَبْدَأِ والمَعَادِ، وعَلَى الدُّعَاءِ والمُنَاجَاةِ بالابتِهَالِ، وإظهارِ الخوفِ والرَّجَاءِ في العاقبةِ والمَآلِ.

ولَمَّا أرادَ ناظمُها بَراعةَ المَطلَعِ جَرَّدَ مِن نفْسِه شخْصًا مَزَجَ دمْعَه بدَمِه، فسألَه عَنْ عِلَّةِ ذلك، فقالَ مخاطِبًا له:

أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرانٍ بِذِي سَلَمِ ... مَزَجْتَ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقلَةٍ بِدَمِ

أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِن تِلقاءِ كاظمةٍ ... وأَوْمَضَ البَرقُ في الظَّلماءِ مِن إضَمِ

(1) النيِّرُ، بالكسر: القَصَبَ، والخُيوطُ إذا اجْتَمَعَتْ، وعَلَمُ الثَّوْبِ، جمعه أنيار. [القاموس المحيط].

«التَّذَكُّرُ» مَصدَرُ «تَذَكَّرَ»، و«الجِيرانُ»: جَمْعُ جارٍ، بمَعْنَى «مُجاوِرٍ»، مِنَ الجِوارِ، وهُوَ القُرْبُ في المَنْزِلِ، و«ذِي سَلَمٍ»: مَوضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ والمدينةِ، و«المَزْجُ»: الخَلْطُ، و«الدَّمْعُ»: اسمُ جِنْسٍ جَمْعِيٌّ، واحِدُه «دَمْعةٌ»، وهُوَ ما يَقطُرُ مِنَ العَيْنِ، و«جَرَى»: سَالَ، و«المُقْلَةُ»: شَحْمَةُ العَيْنِ التِي هِيَ السَّوَادُ والبَيَاضُ.

و«هَبَّتِ الرِّيحُ»: هاجَتْ، و «تِلْقاءِ»: بمَعْنَى «حِذَاء» بالذالِ المعجَمةِ، و«كاظمةٍ»: اسمُ طريقٍ إلى مَكَّةَ، «وأَوْمَضَ»: لَمَعَ، و «إِضَمٍ»: وادٍ دُونَ المدينةِ.

الإعرابُ:

* «أَمِنْ»: الهَمزةُ لِلاستفهامِ، و«مِنْ»:- بِكَسْرِ المِيمِ - حَرْفُ تَعليلٍ وجَرٍّ، مُتَعلِّقَةٌ بِـ «مَزَجْتَ».
* «تَذَكُّرِ» مجرورٌ بِـ«مِنْ»، «جِيرانٍ»:- بكَسْرِ الجِيمِ - مضافٌ إلَيْه، مِنْ إضافةِ المَصدَرِ إلى مفعولِه بَعْدَ حَذْفِ فاعلِه، والأَصْلُ: بِتَذَكُّرِكَ جِيرانًا.
* «بِذِي»: جارٌّ ومَجرورٌ، نَعْتُ «جِيرانٍ»، «سَلَمٍ»: بَفَتْحَتَيْنِ - مضافٌ إلَيْه.
* «مَزَجْتَ» -بِفَتْحِ التاءِ- فِعْلٌ وفاعلُه مُستَتِرٌ فيه يَعُودُ على «دَمْعًا»، والجُملةُ نَعْتٌ لَه.
* «مِنْ مُقْلَةٍ» مُتعلِّقٌ بـ«جَرَى»، لِإفادةِ التوكيدِ؛ لِأَنَّ الدمْعَ لا يَجْرِي مِنْ غَيْرِ المُقْلَةِ، فهُوَ كقَوْلِه تعالى: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام : 38]، أَوْ لِلتأسِيسِ نَظَرًا إلى الدَّمِ المَمْزُوجِ بالدَّمْعِ.
* «بِدَمٍ»: مُتَعَلِّقٌ بـ «مَزَجْتَ» أيضًا، والأَصْلُ: مَزَجْتَ دَمْعًا بِدَمٍ.
* «أَمْ» حَرْفُ عَطْفٍ، وهُوَ مُعادِلٌ لِلْهَمْزةِ في الاستفهامِ بِهِما عَنْ تَعْيِينِ العِلَّةِ الحَامِلَةِ علَى مَزْجِ الدَّمْعِ بالدَّمِ.
* «هَبَّتِ الرِّيحُ»: فِعْلٌ وفاعِلٌ في تأويلِ مُفْرَدٍ مَعطوفٍ على «تَذَكُّرِ».
* «مِنْ تِلْقاءِ» - بالمَدِّ - مُتَعَلِّقٌ بـ «هَبَّتِ»، «كاظِمَةٍ» - بالمُعجَمةِ - مضافٌ إلَيْهَا.

* «وأَوْمَضَ البَرْقُ»:- بالضَّادِ المُعْجَمةِ - فِعْلُ ماضٍ وفاعلُه، معطوفٌ على «هَبَّتِ الرِّيحُ».
* «فِي الظَّلْمَاءِ»:-بالمَدِّ- مُتَعلِّقٌ بـ«أَوْمَضَ»، علَى تقديرِ موصوفٍ بَيْنَ الجارِّ والمجرورِ، والتَّقديرُ: في اللَّيْلةِ الظَّلْماءِ»
* «مِنْ إضَمٍ»: بِكَسْرِ الهَمْزَةِ، وفَتْحِ المُعْجَمةِ حَالٌ مِنَ «الظَّلْماء»[1].

وحاصلُ مَعْنَى البَيْتَيْن:

أنَّه أَرَادَ بـ«الجِيرانِ» الأَحِبَّةَ، وبـ«ذِي سَلَمٍ، وكاظِمَةٍ، وإضَمٍ»، أمكِنَتَهم، وبِـ«مَزْجِ الدَّمْعِ بالدَّمِ» شِدَّةَ البُكَاءِ؛ فاستفهَمَ عَنْ عِلَّةِ مَزْجِ الدَّمْعِ بالدَّمِ: أَهِيَ تَذَكُّرُ الأَحِبَّةِ الغائبِينَ، أَمْ هُبوبُ الرِّيحِ ولمَعَانُ البَرْقِ مِن ناحيَتِهم، فأَدْخَلَ الهَمْزةَ على أَحَدِ المُعادِلَين، و «أَمْ» على الآخَر، ووَسَّطَ بَيْنَهما مَا لا يَسْأَلُ عَنْه، وهُوَ مَزْجُ الدَّمْعِ بالدَّمِ؛ فهُوَ كقَوله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ [النازعات : 27] إلَّا أنَّ الناظِمَ جَعَلَ أَحَدَ المُعادِلَيْنِ جُملةً، كقَوْلِه تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا﴾ [الجن:25].

فَمَـا لِعَيْنَيْـكَ إنْ قُلْـتَ اكْفُفَـا هَمَتَـا ... ومَـا لِقَلْبِـكَ إنْ قُلْـتَ اسْـتَفِقْ يَهِـمِ

«اكْفُفَا»: احْبِسَا دَمْعَكُما، و «هَمَتَا»: مِنَ الهَمَيَانِ، وهُوَ الانحدارُ والسَّيَلَانُ، و«القَلْبُ»: الفؤادُ، وهُوَ شَكْلٌ صَنَوْبَرِيٌّ، مَوضِعُه وَسَطُ الصَّدْرِ، وهُوَ مَنْبَعُ الحَياةِ؛ والتحقيقُ أنَّه سِرٌّ لَطِيفٌ، بِه يَحْصُلُ الإدراكُ، ويُعَبَّرُ عَنْه بهذه الجارحةِ تَقْرِيبًا لِلأذهانِ، و«اسْتَفِقْ»: مُرادِفُ «أَفِقْ»، و«يَهِمِ»: مضارعُ «هَامَ» عَلَى وَجْهِه، إذا لَمْ يَدْرِ أَيْنَ هُوَ.

الإعرابُ:

* «فَمَا» الفاءُ عاطفةٌ، و «مَا»: اسمُ استفهامٍ في مَوْضِعِ رَفْعٍ عَلَى الابتداءِ.
* «لِعَيْنَيْكَ» :-بالتَّثْنِيَةِ - خَبَرُ المبتدأِ.
* «إنْ»: بكَسْرِ الهَمزةِ، وسُكُونِ النُّونِ - حَرْفُ شَرْطٍ.

(1) «من إضم»: متعلق بـ «أومض»، أي لمع من هذه الجهة.

* «قُلْتَ»:-بفَتْحِ التَّاءِ- فِعْلُ الشَّرْطِ في مَحَلِّ جَزْمٍ.

* «اكْفُفَا»:بِضَمِّ الفاءِ الأُولَى، وفَتْحِ الثانِيَةِ - فِعْلُ أَمْرٍ وفاعلٌ، والجُملةُ في مَوْضِعِ نَصْبٍ بِـ «قُلْتَ».

* «هَمَتَا»: فِعْلٌ ماضٍ وفاعلٌ، والأَصْلُ «هَمَيَتا، قُلِبَتِ اليَاءُ أَلِفًا، فصارَ «هَمَاتا» حُذِفَتِ الألِفُ لِالتِقَاءِ الساكنَيْنِ، وهُمَا الألِفُ وتاءُ التأنيثِ، وتَحريكُها لِأَجْلِ الأَلِفِ عارِضٌ، والجُملةُ جَوَابُ الشَّرْطِ.

* «ومَا»: اسمُ استفهامٍ، مُبتدأٌ، «لِقَلْبِكَ» خَبَرُه.

* «إنْ قُلْتَ»: بِفَتْحِ التاءِ- شَرْطٌ، «استَفِقْ» : مَقُولُ «قُلْتَ»، «يَهِمِ»: جَوَابُ الشَّرطِ، والأَصْلُ «يَهِيمْ»، حُذِفَتِ اليَاءُ لالتِقَاءِ الساكِنَيْنِ «الياءِ والمِيمِ» لِلجَزْمِ، وتحريكُها بالكَسْرِ عارِضٌ لِحَرْفِ الرَّوِيّ.

ومَعْنَى البَيْتِ:

فيَا مُنْكِرَ الحُبِّ، أيُّ شَيْءٍ حَصَلَ لِعَيْنَيْكَ حتَّى إنَّكَ قُلْتَ لَهُما: «احْبِسَا الدُّمُوعَ» سالَتْ دُمُوعُهما، وأَيُّ شَيْءٍ حَصَلَ لِقَلْبِكَ حتَّى إنَّكَ إنْ قُلْتَ لَه: «أَفِقْ مِن غَمْرَةِ العِشْقِ» هامَ فيه؛ أَلَيْسَ كُلٌّ مِنْ سَيَلانِ الدَّمْعِ وهُيَامِ القَلْبِ مِنْ آثارِ الحُبِّ؟!

ثُمَّ التَفَتَ مِنَ الخِطَابِ إلَى الغَيْبَةِ، فقَالَ:

أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ ... مـا بَيْـنَ مُنْسَـجِمٍ مِنْـه ومُضْطَـرِمِ

«يَحْسَبُ»: يَظُنُّ، و«الصَّبُّ»: العاشِقُ لِأَنَّه إذا اشْتَدَّ بِه العِشْقُ بَكَى؛ فيَنْصَبُّ الدَّمْعُ مِنْ عَيْنَيْه، و«الحُبَّ»: المَحَبَّةُ، و«مُنْكَتِمٌ»: مَسْتُورٌ، و «مُنْسَجِمٍ»: هاطِلٌ مُنْحَدِرٌ، و«مُضطَرِمٍ»: مُلْتَهِبٌ مُشْتَعِلٌ.

الإعرابُ:

* «أَيَحْسَبُ»: الهَمْزَةُ لِلاستفهامِ التَّوْبِيخِيّ، و«يَحْسَبُ»: مُضارِعُ «حَسِبَ» المُتَعَدِّي لِاثْنَيْنِ.

* «الصَّبُّ»: فاعلُه.

* «أَنَّ»:- بِفَتْحِ الهَمْزةِ وتشديدِ النُّونِ- حَرْفُ تَوْكِيدٍ، يَنْصِبُ الاسمَ، ويَرْفَعُ الخَبَرَ.

* «الحُبَّ»:-بِضَمِّ المُهْمَلَةِ- اسْمُها، «مُنْكَتِمٌ»: خَبَرُها، وأَنَّ واسمُها وخَبَرُها في تأويلِ مَصْدَرٍ سادٍّ مَسَدَّ مَفعُولَيْ «يَحْسَبُ».

* «مَا»: زائدةٌ، «بيْنَ»: مَنْصُوبٌ على الظرفيةِ المَكانيةِ.

* «مُنْسَجِمٍ»: مُضافٌ إلَيْه عَلَى تَقديرِ مَوْصوفٍ بَيْنَ المُتَضايِفَيْنِ.

* «مِنْه»: مُتَعَلِّقٌ بـ «مُنْسَجِمٍ»، والهاءُ ضَمِيرُ الصَّبِّ.

* «ومضطَرِمٍ»: بالضَّادِ المعجَمةِ، والطَّاءِ المهمَلَةِ - مَعْطُوفٌ علَى «مُنْسَجِمٍ»، علَى تقديرِ مَوْصوفٍ بَيْنَ العاطِفِ والمَعْطوفِ.

ومَعْنَى البَيْتِ:

أَيَظُنُّ العاشقُ انكِتَامَ المَحَبَّةِ عَن النَّاسِ، وهُوَ ما بَيْنَ دَمْعٍ هاطِلٍ وقَلْبٍ مُلْتَهِبٍ؟!

ثُمَّ التفَتَ مِنَ الغَيْبَةِ إلَى الخِطَابِ، فقال:

لَوْلَا الهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعًا علَى طَلَلٍ ... وَلا أَرِقْتَ لِذِكْرِ البَانِ والعَلَمِ

«الهَوَى»:-بالقَصْرِ- مَصْدَرُ «هَوِيَ» بالكَسْرِ إذا أَحَبَّ، و«تُرِقْ»: تَصُبُّ، و«الدَّمْعُ»: ما يَسِيلُ مِنَ العَيْنِ، و«الطَّلَلُ»: مَا شَخَصَ مِنْ آثارِ الدِّيَارِ، أي ارتَفَعَ، و«أَرِقْتَ»: سَهِرْتَ، و «البَانِ»: شَجَرُ الخِلَافِ - بالتخفيفِ -واحِدُه «بانَةٌ»، و «العَلَمِ»: اسمُ جَبَلٍ، والمُرادُ بِهِمَا ها هُنَا مَوضِعانِ بالحِجَازِ.

الإعرابُ:

* «لَوْلَا»: حَرْفٌ يَدُلُّ علَى امتِناعِ الشَّيْءِ لِوُجُودِ غَيْرِه.

* «الهَوَى»:-بالقَصْرِ - مبتدأٌ حُذِفَ خَبَرُه وُجُوبًا؛ لسَدِّ جَوابِ «لَوْلَا» مَسَدَّه؛ لكَوْنِه كَوْنًا مُطْلَقًا، والتقديرُ: لَوْلَا الهَوَى مَوْجودٌ.

* «لَمْ تُرِقْ»:-بِضَمِّ التَّاءِ الفَوْقِيَّةِ، وكَسْرِ الرَّاءِ- جازِمٌ ومجزومٌ، «دَمْعًا»: مَفعولٌ به.

* «عَلَى طَلَلٍ»: بِطَاءٍ مُهْمَلَةٍ، ولامٍ؛ مفتوحتَيْنِ- مُتعلِّقٌ بـ «تُرِقْ»، وجُملةُ «لَمْ تُرِقْ» ومَعمولَيْها جَوَابُ «لَوْلَا» لا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الإعرابِ؛ لِأَنَّها جَوَابُ شَرْطٍ غَيْرِ جازِمٍ.

* «ولا أَرِقْتَ»: بفَتْحِ الهَمزةِ، وكَسْرِ الرَّاءِ، وفَتْحِ التَّاءِ- مَعطوفةٌ عَلَى جَوَابِ «لَوْلَا»، و «لا»: زائدةٌ لِتَأكيدِ النَّفْيِ.

* «لِذِكْرِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ «أَرِقْتَ»، «البَانِ»: مُضافٌ إلَيْه.

* «والعَلَمِ»: بِفَتْحِ العَيْنِ المهمَلةِ واللَّامِ - مَعطُوفٌ علَى «البَانِ».

ومَعْنَى البَيْتِ:

لَوْلَا مَحَبَّتُكَ وهَوَاكَ لَمَا بَكَيْتَ على آثارِ دِيَارِ الأحبابِ، ومَا ذَهَبَ نَوْمُكَ بِذِكْرِ أشجارِ البَوَادِي وجِبَالِ المَنَازِلِ.

وَفي البَيْتِ مِنَ البَدِيعِ الجِنَاسُ الشَّبِيهُ بالمُشْتَقِّ في قَوْلِه «لَمْ تُرِقْ»، و «أَرِقْتَ»، كَمَا في قولِه تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ [الشعراء: 168].

فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبًّا بَعْدَمَا شَهِدَتْ بِه ... عَلَيْكَ عُدُولُ الدَّمْعِ والسَّقَمِ
وأَثْبَتَ الوَجْدُ خَطَّيْ عَبْرَةٍ وضَنًى ... مِثْلَ البَهَارِ عَلَى خَدَّيْكَ والعَنَمِ

«الإنكارُ»: ضِدُّ الاعترافِ، و«الحُبُّ»: ضِدُّ البُغْضِ، و«شَهِدَتْ»: أَخْبَرَتْ، و«العُدُولُ»: جَمْعُ «عَدْلٍ»، بِمَعْنَى عادِلٍ، والمُرادُ بالجَمعِ هُنا الاثنانِ بِدَليلِ ما بَعْدَه؛ إلَّا أنْ يُريدَ بـ «الدَّمْعِ» الدُّمُوعَ، وبـ«السَّقَمِ» الأسقامَ، فيَكونُ الجَمْعُ على بابه، و«السَّقَمِ»: إطالةُ المَرَضِ، و«الوَجْدُ»: الحُزْنُ، و«خَطَّيْ»: تَثنيةُ خَطٍّ، و«العَبْرَةُ»: البُكاءُ، و«الضَّنَى»: الضَّعْفُ والهُزَالُ، و«البَهَارِ»: وَرْدٌ أَصْفَرُ طَيِّبُ الرائحةِ، و«العَنَمِ»: وَرْدٌ أَحْمَرُ.

الإعرابُ:

* «فكَيْفَ»: استفهامٌ، ومَعْنَاه هُنا التَّعَجُّبُ مُتَعَلِّقٌ بـ «تُنْكِرُ» - بِضَمِّ التَّاءِ الفوقيَّةِ - فِعْلٌ مُضارِعٌ، وفاعلُه مُستَتِرٌ فِيه وُجوبًا، تقديرُه «أنتَ».

* «حُبًّا»: بِضَمِّ الحاءِ- مفعولٌ بِه.

* «بَعْدَ»: مَنصوبٌ بـ «تُنْكِرُ»، «ما»: مَوصُولٌ حَرفِيٌّ.

* «شَهِدَتْ»: فِعْلٌ ماضٍ، وتاءُ تأنيثٍ، «به عَلَيْكَ»: مُتعَلِّقانِ بـ «شَهِدَتْ».

* «عُذُولُ»: فاعلُ «شَهِدَتْ»، «الدَّمْعِ»: مُضافٌ إلَيْه، و «السَّقَم»:-بفَتْحَتَيْنِ- مَعطوفٌ علَى «الدَّمْعِ»، وجُملةُ «شَهِدَتْ»، وما بَعْدَها صِلَةٌ، و «ما» وصِلَتُها في تأويلِ مَصْدَرٍ مجرورٍ بإضافةِ «بَعْدَ» إلَيْها، والتقديرُ: بَعْدَ شَهادةِ عَدْلَيِ الدَّمْعِ والسَّقَمِ.

* «وأَثْبَتَ»: فِعْلٌ ماضٍ مَعطوفٌ علَى «شَهِدَتْ»، «الوَجْدُ»: فاعلُ «أَثْبَتَ».

* «خَطَّيْ»: بِفَتْحِ الخاءِ المعجَمةِ والطاءِ المهمَلةِ، وسُكُونِ اليَاءِ - مَفْعولُ «أَثْبَتَ»، وحُذِفَتِ النُّونُ لِلإضافةِ.

* «عَبْرَةٍ»: بِفَتْحِ العَيْنِ المهمَلةِ، وسُكُونِ الباءِ المُوَحَّدةِ- مُضافٌ إلَيْها، «وضَنًى»:- بالمعجَمةِ والقَصْرِ- مَعطوفٌ علَى «خَطَّي».

* «مِثْلَ»:-بالنَّصْبِ- نَعْتُ «خَطَّيْ» و «ضَنًى»، «البَهَارِ»:- بفَتْحِ المُوَحَّدةِ- مُضافٌ إلَيْه.

* «علَى خَدَّيْكَ»: في مَوضِعِ الحالِ مِنْ «خَطَّيْ» و «ضَنًى».

* «والعَنَمِ»:- بِفَتْحِ العَيْنِ المهمَلةِ والنُّونِ- مَعطوفٌ على «البَهَارِ».

ومَعْنَى البَيْتَيْنِ:

كَيْفَ تُنْكِرُ - أيُّها المخاطَبُ- المَحَبَّةَ بَعْدَما شَهِدَ بِها عَلَيْكَ عُذُولٌ مِنَ الدُّموعِ الهاطلةِ والأسقامِ المُتَنَوِّعةِ، وبَعْدَما أَثْبَتَ الوَجْدُ أَمْرَيْنِ كائنَيْنِ على خَدَّيْكَ: أَحَدُهما: صُفرةُ الخدودِ والوَجَناتِ الناشئةُ عَنِ الضَّنَى، وثانيهما: حُمْرَةُ قَطَراتِ العَبَراتِ الناشئةُ عَنِ البُكاءِ، وقَدْ حَكَمَ قاضِي الهَوَى بمُوجِبِ ذلك.

وفيه لَفٌّ ونَشْرٌ مُشَوَّشٌ؛ فإنَّه شَبَّهَ خَطَّيِ العَبْرةِ بالعَنَمِ في الحُمرةِ وشَبَّهَ الضَّنَى بالبَهَارِ في الصُّفْرةِ.

وَلمَّا أَثْبَتَ كَوْنَ المخاطَبِ مُحِبًّا، وكانَ هُوَ المخاطَبَ في المَعْنَى رَجَعَ عَنِ التجريدِ، واعتَرَفَ بالحُبِّ، فقالَ:

نَعَمْ سَرَى طَيْفُ مَنْ أَهْوَى فأَرَّقَنِي والحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذَّاتِ بِالْأَلَمِ

«نَعَمْ»: حَرْفُ تَصديقٍ في الخَبَرِ، و«سَرَى»: سارَ لَيْلًا، و«الطَّيْفُ»: الخَيَالُ في النَّوْمِ، و«الهَوَى»: المَحَبَّةُ والعِشْقُ، و«أَرَّقَنِي»: أَسْهَرَنِي، و«الحُبُّ»: المَحَبَّةُ، و«يَعْتَرِضُ»: يَحُولُ بَيْنَه وبَيْنَ مُرادِه، و «اللَّذَّاتِ»:- بالمُعجَمَةِ - جَمْعُ «لَذَّةٍ»، وهِيَ ما يُتَنَعَّمُ به، و«الأَلَمِ»: الوَجَعُ.

الإعرابُ:

* «نَعَمْ»: حَرْفُ جَوَابٍ، «سَرَى»: فِعْلٌ ماضٍ، «طَيْفُ»:-بِفَتْحِ المهمَلةِ، وسُكُونِ اليَاءِ التحتيَّةِ- فاعلُ «سَرَى».
* «مَنْ»:-بفَتْحِ الميمِ- اسمٌ موصولٌ في مَوْضِعِ جَرٍّ بالإضافةِ.
* «أَهْوَى»: فِعْلٌ مضارِعٌ مُسْنَدٌ إِلَى المُتَكَلِّمِ، والجُمْلةُ صِلَةُ «مَنْ»، وعائدُها محذوفٌ، أَيْ «أَهْواهُ».
* «فأَرَّقَنِي»: مَعطُوفٌ عَلَى «سَرَى»، وفاعلُه مُستَتِرٌ فِيه يَعُودُ علَى «طَيفُ»،
* و«الحُبُّ»: بِضَمِّ الحاءِ المهمَلَةِ - مبتَدأٌ.
* «يَعْتَرِضُ»:-بِفَتْحِ التحتيَّةِ، وكَسْرِ الرَّاءِ، وبالضادِ المعجَمةِ - فِعْلٌ مضارِعٌ، وفاعلُه مستَتِرٌ فِيه جَوَازًا يَعودُ على «الحُبُّ».
* «اللَّذَّاتِ»: مفعولٌ به، «بالأَلَمِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ «يَعترِضُ».

ومَعْنَى البَيْتِ:

صَدَقْتَ؛ ولكِنْ لِشِدَّةِ كَلَفِي بمَحبُوبِي لَمَّا رَأَيْتُ خيالَه في النَّوْمِ انتَبَهْتُ فَرَحًا، فجاءَني الأَرَقُ؛ وهَذَا شَأْنُ الحُبِّ؛ يَحُولُ بَيْنَ المُحِبِّ ولَذَّاتِه بالألَمِ مِنْ جِهَةِ ما يَنْشَأُ عَنْه مِن عَدَمِ الوَصلِ مِنَ المَحبُوبِ.

ثُمَّ اعتَذَرَ، فقالَ:

يا لائِمِي فِي الهَوَى العُذْرِيِّ مَعْذِرَةً ... مِنِّي إلَيْكَ ولَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلُمِ

عَدَتْكَ حالِي لا سِرِّي بِمُسْتَتِرٍ ... عَنِ الوُشَاةِ ولا دَائِي بِمُنْحَسِمِ

«اللائمُ» العاذِلُ، و «العُذْرِيِّ»: نِسبةٌ إلى بَنِي عُذْرَةَ - بالذَّالِ المُعْجَمَة - قَبِيلة قَدِ اشتَهَرَتْ رِجالُهم بوُفُورِ العِشْقِ، ونِساؤُهم بفَرْطِ العَفَافِ، و«مَعْذِرَةً» مَصْدَرُ «عَذَرْتُه» إذا صَفَحْتُ عَنْه ومَحَوْتُ إساءته، والمَعْذِرَةُ أيضًا ما يَدْفَعُ بِه الإنسانُ عَنْ نَفْسِه مِمَّا عِيبَ عَلَيْه فِعْلُه، و«أَنْصَفْتَ»: أَيْ عَدَلْتَ - بالدَّالِ المهمَلةِ، و«اللَّوْمُ»: العَذْلُ - بالذَّال المعجَمةِ، «عَدَتْكَ»: أَيْ بَلَغَتْكَ وجاوَزَتْكَ، «حَالِي»: أَيْ أَمْرِي، و«السِّرُّ»: الشَّيْءُ المَكْتُومُ، و«الوُشَاةِ»: جَمْعُ «واشٍ» وهُوَ الكَذَّابُ، و«الدَّاءُ»: المَرَضُ، و«المُنْحَسِمُ»: المُنْقَطِعُ.

الإعرابُ:

* «يا»: حَرْفُ نِدَاءٍ، «لَائِمِي»: منادًى مُضافٌ إلَى ياءِ المُتَكَلِّمِ، مَنْصوبٌ بِفَتْحَةٍ مُقَدَّرَةٍ علَى المِيمِ.
* «في الهَوَى»: مُتَعَلِّقٌ بـ «لائِمِي»، «العُذْرِيِّ»:- بالذَّالِ المعجَمةِ - نَعْتُ «الهَوَى».
* «مَعْذِرَةً»: بالنَّصبِ بفِعْلٍ محذوفٍ تَقديرُه «أَعْتَذِرُ»؛ إنْ كانَ المُرادُ بها المَصدَرَ، أَوْ «أَقُولُ»؛ إنْ كانَ المُرادُ بها الكَلَامَ الذي يَعْتَذِرُ به؛ فهِيَ في مَعْنَى الجُملةِ، «مِنِّي، إلَيْكَ»: مُتَعَلِّقانِ بـ «مَعْذِرَةً».
* و«لَوْ»: حَرْفُ شَرْطٍ[1]، «أَنْصَفْتَ»:-بفَتْحِ التَّاءِ- فِعْلُ الشَّرْطِ.
* «لَمْ تَلُمِ»: -بفَتْحِ التَّاءِ الفَوقيّةِ، وضَمِّ اللَّامِ - جَوَابُ الشَّرطِ.
* «عَدَتْكَ»: فِعْلٌ ومفعولٌ مقَدَّمٌ، «حَالِي»:- بالمهمَلةِ - فاعلٌ مَؤَخَّرٌ.

(1) غير جازم مطلقا خلافا لمن زعم أن الجزم به لغة.

* «لا»:حَرْفُ نَفْيٍ، «سرّي»:- بِكَسْرِ السِّينِ المهمَلةِ - اسمُ «لا» العاملةِ عَمَلَ «لَيْسَ» مُضافٌ لِيَاءِ المُتَكَلِّمِ، «بمُسْتَتِرٍ» : خَبَرُها في مَوْضِعِ نَصْبٍ[1].

* «عَنِ الوُشَاةِ»: -بضَمِّ الواوِ- مُتَعَلِّقٌ بـ «مُستَتِرٍ».

* و«لا»: نافيةٌ، «دَائِي»: اسمُها، «بمُنْحَسِمٍ»:- بمهمَلَتَيْنِ - خَبَرُها.

ومَعْنَى البيتَيْنِ:

يا مَنْ يَلومُنِي ويَعْذِلُنِي في مَحَبَّةٍ مَنسوبةٍ إلى قَوْمٍ مِنْ بَنِي عُذْرَةَ، لَوْ كانَ لَكَ إنصافٌ لَمْ يَكُنْ مِنْكَ مَلَامةٌ؛ فقَدْ بَلَغَتْكَ حالي، وتَحَقَّقَتْ لَوْعَتِي وغَرامِي، فلَيْسَ سِرّي مَكتومًا عَنِ الواشِينَ، ولا مَرَضِي مَقطوعًا.

وفي البيتِ الأَوَّلِ مِنَ البَديعِ: رَدُّ العَجُزِ عَلَى الصَّدْرِ في قَوْلِه: «لائمِي» و «تَلُمِ»، وفِيه أيضًا الجِنَاسُ الشَّبِيهُ بالمُشتَقِّ في قولِه: «العُذْرِيِّ»، «مَعذِرةً».

ثُمَّ اعتَرَفَ بالنُّصْحِ، فقالَ:

مَحَّضْتَنِي النُّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسمَعُه ... إنَّ المُحِبَّ عَنِ العُذَّالِ في صَمَمِ

إنِّي اتَّهَمْتُ نَصيحَ الشَّيْبِ في عَذَلٍ ... والشَّيْبُ أَبْعَدُ في نُصْحٍ عَنِ التُّهَمِ

«المَحْضُ»: الخالصُ، و«النُّصْحَ»: ضِدُّ الغِشِّ، و«العُذَّالِ»: جَمْعُ «عاذِلٍ»، أَيِ اللَّوَّامِ، و «الصَّمَمُ»: ضِدُّ السَّمْعِ. و«اتَّهَمْتُ»: مِنَ التُّهمةِ، وهِيَ الحَمْلُ على غَيْرِ المقصودِ، و«الشَّيْبُ»: بَيَاضُ الشَّعْرِ و«التُّهَمِ»: جَمْعُ تُهمةٍ.

الإعرابُ:

* «مَحَّضْتَنِي»: فِعْلٌ وفاعلٌ ومَفعولٌ أَوَّلُ، «النُّصْحَ»:مَفعولٌ ثَانٍ.

* «لَكِنْ»: حَرفُ ابتداءٍ واستدراكٍ، «لَسْتُ»:-بضَمِّ التَّاءِ- لَيْسَ واسمُها.

---

(1) والباء زائدة لتأكيد النفي بـ «لا»، و «مستتر» خبر ليس مجرور لفظًا منصوب محلاً.

* «أَسْمَعُه»: فِعْلٌ وفاعلٌ ومَفعولٌ[1]، والجُملةُ في مَحَلِّ نَصْبٍ خَبَرُ لَيْسَ.

* «إنَّ المُحِبَّ»: إنَّ واسمُها.

* «عَنِ العُذَّالِ»: -بالذَّالِ المعجَمةِ- مُتعَلِّقٌ بـ «صَمَمٍ»؛ فإنْ قُلْتَ: مَعمولُ المَصْدَرِ لا يَتَقَدَّمُ عَلَيْه، قُلْتُ: ذلكَ في غَيْرِ الظُّرُوفِ والمَجروراتِ عَلَى الأَصَحِّ. «فِي صَمَمٍ»: خَبَرُ «إنَّ».

* «إنِّي»: إنَّ واسمُها، «اتَّهَمْتُ»: خَبَرُها.

* «نَصِيحَ»: مَفعولُ «اتَّهَمْتُ»، «الشَّيْبِ»: مُضافٌ إلَيْه.

* «فِي عَذَلٍ»: بفَتْحِ الذَّالِ المعجَمةِ- اسمُ مَصْدَرٍ مُتعلِّقٌ بـ «اتَّهَمْتُ».

* و«الشَّيْبُ»: مبتَدأٌ، «أَبْعَدُ»: خَبَرُه، «فِي نُصْحٍ، عن التُّهَمِ»: مُتعلِّقانِ بـ «أَبْعَدُ»، وهُوَ اسمُ تَفضيلٍ، وفُصِلَ بَيْنَه وبَيْنَ المَفضولِ المجرورِ بـ«عن» بالجَارِّ والمَجرورِ قَبْلَه، والجملةُ حالٌ مرتبِطةٌ بالواوِ.

ومَعْنَى البيتَيْنِ:

قَدْ نَصَحْتَنِي - أَيُّها الناصحُ - نصيحةً خالِصةً؛ لكِنِّي مِنْ عِظَمِ مَحَبَّتِي لَسْتُ أَسْمَعُ نُصْحَ ناصحٍ؛ فإنَّ العاشِقَ أَصَمُّ عَنِ استماعِ نُصْحِ العُذَّالِ، كَمَا قِيلَ: (حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي ويُصِمُّ)[2]؛ فإنِّي اتَّهَمْتُ كُلَّ ناصحٍ؛ حَتَّى اتَّهمْتُ الشَّيْبَ في نُصْحِه لِي، والحالُ أنَّ الشَّيْبَ أَبْعَدُ النُّصَحاءِ عنْ مَوَاقِعِ التُّهَمِ؛ فإنَّ العاذِلَ غَيْرَه قَدْ يُتَّهَمُ بالحَسَدِ والطَّمَعِ والغَيْرَةِ وغَيْرِها، والشَّيْبُ لا يُتَصَوَّرُ شَيْءٌ مِنْ ذلكَ فِيه.

وَفِي البَيْتِ الثَّانِي مِنَ البَدِيعِ: رَدُّ العَجُزِ عَلَى الصَّدْرِ، وهُوَ مِنَ القِسْمِ الذِي جُعِلَ فيه أَحَدُ اللَّفْظَيْنِ المتجانِسَيْنِ في حَشْوِ المِصْراعِ الأَوَّلِ، وهُوَ جِنَاسُ الاشتقاقِ فِي قَوْلِه: «إنِّي اتَّهَمْتُ»، و «التُّهَمِ»، وفِيه أيضًا التَّكْرِيرُ فِي لَفْظَيِ «الشَّيْبِ».

---

(1) الفاعل ضمير مستتر وجوبًا.

(2) أخرجه أحمد في المسند، وانظر الجامع الكبير للسيوطي [1/ 197].

الفصل الثاني في التحذير من هوى النفس

فَـإِنَّ أَمَّارَتِـي بالسُّـوءِ مـا اتَّعَظَـتْ ... مِـنْ جَهْلِهـا بِنَذِيـرِ الشَّـيْبِ والهَـرَمِ

ولا أَعَـدَّتْ مِـنَ الفِعْـلِ الجَميـلِ قِـرَى ... ضَيْـفٍ أَلَـمَّ بِرأسِـي غَيْـرَ مُحتَشِـمِ

لَـوْ كُنْـتُ أَعْلَـمُ أَنِّـي مـا أُوَقِّـرُه ... كَتَمْـتُ سِـرًّا بَـدَا لِـي مِنْـه بِالْكَتَـمِ

«أَمَّارَتِي»: مُبالَغةٌ، أَيْ نَفسي الأَمَّارَةَ، و «السُّوءِ»: اسمٌ جامعٌ لِلقبائح، و «اتَّعَظَتْ»: مُطاوِعُ «وَعَظَ»، يُقالُ: وَعَظْتُه فاتَّعَظَ، أَيْ نَصَحْتُه وذَكَّرْتُه بالعَواقِبِ، و «النَّذِيرُ»: المُبَلِّغُ، ولا يُستعمَلُ إلا في التَّخويفِ، و «الهَرَم»: كِبَرُ السِّنِّ، و «أَعَدَّتْ»: أَيِ ادَّخَرَتْ، و «الجَميلِ»: الحَسَنُ، و «القِرَى»: -بكَسْرِ القافِ، والقَصْرِ- مَصْدَر «قَرَيْتُ الضَّيْفَ: أَحْسَنْتُ إِلَيْه، و «أَلَمَّ»: حَلَّ ونَزَلَ، و «مُحتَشِمٍ»: أَيْ مُسْتَحٍ. و «أُوَقِّرُه»: أُعَظِّمُه وأَحْتَرِمُه، و «كَتَمْتُ»: أَخْفَيْتُ، و «الكَتَمِ»: -بفَتْحِ التّاءِ- نَبْتٌ يُخْضَبُ بِه كالحِنَّاءِ.

الإعرابُ:

* «فَإِنَّ»: الفاءُ تعليليةٌ لِعَدَمِ قَبُولِ النُّصْحِ، و «إِنَّ»: حَرْفُ تَوْكيدٍ[1].
* «أَمَّارَتِي»: اسمُها، «بالسُّوءِ»: -بِضَمِّ السِّينِ- مُتَعلِّقٌ بـ «أَمَّارَتِي».
* «ما»: حَرْفُ نَفْيٍ: «اتَّعَظَتْ»: فِعْلٌ ماضٍ، وفاعِلُه ضميرٌ مستَتِرٌ فيه يَعودُ إلى «أَمَّارَتِي»، والجُملةُ خَبَرُ «إِنَّ».
* «مِنْ جَهْلِها»: مُتَعَلِّقٌ بـ «اتَّعَظَتْ»؛ عَلَى أَنَّه عِلَّةٌ له.

(1) مشبه بالفعل، ناقص ناسخ، ينصب الاسم ويرفع الخبر.

* «بِنَذِيرِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«اتَّعَظَتْ»، «الشَّيْبِ»: مُضافٌ إلَيْه عَلَى مَعْنَى «مِنْ»[1]، و«الهَرَمِ»:-بفتحتَيْنِ- مَعطوفٌ علَى «الشَّيْبِ».

* «ولا أَعَدَّتْ»:-بسُكونِ التاءِ- مَعطوفٌ علَى «اتَّعَظَتْ».

* «مِنَ الفِعْلِ»: مُتعلِّقٌ بـ «أَعَدَّتْ»، «الجَمِيلِ»: نَعْتُ «الفِعْلِ».

* «قِرَى»: -بكَسْرِ القافِ، وفَتْح الرّاءِ؛ بِلا تَنوينٍ لَأنَّه مُضافٌ - منصوبٌ علَى المَفعوليّةِ[2] بـ «أَعَدَّتْ»، «ضيْفٍ»: مَجرورٌ بإضافةِ «قِرَى» إلَيْه.

* «أَلَمَّ»: بفَتْحِ المِيمِ المُشدَّدةِ - فِعْلٌ ماضٍ وفاعلٌ، والجُملةُ نَعْتُ «ضَيْفٍ»، «بِرَأْسِي»: مُتَعَلِّقٌ بـ«أَلَمَّ».

* «غَيْرَ»: بالنَّصْبِ على الحالِ مِنْ فاعلِ «أَلَمَّ» المُستَتِر فيه، «مُحْتَشِمٍ»: مُضافٌ إلَيْه.

* «لَوْ»: حَرْفُ شَرْطٍ «كُنْتُ»:- بضَمِّ التّاءِ - فِعْلٌ ماضٍ ناقصٌ، والتاءُ اسمُه، وجُملةُ «أَعْلَمُ» خَبَرُه.

* «أَنِّي»:-بفَتْح الهَمْزةِ - حَرْفُ تَوكيدٍ، وياءُ المُتكلِّمِ اسمُها، «ما»: نافيةٌ، وجُملةُ «أُوَقِّرُه»؛ مِنَ الفِعْلِ والفاعلِ والمَفعولِ خَبرُها، و «أنَّ» ومَعمولاها سَدَّتْ مَسَدَّ مفعولَيْ «أَعْلَمُ»، والهاءُ لِلشَّيْبِ.

* «كَتَمْتُ»: بِضَمِّ التّاءِ- فِعْلٌ وفاعلٌ؛ جَوَابُ «لَوْ»، «سِرًّا»: مَفعولُ «كَتَمْتُ».

* «بَدَا»: فِعْلٌ ماضٍ، وفاعلُه ضميرٌ مستَتِرٌ يَعُودُ علَى «سِرًّا»، والجُملةُ نَعْتُه، «لي، مِنْه»: مُتعلِّقانِ بـ «بَدَا»، والهاءُ لِـ «سرًّا».

* «بالكَتَمِ»:-بفَتْحِ الكافِ والتاءِ - مُتعلِّقٌ بـ «كَتَمْتُ».

---

(1) أي أن الإضافة على معنى «من» البيانية أي نذير من الشيب.

(2) علامة نصبه الفتحة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر.

ومَعْنَى الأبياتِ الثلاثة:

أنَّ نَفْسي الأمَّارةَ بالسُّوءِ لَمْ تَتَّعِظْ مِنْ فَرْطِ الجَهَالةِ بنَذِيرِ الشَّيْبِ وكِبَرِ السِّنِّ البَعيدِ عنِ التُّهمَةِ؛ فإنَّ الشَّيْبَ نَذِيرُ المَوْتِ، والهَرَمَ دَلِيلُ الفَوْتِ، ولا هَيَّأَتْ مِنْ ثَمَراتِ الأعمالِ ومَحاسنِ الخِصَالِ ضِيَافةً لِقُدُومِ ضَيْفٍ كَرِيمٍ نَزَلَ برَأسي مِنْ نُورِ شَيْبِي، فلَمْ أُكْرِمْه عِنْدَ إلمامِه، ولا احتَشَمْتُه حَقَّ احتشامِه؛ فلَوْ كُنْتُ قَبْلَ نُزولِه عالمًا بأنِّي لا أُراعِي حُرْمَةَ الشَّيْبِ لَكَتَمْتُ أَوَّلَ ما بَدَا لي مِنْ سِرِّ الشَّيبِ بخِضَابٍ يَستُرُ تَحْتَه البَياضَ؛ ولا لَحِقَتْنِي زيادةُ المَلامةِ والاعتراضِ.

ثُمَّ أَرَادَ استرجاعَ ما فاتَ، فقالَ:

مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِها ... كَمَا يُرَدُّ جِمَاحُ الخَيْلِ باللُّجُمِ

فَلَا تَرُمْ بالمَعاصِي كَسْرَ شَهْوَتِها ... إنَّ الطَّعَامَ يُقَوِّي شَهْوَةَ النَّهِمِ

والنَّفْسُ كالطِّفْلِ إنْ تُهْمِلْه شَبَّ عَلَى ... حُبِّ الرَّضَاعِ وإنْ تَفْطِمْه يَنْفَطِمِ

«الجِمَاحُ»: مَصْدَرُ جَمَحَ الفَرَسُ؛ إذا غَلَبَ فارِسَه، وجَمَحَ الرَّجُلُ؛ إذا رَكِبَ هَوَاه، وعَسُرَ رَدُّه؛ فهُوَ جَمُوحٌ، و«الغَوَايَةُ»: الضَّلَالةُ، و«الرَّدُّ»: الرُّجوعُ، و«الخَيْلِ»: اسمُ جَمْع، واحِدُه فَرَسٌ في المَعْنَى، و «اللُّجُمِ»: جَمْعُ لِجَامٍ؛ فارسِيٌّ مُعَرَّبٌ، وهُوَ ما يُجْعَلُ في فَمِ الفَرَسِ.

و«الرَّوْمُ» الطَّلَبُ، و «المَعَاصي»: جَمْعُ مَعصِيَة؛ ضِدُّ الطاعةِ، و«الكَسْرُ»: الصَّرْفُ، و«النَّهِمِ»: الحَريصُ على الأكْلِ والشُّرْبِ، و«النَّفْسُ»: الرُّوحُ، و«الطِّفْل»: المَوْلُودُ، و«الإهمَالُ»: التَّرْكُ، و«شَبَّ» الغُلَامُ؛ إذا كَبُرَ، و«الرَّضَاعِ»: شُرْبُ اللَّبَنِ قَبْلَ حَوْلَيْنِ، و«فَطَمَتِ» المَرأةُ وَلَدَها: فَصَلَتْه عَنْها.

الإعرابُ:

* «مَنْ»: بفَتْحِ المِيمِ - اسمُ استفهامٍ، مُبتدَأٌ، «لِي»: خَبَرُه.

* «بِرَدِّ»: مُتعلِّقٌ بِمَا تَعَلَّقَ به المَجرورُ قَبْلَه .

* «جِمَاحٍ»: -بِجِيمٍ مَكْسورةٍ ثُمَّ حاءٍ مهمَلةٍ - مُضافٌ إليْه.

* «مِنْ غَوَايَتِها»: بفَتْحِ الغَيْنِ المعجَمَةِ - مُتَعَلِّقٌ بـ «رَدِّ».

* «كَمَا»: الكافُ: جارَّةٌ، و «ما»: مَصدريّةٌ.

* «يُرَدُّ»: فِعْلٌ مُضارِعٌ مَبْنِيٌّ لِمَا لَمْ يُسَمَّ فاعلُه، «جِمَاحُ»: نائبُ الفاعلِ، «الخَيلِ»: مُضافٌ إلَيْه، «باللُّجُمِ»:-بضَمِّ اللّامِ والجِيمِ - مُتعلِّقٌ بـ«يَرُدُّ».

* «فلَا»: حَرْفُ نَهْيٍ، «تَرُمْ»:-بضَمِّ الرَّاءِ- مَجزومٌ بـ«لا» الناهيةِ، «بالمَعاصي»: مُتَعلِّقٌ بـ«تَرُمْ».

* «كَسْرَ»: مَفعولُ «تَرُمْ»، «شَهْوَتِها» مُضافٌ إلَيْه.

* «إنَّ الطَّعَامَ»: إنَّ واسمُها.

* «يُقَوِّي»:- بضَمِّ الياءِ، وفَتْحِ القافِ، وتَشْدِيدِ الواوِ المكسورةِ - فِعْلٌ مُضارِعٌ، وفاعلُه ضَمِيرٌ مستَتِرٌ فِيه يَعودُ علَى الطَّعَامِ، «شَهْوَةَ»: مَفعولٌ به، «النَّهِمِ»:-بفَتْحِ النُّونِ، وكَسْرِ الهَاءِ- مضافٌ إلَيْه، وجُملَةُ «يُقَوِّي»: خَبَرُ «إنَّ».

* «والنَّفْسُ»: بسُكُونِ الفاءِ- مُبتدأٌ، «كالطِّفْلِ»: خَبَرُه.

* «إنْ تُهْمِلْه»:-بضَمِّ التَّاءِ- شَرْطٌ، «شَبَّ»:-بفَتْحِ المعجَمَةِ والموَحَّدَةِ - جَوَابُ الشَّرْطِ.

* «علَى حُبِّ»: -بضَمِّ الحَاءِ المهمَلةِ - مُتَعلِّقٌ بـ «شَبَّ»، «الرَّضَاعِ»:-بفَتْحِ الرَّاءِ وكَسْرِها - مُضَافٌ إلَيْه.

* «وإنْ تَفْطِمْه يَنْفَطِمِ»: بِفَتْحِ أوَّلِهِما - شَرْطٌ وجَوَابُه.

ومَعْنَى الأبْيَاتِ الثَّلاثة:

مَنْ يَرُدُّ نَفْسِي الأَمَّارَةَ بالسُّوءِ عَمَّا هِيَ عَلَيْه مِنَ الضَّلالةِ والغَوَايَةِ بالمَواعِظِ السَّنِيَّةِ، والأسرارِ الربَّانيّةِ؛ كَمَا يُرَدُّ الفَرَسُ الجَمُوحُ باللُّجُم الشَّديدةِ؟! فلَا تَطْلُبْ - أَيُّهَا المُخَاطَبُ -

كَسْرَ شَهْوَةِ النَّفْسِ بِشَيْءٍ مِنَ المَعَاصي؛ فإنَّ تناوُلَ الأطعِمَةِ اللَّذِيذةِ يُقَوِّي شَهْوَةَ الحريصِ على الأَكْلِ، ولَوْ مَنَعَ نَفْسَه عَنْ ذلكَ لَامْتَنَعَتْ؛ فإنَّ النَّفْسَ تُشْبِهُ الطِّفْلَ الرَّضِيعَ في أنَّه إنْ تُرِكَ على الرَّضَاعِ بَلَغَ أَوَانَ الشَّبَابِ وهُوَ مُستَمِرٌّ على الرَّضاعِ، وإنْ فُطِمَ امْتَنَعَ ولَمْ يَتَضَرَّرْ مِنَ الفَطْمِ.

ثُمَّ تَمَّمَ ذلكَ، فقالَ:

فاصـرِفْ هَوَاهـا وحـاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَـهُ ... إنَّ الهَـوَى مـا تَوَلَّـى يُصْـمِ أَوْ يَصِـمِ
ورَاعِهَـا وهْـيَ فـي الأعمـالِ سـائمةٌ ... وإنْ هِـيَ استَحْلَتِ المَرْعَى فلَا تُسِـمِ
كَـمْ حَسَّـنَتْ لَـذَّةً لِلْمَـرْءِ قاتِلَـةً ... مِـنْ حيثُ لَـمْ يَـدْرِ أَنَّ السُّـمَّ في الدَّسَـمِ

«الحَذَرُ»: التَّحذيرُ، و«التَّوْلِيَةُ»: الوِلايةُ والإمارةُ، و«تَوَلَّي»: تَأَمَّرَ، و«يُصْمِ»:-بِضَمِّ اليَاءِ- يَقتُلُ - وبِفَتْحِها - يَعِيبُ.

و«راعِها»: لاحِظْها، و«السَّوْمُ»: الرَّعْيُ في الكَلَأِ المُباحِ، و«استَحْلَتِ المَرْعَى»: وَجَدَتْه حُلْوًا، و«المَرْعَى»: الكَلَأُ، و«السُّمَّ»:- بتَثليثِ السِّينِ - الشيءُ القاتلُ، و«الدَّسَمِ»: الوَدَكُ كالدُّهْنِ.

* «فاصرِفْ»: فِعْلُ أَمْرٍ وفاعلٌ، «هَوَاها»: مَفعولُه.

* «وحاذِرْ»:-بالحاءِ المهمَلةِ، والذَّالِ المعجَمةِ - فِعْلُ أَمْرٍ بمَعْنَى «احذَرْ»، «أَنْ»:- بفَتْحِ الهَمزةِ، وسُكُونِ النُّونِ - حَرْفٌ مَصْدَرِيٌّ، «تُوَلِّيه»: فِعْلٌ مُضارِعٌ مَنصوبٌ بـ «أَنْ».

* «إنَّ»:- بكَسْرِ الهَمْزةِ، وتَشْدِيدِ النُّونِ - حَرْفُ تَوْكِيدٍ ونَصْبٍ، «الهَوَى»: اسمُها.

* «ما»: اسْمُ شَرْطٍ بِمَعْنَى «إنْ»، «تَوَلَّى» فِعْلٌ ماضٍ في مَوْضِعِ جَزْمٍ بـ «ما»، «يُصْمِ»:-بضَمِّ اليَاءِ، وسُكُونِ الصَّادِ المهمَلَةِ، وكَسْرِ المِيمِ- جَوَابُ الشَّرْطِ، «أَوْ»: حَرْفُ عَطْفٍ لأَحَدِ الشَّيئَيْنِ، «يَصِمِ»:- بفَتْحِ اليَاءِ، وكَسْرِ الصَّادِ المهمَلةِ- مَعطُوفٌ عَلَى «يُصْمِ»، والشَّرْطُ وجَوَابُه خَبَرُ «إنَّ».

* و«راعِها» :-بفَتْحِ الرَّاءِ وكَسْرِ العَيْنِ المُهمَلَتَيْنِ - فِعْلُ أَمْرٍ وفاعلٌ ومَفعولٌ، معطوفٌ عَلى «اصرِفْ».

* و«هِيَ» : مبتدأٌ، «في الأعمالِ» :- بفَتْحِ الهَمْزَةِ - مُتعلِّقٌ بـ «سائمةٌ».

* «سائمةٌ» :-بِسينٍ مهمَلةٍ - خَبَرُ المُبتَدأِ، والجُملةُ الحاليّةُ مرتَبِطةٌ بالواوِ والضميرِ.

* و«إنْ» : حَرْفُ شَرْطٍ، «هِيَ» فاعلٌ بفِعْلٍ مَحذُوفٍ يُفَسِّرُه «استَحْلَتِ»؛ هذا مَذهَبُ جُمهورِ البَصرِيّينَ، وذَهَبَ الأخفَشُ والكوفِيُّونَ إلى أنَّ «هِيَ» مبتدأٌ، وجُملة «استَحْلَتِ المَرْعَى» - مِنَ الفِعلِ والفاعلِ والمفعولِ -خَبَرُه.

* «فلا» : حَرْفُ نَهْيٍ، «تُسِم» : بضَمِّ التّاءِ، وكَسْرِ السِّينِ - مَجزومٌ بـ «لا» الناهيةِ، وكُسِرَ للقافيةِ، ومَفعولُه مَحذوفٌ، والجُملةُ جَوابُ الشَّرْطِ، وقُرِنَتْ بالفاءِ؛ لأَنَّها طَلَبِيَّةٌ.

* «كَمْ» : خَبريّةٌ بِمَعْنَى «كَثِيرٍ»، مَحَلُّها نَصْبٌ على المَصدريّةِ؛ أَيْ كَمْ تَحسينٍ.

* و«حَسَّنَتْ» :-بتشديدِ السِّينِ المُهْمَلةِ - فعْلٌ ماضٍ، وفاعلُه مُستَتِرٌ فيه يَعودُ عَلَى النَّفْسِ.

* «لَذَّةً» : بفَتْحِ اللَّامِ والذَّالِ المعجَمةِ - مَفعولُ «حَسَّنَتْ»، «لِلمَرْءِ» : مُتَعَلِّقٌ بـ« حَسَّنَتْ »،

* «قاتلةً» : نَعْتُ «لَذَّةً»، «مِنْ حَيْثُ» :- بتثليثِ المُثلَّثةِ - مُتَعَلِّقٌ بـ «قاتلةً».

* «لَمْ يَدْرِ» : جازمٌ ومَجزومٌ.

* «أنَّ» :-بفَتْحِ الهَمْزةِ - حَرْفُ توكيدٍ، «السُّمَّ» : اسمُ «أَنَّ»، «في الدَّسَمِ» :- بفَتْحتَيْنِ- خَبَرُها و «أنَّ» ومَعمولاها مَفعولُ «يَدْرِ».

* و«يَدْرِ» ومعمولُه في مَوضِعِ خَفْضٍ بإضافةِ حَيثُ إلَيْه.

ومَعْنَى الأبياتِ الثَّلاثة:

أَمْسِكْ عِنانَ النَّفْسِ، واصرِفْ هَوَاها عَمَّا هِيَ عَلَيْه مِنْ طَلَبِ اللَّذَّاتِ، والانهماكِ علَى الشَّهَوَاتِ، وجاهِدْ في الحَذَرِ عَنْ سُلطانِ الهَوَى وولايَتِه؛ فإنَّ الهَوَى ما دامَ واليًا علَى المَرْءِ فإمَّا أَنْ يَقتُلَه مُعاقَصةً، وإمَّا أَنْ يَعِيبَه، وأَحْسِنْ رَعْيَ النَّفسِ في حالِ كَوْنِها سائمَةً في رِيَاضِ الأعمالِ؛ لئَلَّا تَتباعَد وتَتَمادَى في رَعْيِها؛ فَتَسْتَحْلِيَ المَرْعَى، وإنِ استَحْلَتْه فلا تُسِمْها فيه فتَتَمرَّدَ عَلَيْكَ، ولا تُطيعَكَ بَعْدَ ذلك، وإيّاكَ وتَلبِيسَ النفْسِ؛ فكَمْ زَيَّنَتْ وحَسَّنَتْ لِلمَرْءِ لَذَّةً قاتلةً له بحيثُ لا يَعْلَمُ أَنَّ فيما يَلتَذُّ به مِنَ الطعامِ الدَّسِمِ سُمًّا قاتلًا لِآكِلِه.

وَفِي البَيتِ الأَوَّلِ مِنَ البَديعِ: الجِنَاسُ المُحَرَّفُ في قَوْلِه: «يُصْمِ أَوْ يَصِمِ»، وفي البَيْتِ الثَّاني: رَدُّ العَجُزِ على الصَّدْرِ في «سائمةٌ»، و «تُسِمِ»، وهُوَ مِنَ القِسْمِ الذِي جَعَلَ أَحَدَ مُتجانِسَيِ الاشتقاقِ في آخِرِ المِصْراعِ الأَوَّلِ.

واخْشَ الدَّسائسَ مِنْ جُوعٍ وَمِنْ شِبَعٍ	فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَ التُّخَمِ
واستَفْرِغِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدِ امتَلَأَتْ	مِنَ المَحارِمِ والزَمْ حِمْيَةَ النَّدَمِ

«الخشْيَةُ»: الخَوْفُ، و «الدَّسائسَ»: جَمْعُ دَسِيسةٍ؛ وهِيَ الفِتْنَةُ الخَفِيَّةُ، مِنَ «الدَّساسةِ» وهِيَ الكَيْدُ والمَكْرُ الخَفِيُّ، و«المَخْمَصَةُ»: المَجَاعةُ، و«التُّخَمِ»: جَمْعُ تُخْمَةٍ؛ وهِيَ فَسَادُ الطَّعَامِ في المَعِدةِ مِنَ الامتلاءِ، و«اسْتَفْرِغْ»: مِنَ التَّفريغ؛ وهُوَ التَّخْلِيَة، و«المَحَارِمِ»: جَمْعُ مَحْرَمٍ؛ وهُوَ الحَرَامُ، و«الحِمْيَةُ»: المَنْعُ مِمَّا يَضُرُّ، و«النَّدَمِ»: الأَسَفُ.

الإعرابُ:

* و«اخْشَ الدَّسائسَ»: فِعْلُ أَمْرٍ، وفاعلٌ، ومَفعولٌ به، «مِنْ جُوعٍ، ومِنْ شِبَعٍ» فِي مَوْضِعِ الحَالِ مِنَ «الدَّسَائسَ»، و«مِنْ»: لِبَيَانِ الدَّسائسِ.

* «فرُبَّ»: حَرْفُ جَرٍّ، «مَخْمَصَةٍ»: مَجْرُورٌ بـ«رُبَّ» فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ عَلَى الابتداءِ.

* «شَرٌّ»: خَبَرُه؛ كقَولِه: «ورُبَّ قَتْلٍ عارُ»[1]، «مِنَ التُّخَمِ»:- بضَمِّ التَّاءِ الفوقيّةِ، وفَتْحِ الخَاءِ المعجَمةِ - مُتَعلِّق بـ «شَرٌّ».

* و«استَفْرِغِ الدَّمْعَ»: فِعْلُ أَمْرٍ، وفاعلٌ، ومَفعولٌ، «مِنْ عَيْنٍ»: في مَوْضِعِ الحالِ مِنَ «الدَّمْعَ».

* «قَدْ» حَرْفُ تَحقيقٍ، «امتَلَأَتْ»: فِعْلٌ ماضٍ، وفاعلُه مُسْتَتِرٌ يَعودُ إلى «عَيْنٍ»، «مِنَ المَحَارِمِ»: مُتعَلِّقٌ بـ «امتَلَأَتْ».

* و«الْزَمْ»:-بفَتْحِ الزَّايِ - فِعْلُ أَمْرٍ مَعطُوفٌ على «استفْرِغ»، «حِمْيَةَ»:- بكَسْرِ الحاءِ المهمَلةِ - مَفعولٌ به، «النَّدَمِ»: مُضافٌ إلَيْه.

ومَعْنَى البيتَيْنِ:

واخْشَ المَهالكَ الخَفِيَّةَ الحاصلَ بعضُها مِنَ الجُوعِ؛ كسُوءِ الخُلُقِ والحِدَّةِ والذُّبُولِ وضَعْفِ قُوَى البَدَنِ وغَيْرِ ذلك، وبعضُها مِنَ الشِّبَعِ؛ كالكَسَلِ وغَلَبَةِ الشَّهْوَة وإظْلَامِ القَلْبِ وغَيْرِ ذلكَ، وكُلٌّ مِنْ هذه الأُمُورِ مُشَوِّشٌ لِلعِبَادةِ، وقَدْ تَحْصُلُ العِبَادةُ مَعَ الشِّبَعِ دُونَ الجُوعِ، فَيَكونُ الجُوعُ شَرًّا مِنَ الشِّبَعِ، فانظُرْ في مَصْلَحَتِكَ، وأَكْثِرِ البُكَاءَ عَلَى خَطيئَتِكَ، وأَفْرِغِ الدُّمُوعَ مِنْ عَيْنٍ قَدِ امتَلَأَتْ مِنَ الالتِذاذِ بالحَرَامِ، والتَزِمِ الوَرَعَ والاحترازَ عَمَّا يَجِبُ أَنْ يَحْتَمِيَ مِنْه التائبُ النادِمُ على ما فَرَّطَ؛ لَعَلَّ اللهَ تعالى يَقْبَلُ تَوْبَتَكَ، ويَجْعَلُ البُكَاءَ كَفَّارةً لِذَنْبِكَ.

وخالِفِ النَّفْسَ والشَّيْطَانَ واعْصِهِمَا ... وإنْ هُمَا مَحَّضَاكَ النُّصْحَ فاتَّهِمِ

ولا تُطِعْ مِنْهُما خَصْمًا ولا حَكَمًا ... فأَنْتَ تَعْرِفُ كَيْدَ الخَصْمِ والحَكَمِ

«النَّفْسَ»: الرُّوحُ، وقِيلَ: الدَّمُ، وقِيلَ: جَمِيعُ البَدَنِ، وقِيلَ غَيْرُ ذلكَ، و«الشَّيْطَانَ»:

---

(1) مقتبس من قول بعض الشعراء:

إنْ يقتلوك فإنّ قتْلَكَ لم يكن ... عارًا عليك، ورُبَّ قتلٍ عارُ

إنْ كانَ مِنْ «شَطَنَ» فَمَعْنَاه المُبْعَدُ، وإنْ كَانَ مِنْ «شَاطَ» فمَعْنَاه الهالِكُ أَوِ المُحتَرِقُ، ووَزْنُه على الأَوَّلِ «فَيْعَالٌ»، وعلى الثانِي «فَعْلَانٌ»، و«مَحَّضَاكَ»: أَخْلَصَاكَ، و«الخَصْمِ»: المُنازِعُ، و«الحَكَمِ»: المُحَكَّمُ.

الإعرابُ:

* و«خَالِفِ النَّفْسَ»: فِعْلُ أَمْرٍ وفاعلٌ، ومَفْعُولٌ، و«الشَّيْطانَ» مَعطُوفٌ عَلَى «النَّفْسَ».
* و«اعْصِهِمَا»: فِعْلُ أَمْرٍ، وفاعلٌ، ومَفْعُولٌ؛ مَعطُوفٌ عَلَى «خالِفِ النَّفْسَ»، والجَمْعُ بَيْنَ المخالَفَةِ والعِصْيَانِ لِلتَّأْكِيدِ بالمُرادِفِ، وعَطْفُ الجُمَلِ في التأكِيدِ خاصٌّ بـ«ثُمَّ» كَمَا صَرَّحَ به الشَّيْخُ أَبو حَيَّانَ في «الارتِشَافِ».
* و«إنْ»: حَرْفُ شَرْطٍ، «هُمَا»: فاعلُ فِعْلٍ مَحْذُوفٍ يُفَسِّرُه المَذكُورُ، والتقديرُ: وإنْ مَحَّضَكَ هُمَا، ويَجُوزُ عِنْدَ الكوفِيِّينَ والأخفَشِ أَنْ يَكُونَ مبتَدأً، «مَحَّضَاكَ»: فِعْلٌ، وفاعلٌ، ومَفْعُولٌ أَوَّلُ، «النُّصْحَ»: مَفْعُولٌ ثانٍ، والجُمْلةُ على الأَوَّلِ لا مَحَلَّ لهَا؛ لِأَنَّها مُفَسِّرَةٌ، وعلَى الثَّاني مَحَلُّها الرَّفْعُ؛ لِأَنَّها خَبَرُ المبتَدأِ[1].
* «فاتَّهِمِ»: جَوَابُ الشَّرْطِ، وقُرِنَ بالفاءِ؛ لِأَنَّه فِعْلُ أَمْرٍ، وحُرِّكَ بالكَسْرِ؛ لِمُوَافَقةِ حَرْفِ الرَّوِيِّ.
* و«لا» حَرْفُ نَهْيٍ، «تُطِعْ»: مَجْزومٌ بـ«لا» الناهِيَةِ، «مِنْهُمَا»: مُتَعَلِّقٌ بـ«تُطِعْ»، وضَميرُ التَّثْنِيَةِ لِلنَّفْسِ والشَّيْطانِ.
* «خَصْمًا»: مَفْعُولُ «تُطِعْ»، «ولا حَكَمًا»: بفَتْحَتَيْنِ - مَعطوفٌ علَى «خَصْمًا»، وزِيدَتْ «لا» بَعْدَ العاطِفِ لِإفادَةِ التأكِيدِ في النَّهْيِ.
* «فأَنْتَ»: مُبتَدَأٌ، «تَعْرِفُ»: خَبَرُه، «كَيْدَ»: مَفعولُ «تَعْرِفُ»، «الخَصْمِ»: مُضافٌ إلَيْه، «والحَكَمِ»:-بفَتْحِ الحاءِ والكافِ - مَعطُوفٌ عَلَى الخَصْمِ.

---

(1) على الأول: أي كون الضمير في محل رفع فاعل، وعلى الثاني: أي قول الكوفيين والأخفش.

ومَعْنَى البَيْتَيْن:

أَنَّ النَّفْسَ والشَّيطانَ عُدُوَّانِ مُبِينَانِ لَكَ؛ فخالِفْهُما فِيمَا يَأْمُرانِكَ بِه ويَنْهَيَانِكَ عَنْه، واعصِهِمَا في ذلكَ، وإنْ أَخْلَصَا لَكَ النُّصْحَ فاتَّهِمْهُمَا فيه، ولا تَعتَقِدْ نُصْحَهُما؛ فإنَّ أَحَدَهُما خَصْمُكَ، والآخَرَ حاكِمٌ عَلَيْكَ، ومِثْلُكَ لا يَخْفَى عَلَيْه مَكْرُ الخَصْمِ وجَوْرُ الحاكِمِ المُتَعَصِّبِ.

وفِي البَيْتِ الثَّانِي مِنَ البَدِيعِ: رَدُّ العَجُزِ عَلَى الصَّدْرِ فِي تَكْرِيرِ الخَصْمِ والحَكَمِ.

ولمَّا استَكْمَلَ ما بَذَلَ فِيه النُّصْحَ لِمُخاطَبِه بِطَرِيقِ التَّخلِيصِ ممَّا أَحَاطَ بِه، أَثْبَتَه لِنَفْسِه؛ حَيثُ لَمْ يَعْمَلْ بِمَا قالَه؛ وطَلَبَ الغُفْرَانَ مِنْ هَذِه المقَالَةِ؛ فَقَالَ:

أَسْـتَغْفِرُ اللهَ مِـنْ قَـوْلٍ بِـلَا عَمَـلٍ	لَقَـدْ نَسَـبْتُ بِـهِ نَسْـلًا لِـذِي عُقُـمِ
أَمَرْتُـكَ الخَيْـرَ لَكِـنْ مـا ائْتَمَـرْتُ بِـهِ	وَمَـا اسْـتَقَمْتُ، فَمَـا قَوْ لِي لَكَ اسْتَقِمِ
وَلَا تَـزَوَّدْتُ قَبْـلَ المَـوْتِ نافِلَـةً	وَلَـمْ أُصَـلِّ سِـوَى فَـرْضٍ، وَلَـمْ أَصُـمِ

«الاستغفارُ» طَلَبُ المَغْفِرَةِ، و«نَسَبْتُ»: عَزَوْتُ، و«النَّسْلُ»: الوَلَدُ، و«عُقُمٍ»: مَصْدَرُ «عَقِمَتِ الرَّحِمُ»؛ أَيْ لَمْ تَقْبَلِ الوَلَدَ، و«الأَمْرُ»: الطَّلَبُ، و«الخَيْرَ»: ضِدُّ الشَّرِّ، و«ائْتَمَرْتُ»: أَيِ امْتَثَلْتُ، و«اسْتَقَمْتُ»: اعتَدَلْتُ.

و«الزَّادُ»: في الأَصْلِ الطَّعَامُ المُتَّخَذُ لِلسَّفَرِ؛ والمُرَادُ هُنَا الطاعاتُ النافعةُ في الآخِرَةِ، و«المَوْتِ»: مُفارَقَةُ الرُّوحِ الجَسَدَ، و«النافِلَةُ»: الزِّيَادةُ على الواجِبَاتِ، و«سِوَى»: بِمَعْنَى «غَيْرَ».

الإعرابُ:

* «أَسْتَغْفِرُ»:- بفَتْحِ الهَمْزَةِ- فِعْلٌ مُضارِعٌ، وفاعِلُه مُسْتَتِرٌ فِيه وُجُوبًا، «اللهَ»: مَنصُوبٌ[1] بـ «أَسْتَغْفِرُ».

(1) أي: «منصوبٌ على التعظيم» من باب الأدب مع اللّه تعالى، كما أشار إليه زين الدين الآثاري

* «مِنْ قَوْلٍ»: مُتَعَلِّقٌ بـ «أَسْتَغْفِرُ»، «بِلَا عَمَلٍ»: نَعْتُ «قَوْلٍ».

* «لَقَدْ»: اللَّامُ مُؤَكِّدَةٌ لِجَوَابِ قَسَمٍ مَحذُوفٍ، و «قَدْ»: حَرْفُ تَحقيقٍ، والتقديرُ: «واللهِ لَقَدْ».

* «نَسَبْتُ»:-بفَتْحِ المُهْمَلَةِ، وسُكُونِ المُوَحَّدَةِ، وضَمِّ التَّاءِ - فِعْلٌ وفاعلٌ، «بِهِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ «نَسَبْتُ»، والهاءُ لِـ «قَوْلٍ»، «نَسْلًا»: مَفْعُولُ «نَسَبْتُ».

* «لِذِي»:-بِكَسْرِ اللَّامِ والذَّالِ المعجَمةِ - جَارٌّ ومَجْرورٌ مُتَعَلِّقٌ بـ «نَسَبْتُ»، «عُقُمٍ»:-بضَمَّتَيْنِ- مُضافٌ إلَيْه؛ وأَصْلُ القافِ السُّكُونُ، وضَمُّها لُغَةٌ جارِيَةٌ في الثُّلَاثِيِّ المَضْمُومِ أَوَّلُه، كعُسُرٍ ويُسُرٍ.

* «أَمَرْتُكُ الخَيْرَ»: فِعْلٌ ماضٍ، وفاعلٌ، ومَفعولَانِ.

* «لكِنْ»: حَرْفُ ابتِداءٍ واستِدْراكٍ، «مَا»: نَافِيَةٌ، «ائْتَمَرْتُ»:- بِضَمِّ تاءِ المُتكَلِّمِ- فِعْلٌ ماضٍ وفاعلٌ، والأَصْلُ «إِئْتَمَرْتُ» - بِهَمْزَتَيْنِ: مَكسُورةٍ، فسَاكِنَةٍ؛ قُلِبَتِ السَّاكِنَةُ يَاءً لِانكِسَارِ ما قَبْلَها، «بِهِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«ائْتَمَرْتُ»، والهاءُ «لِلخَيْرِ».

* و«ما»: نافِيَةٌ، «استَقَمْتُ»:-بالضَّمِّ- فِعْلٌ وفاعلٌ.

* «فمَا»: اسمُ استفهامٍ مُبتَدَأٌ، «قَوْلِي»:-بفَتْحِ القافِ- خَبَرُه، «لَكَ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«قَوْلِي»، «استَقِمْ»: فِعْلُ أَمْرٍ وفاعلٌ، فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ علَى المَفْعُولِيَّةِ لِـ«قَوْلِي».

* «ولا»: حَرْفُ نَفْيٍ، «تَزَوَّدْتُ»: بالضَّمِّ - فِعْلٌ وفاعلٌ، «قَبْلَ»: ظَرْفُ زَمَانٍ مَنْصُوبٌ بـ«تَزَوَّدْتُ»، «المَوْتِ»: مُضافٌ إلَيْه، «نافِلَةً»:-بالفَاءِ- مَفْعُولُ «تَزَوَّدْتُ».

* و«لَمْ»: حَرْفُ نَفْيٍ، «أُصَلِّ»: فِعْلٌ مُضارِعٌ مَجْزُومٌ بـ «لَمْ»، وعَلَامةُ جَزْمِه حَذْفُ

النحوي [ت 828هـ] في خاتمة ألفيته «كفاية الغلام في إعراب الكلام» تحقيق ناجي، حيث قال:

خاتمة الفصول إعرابُ الأدبْ ... مع الإلهِ، وهو بعضُ ما وجَبْ

فالربُّ مسؤولٌ بأفعال الطلَبْ ... كـ «اغفِرْ لنا» والعبدُ بالأمْرِ انتدَبْ

وفي «سألتُ الله» في التعليمِ ... تقولُ: منصوبٌ على التعظيمِ

اليَاءِ، «سِوَى»: مَفْعُولُ «أُصَلِّ»، لا ظَرْفُ مَكَانٍ[1]، «فَرْضٍ»: مُضافٌ إلَيْه.

* «ولَمْ أَصُمِ»: مَعْطُوفٌ عَلَى «لَمْ أُصَلِّ»، ومَفْعُولُه مَحْذوفٌ مُمَاثِلٌ لِمَا قَبْلَه، والتقديرُ: «ولَمْ أَصُمْ سِوَى فَرْضٍ»؛ فحُذِفَ مِنَ الثَّانِي لِدلَالَةِ الأَوَّلِ عَلَيْه.

ومَعْنَى الأبْيات الثَّلاثة:

أَنِّي أستَغْفِرُ اللهَ مِنْ قَوْلي هذا؛ فإنّي عَقِيمٌ عَنْ تَقديمِ عَمَلٍ يُناسِبُ مَقالِي؛ فإنَّ نَتيجةَ القَوْلِ العَمَلُ، فلَمَّا لَمْ يُنتِجْ قَوْلِي عَمَلًا فهُوَ كالرَّحِمِ العَقيمةِ التِي لَمْ تُنْتِجْ وَلَدًا، ووالله لَقَدْ عَزَوْتُ بِهذا القَوْلِ الخَالِي عَنِ العَمَلِ وَلَدًا لِعَقِيمٍ؛ فَقَدْ أَمَرْتُكَ بالعَمَلِ الصالِحِ وما فَعَلْتُ أَنَا ما أَمَرْتُكَ بِه، ومَا اعتَدَلْتُ بإقامةِ نَفْسي علَى الاستقامة؛ فَمَا فائدةُ قَوْلِي لَكَ: «اعتَدِلْ أَنْتَ» إذا لَمْ أَعْتَدِلْ أَنَا، وقَدْ قالَ اللهُ العظيمُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: 2 - 3]؟!

ومَا تَزَوَّدْتُ قَبْلَ نُزُولِ المَوْتِ زادًا مِنَ النَّوَافِلِ، واقتَصَرْتُ مِنَ الصَّلَاةِ والصَّوْمِ على الفَرْضِ مِنْهُمَا!!

(1) من قال بظرفيتها وملازمتها للظرفية سيبويه، وجمهور البصريين.

الفصل الثالث في مدح النبي ﷺ

ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَّلَامَ إِلَى ... أَنِ اشْتَكَتْ قَدَمَاه الضُّرَّ مِنْ وَرَمِ

وشَدَّ مِنْ سَغَبٍ أَحْشَاءَهُ وَطَوَى ... تَحْتَ الحِجَارَةِ كَشْحًا مُتْرَفَ الأَدَمِ

ورَاوَدَتْه الجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ ... عَنْ نَفْسِه، فأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمِ

وأَكَّدَتْ زُهْدَهُ فِيها ضَرُورَتُهُ ... إِنَّ الضَّرورةَ لا تَعْدُو عَلَى العِصَمِ

«ظَلَمْتُ»: تَرَكْتُ، و«السُّنَّةُ»: السِّيرَةُ والطَّرِيقَةُ، و «أَحْيَا الظَّلَامَ»: قامَ في اللَّيْلِ عَلَى قَدَمَيْه، و «اشْتَكَتْ»: أَيْ أَظْهَرَتِ الشِّكَايَةَ، و«القَدَمُ»: طَرَفُ الرِّجْلِ مِمَّا يَلِي الأصابعَ، و«الضُّرَّ»: الأَلَمُ والهُزَالُ، و«الوَرَمُ»: الانتِفَاخُ، و«السَّغَبُ»: الجُوعُ، و«الأَحْشَاءُ»: جَمْعُ «حَشًا»، وهُوَ مَا انضَمَّتْ عَلَيْهِ الضُّلُوعُ، و«الطَّيُّ»: الثَّنْيُ، و«الكَشْحُ»: ما بَيْنَ الخاصِرَةِ إلى الضِّلْعِ، و«المُتْرَفُ»: المُنَعَّمُ، و«الأَدَمِ»: جَمْعُ أَدَمَةٍ، وهِيَ باطِنُ الجِلْدِ و«البَشَرَةُ» ظاهِرُه.

و«راوَدَتْه»: أَيْ دَعَتْه إِلَى نَفْسِها، و «الشُّمُّ»: جَمْعُ «أَشَمَّ»؛ وهُوَ العَالِي، «فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمِ»: أَيْ أَعْرَضَ عَنْهَا، وارتَفَعَ عَنْها غايةَ الارتفاعِ، و «أَكَّدَتْ»: قَوَّتْ، و«الزُّهْدُ»: ضدُّ الرَّغْبَةِ، و«الضرورةُ»: الحاجَةُ، و«لا تَعْدُو»: أَيْ لا تَظْلِمُ، و«العِصَمِ»: جَمْعُ «عِصْمَةٍ»؛ وهِيَ المَنْعُ والحِفْظُ.

الإعرابُ:

* «ظَلَمْتُ»: بضَمِّ التَّاءِ- فِعْلٌ وفاعلٌ، «سُنَّةَ»:- بضَمِّ السِّينِ - مَفْعولٌ بِه، «مَنْ»:- بفَتْحِ المِيمِ- مَوْصُولٌ اسْمِيٌّ، مُضافٌ إِلَيْه.

* «أَحْيَا الظَّلَامَ»: فِعْلٌ، وفاعلٌ، ومَفْعُولٌ، والجُمْلَةُ صِلَةُ «مَنْ»، وعائدُها فاعلُ «أَحْيَا» المستَتِرُ فيه.

* «إِلَى»: حَرْفُ جَرٍّ وغايَةٍ، «أَنِ»:-بفَتْحِ الهَمْزَةِ، وسُكُونِ النُّونِ، وكُسِرَ لِالْتِقَاءِ الساكِنَيْن- مَوْصُولٌ حَرْفِيٌّ.

* «اشْتَكَتْ قَدَمَاه»: فِعْلٌ وفاعلٌ؛ صِلَةُ «أَنِ»، «الضُّرَّ»:-بِضَمِّ الضَّادِ المعجَمةِ - مَفْعُولُ «اشتَكَتْ»، «مِنْ وَرَمٍ» جارٌّ ومَجْرورٌ في مَوْضِعِ الحالِ مِنَ «الضُّرَّ»، أَوْ مُتعَلِّقٌ بـ «اشتَكَتْ»؛ عَلَى أَنَّ «مِنْ» لِلتَّعليلِ.

* «وشَدَّ»:- بفَتْحِ الشِّينِ المعجَمَةِ - فِعْلٌ وفاعلٌ مستَتِرٌ، «مِنْ سَغَبٍ»:-بفَتْحِ السِّينِ المهْمَلةِ، والغَيْنِ المعجَمةِ- مُتَعَلِّقٌ بـ«شَدَّ»، و«مِنْ»: لِلتعليلِ، «أحشَاءَهُ»: مَفْعولُ «شَدَّ».

* و«طَوَى»: بفَتْحِ الطَّاءِ والواوِ - مَعْطُوفٌ عَلَى «شَدَّ»، «تَحْتَ»: ظَرْفُ مَكَانٍ مَنْصوبٌ بـ «طَوَى»، «الحِجَارةِ»: مُضَافٌ إِلَيْه، «كَشْحًا»:-بفَتْحِ الكافِ، وسُكُونِ الشِّينِ المعجَمةِ، وبالحاءِ المُهْمَلةِ - مَفْعُولُ «طَوَى».

* «مُتْرَفَ»: بالتَّاءِ الفَوْقِيَّةِ الساكِنَةِ، والرَّاءِ المُهْمَلةِ المَفتُوحةِ، وبالفَاءِ - نَعْتُ «كَشْحًا»، «الأَدَمِ»: بفَتْحِ الهَمْزةِ والدَّالِ المُهْمَلةِ - مُضَافٌ إِلَيْه؛ مِنْ إضافةِ اسم المَفعولِ إلى نائبِ الفاعلِ، والأَصْلُ: «مُتْرَفًا أَدَمُه»، أَيْ مُنَعَّمًا جِلْدُه.

* و«راوَدَتْهُ الجِبَالُ»: فِعْلٌ وفاعلٌ ومَفْعولٌ، «الشُّمُّ»:-بضَمِّ الشِّينِ المعجَمةِ-نَعْتٌ، «مِنْ ذَهَبٍ»: في مَوْضِعِ الحالِ مِنَ «الجِبَالُ».

* «عَنْ نَفسِه»: مُتَعَلِّقٌ بـ«راوَدَتْه».

* «فأَرَاها»:بفَتْحِ الهَمْزةِ والرّاءِ المهْمَلةِ - فِعْلٌ وفاعلٌ مستَتِرٌ ومَفْعولٌ، «أَيَّمَا»:-بفَتْحِ اليَاءِ التَّحتيَّةِ المُشَدَّدةِ- نَعْتٌ لِمَصْدَرٍ مَحذُوفٍ، و «ما»: زائِدةٌ، «شَمَمٍ»:-بفَتْحِ الشِّينِ المعجَمةِ والمِيمِ - مُضَافٌ إِلَيْهِ؛ والتقديرُ: فأَرَاها شَمَمًا أَيَّ شَمَمٍ.

* و«أَكَّدَتْ»: فِعْلٌ ماضٍ، وتاءُ تأنيثٍ، «زُهْدَه»: مَفعولُ «أَكَّدَتْ»، ومُضافٌ إلَيْه، «فِيها»: مُتَعلِّقٌ بـ «زُهْدَه»، «ضَرُورتُه»:-بالرَّفْعِ- فاعلُ «أَكَّدَتْ»، ومُضافٌ إلَيْه.

* «إنَّ الضَّرُورةَ» إنَّ واسمُها، «لا»: نافِيَةٌ، «تَعْدُو»:- بالعَيْنِ المهمَلةِ- فِعْلٌ وفاعلٌ مستَتِرٌ؛ خَبَرُ «إنَّ»، «على العِصَمِ»:-بكَسْرِ العَيْنِ، وفَتْحِ الصَّادِ المُهْمَلَتَيْنِ- مُتَعَلِّقٌ بـ «تَعْدُو».

ومَعْنَى الأبيَاتِ الأربعة:

تَرَكْتُ طَريقةَ نَبِيٍّ أَحْيَا اللَّيَاليَ المُظْلِمةَ مَعَ عُلُوِّ قَدْرِه وارتفاعِ مَكانِه لإقامةِ وَظائفِ العُبُوديّةِ عَلَى قَدَمَيْه الكريمتَيْنِ حتَّى ظَهَرَ الوَجَعُ والوَرَمُ عَلَيْهما، وشَدَّ وَسَطَه المبارَكَ بالحَجَرِ، وطَوَى خَصْرَه النَّاعِمَ الشَّريفَ تَحْتَ الحِجَارةِ تَخفيفًا لِأَلَمِ الجُوعِ، لا لِلعَجْزِ والقُصُورِ عَنْ تَدبيرِ ما لا بُدَّ مِنْه في أَمْرِ المَعِيشةِ؛ فإنَّ الجِبَالَ العَوَاليَ مِنَ الذَّهَبِ الخالِصِ كانَتْ تَدْعُوه إلى نَفْسِها، فكانَ يُعرِضُ عَنْها، ويُظهِرُ لها أعلَى تَرَفُّعٍ واستغناءٍ، ومِمَّا يُؤَكِّدُ زُهْدَه في زخارفِ الدُّنْيا حاجتُه الضروريةُ، وفاقتُه الزائدةُ، والضَّروراتُ تُبيحُ المَحظوراتِ؛ فكَيْفَ المُبَاحاتُ المُحتاجُ إلَيْها، والضَّرُورةُ لا تَمْنَعُ العِصمةَ.

أَمَّا إحياؤُه الليلَ، فمِنْ قَوْلِه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ..﴾ [المزمل: 20]، وأَمَّا تَوَرُّمُ قَدَمَيْه فمِن قَوْلِه ﷺ؛ وقَدْ قيلَ له: أَتَتَكَلَّفُ هذا وقَدْ غَفَرَ اللهُ لكَ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وما تَأَخَّرَ؟! فقالَ: (أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟!) رَواه الشَّيخانِ[1]، وأمّا شَدُّه الحَجَرَ على بطنِه مِن الجُوعِ فقَدْ وقَعَ له في حَفْرِ الخَندقِ. رَوَاه البخاريُّ[2].

وأَمَّا مُراوَدةُ الجبَالِ له فمَأخوذةٌ مِنْ حديثِ أَنَّ جبريلَ قالَ له: إنَّ اللهَ تعالى يَقولُ

---

(1) البخاري [كتاب الجمعة، باب قيام النبي ﷺ الليل حتى ترم قدماه]، ومسلم [كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة]، كلاهما من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(2) صحيح البخاري [كتاب المغازي، يوم الخندق] من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفيه: (ثم قام وبطنه معصوب بحجر...)

لكَ: أَتُحِبُّ أنْ أجْعَلَ لكَ هذه الجبالَ ذَهَبًا، وتَكونَ مَعَكَ حيثُما كُنْتَ؟ فأطْرَقَ ساعةً، ثُمَّ قالَ: «يا جبريلُ، إنَّ الدُّنْيَا دارُ مَنْ لا دارَ له»، الحديثُ بِطُولِه في «الشِّفَا»[1].

وكَيْفَ تَدْعُو إلى الدُّنْيَا ضرورةُ مَنْ ... لَوْلَاه لَمْ تُخْرَجِ الدُّنْيَا مِنَ العَدَمِ

محمدٌ سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ والثَّقَلَيْـ ... ـنِ والفريقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ ومِنْ عَجَمِ

«العَدَم»: المرادُ به هنا التَّقَدُّمُ على المُمْكِنَاتِ قَبْلَ وُجودِها، و«السَّيِّدُ»: الجَليلُ العظيمُ، و«الكَوْنَانِ»: الدُّنْيَا والآخِرةُ، و«الثَّقَلَانِ»: الإنسُ والجِنُّ، و «الثَّقَلُ»: -بالفَتْحِ- النَّفِيسُ مِنَ الشَّيْءِ، وأَنْفَسُ ما على وَجْهِ الأرض الإنسُ والجِنُّ؛ فلِذلكَ سُمِّيَا ثَقَلَيْنِ، و «الفريقانِ» العَرَبُ والعَجَمُ، والفريقُ: الجماعةُ الكثيرةُ، والعربيُّ: ما أَفْصَحَ بِلُغَةِ العَرَبِ، والعَجَميُّ بِخلافِه.

الإعرابُ:

* «وكَيْفَ»: مُتَعَلِّق بـ«تَدْعُو»؛ بمعنَى «ما» النافيةِ.
* «تَدْعُو»: فِعْلٌ مضارِعٌ، «إلى الدُّنْيَا»: مُتعلِّقٌ بـ «تَدْعُو»، «ضَرورةُ»: فاعلُ «تَدْعُو»، «مَنْ»: مَوصولٌ اسمِيٌّ، مُضافٌ إلَيْه.
* «لَوْلَاه» جارٌّ ومَجرورٌ عِنْدَ سِيبوَيْهِ[2].
* «لَمْ تُخْرَجِ»: بضَمِّ التاءِ، وفَتْحِ الرَّاءِ - جازِمٌ ومَجْزومٌ، «الدُّنْيَا»: نائبُ فاعل «تُخْرَجِ»، «مِنَ العَدَمِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«تُخْرَجِ»، وجُملةُ «لَمْ تُخْرَجِ... إلى آخِرِه» جَوَابُ «لَوْلَا»، و«لَوْلَا» وجَوَابُها صِلَةُ «مَنْ»، وعائدُها الهاءُ مِنْ «لَوْلَاه».
* «مُحمَّدٌ»: -بالرَّفْعِ- بَدَلٌ مِنْ فاعلِ «أَحْيَا» في البَيْتِ السابقِ، أَوْ مبتَدَأٌ، و «سَيِّدُ»:

(1) انظر الشفا للقاضي عياض.

(2) «لولا» عند سيبويه والجمهور تأتي على وجهين: تكون حرف ابتداء إذا وليها اسم ظاهر أو ضمير رفع منفصل، وتكون حرف جر شبيه بالزائد ليس له متعلق إذا وليها ضمير متصل، كما هنا.

نَعْتُه أَوْ خَبَرُه، «الكَوْنَيْنِ»: مُضافٌ إلَيْهما، و«الثَّقَلَيْنِ»، و«الفريقَيْنِ»: مَعطوفانِ على «الكَوْنَيْنِ».

* «مِنْ عُرْبٍ»:-بضَمِّ أَوَّلِه، وسُكُونِ ثانيه- حالٌ مِنَ «الفريقَيْنِ»، «ومِنْ عَجَمٍ»:- بفتحتَيْنِ- مَعطُوفٌ عَلَى «مِنْ عُرْبٍ»، و «مِنْ» فِيهِما للبَيَانِ.

ومَعْنَى البيتَيْن:

أنَّه ﷺ لا تَدْعُوه الضَّرورةُ إلى حُطَامِ الدُّنْيَا الفانِيَةِ؛ فإنَّ الدُّنْيَا ما أُخْرِجَتْ مِنَ العَدَمِ إلى الوجودِ إلا لأَجْلِه، وكَيْفَ لا يَكُونُ كَذلكَ وهُوَ سَيِّدُ أَهْلِ الدُّنْيَا والآخِرةِ، وسَيِّدُ الإنسِ والجِنِّ، وسَيِّدُ العَرَبِ والعَجَمِ؟!

نَبِيُّنَـا الآمِـرُ النَّاهِـي فـلَا أَحَـدٌ ... أَبَـرَّ فـي قَـوْلِ «لا» مِنْـه ولا «نَعَـمِ»
هُـوَ الحَبيـبُ الـذِي تُرْجَـى شـفاعتُه ... لِـكُلِّ هَـوْلٍ مِـنَ الأَهْـوالِ مُقْتَحَـمِ

«النَّبِيُّ»: بِلَا هَمْزٍ مِنَ «النَّبْوَةِ»؛ وهِيَ الارتفاعُ، وبالهَمْزِ مِنَ «النَّبَأِ»؛ وهُوَ الخَبَرُ؛ فهُوَ على الأَوَّلِ: المُرتَفِعُ عِنْدَ اللهِ تعالى وعِنْدَ النَّاسِ، وعَلَى الثَّاني: المُخْبِرُ عَنِ اللهِ تعالى.

و«الآمِرُ»: اسمُ فاعلٍ مِنَ «الأَمْرِ»؛ وهُوَ طَلَبُ الفِعْلِ، و «النَّاهِي»: مِنَ «النَّهْيِ»؛ وهُوَ طَلَبُ التَّرْكِ، و «أَبَرَّ»: أَصْدَقُ، اسمُ تَفضيلٍ، و «الرَّجَاءُ»: الأَمَلُ، و «الشَّفاعةُ»: السُّؤَالُ لِلغَيْرِ في الخَلَاصِ مِنَ الأَمْرِ المَهُولِ، و «الهَوْلُ»: المَخافةُ، و «الاقتحامُ»: الوُقُوعُ بَغْتَةً في الشِّدَّةِ.

الإعرابُ:

* «نَبِيُّنا الآمِرُ النَّاهِي»: نُعُوتٌ لِـ «محمَّدٌ»، أَوْ أَخبارٌ له.

* «فلا»: حَرْفُ نَفْيٍ عاملٌ عَمَلَ «لَيْسَ»، «أَحَدٌ»:- بالرَّفْعِ - اسْمُها.

* و«أَبَرَّ»:-بالنَّصْبِ- خَبَرُها، ويَجُوزُ رَفْعُهما على إهمال «لا»، ورَفْعُ ما بَعْدَها على الابتداءِ والخَبَر، وعلى الوَجْهَيْنِ لا يُنَوَّنُ؛ لِأَنَّه غَيْرُ مُنصَرِفٍ لِلوَصْفِ والوَزْنِ؛ لِكَوْنِه اسمَ تَفضيلٍ.

* «في قَوْلِ»:- بِلَاتَنوِينٍ- متَعَلِّقٌ بـ «أَبَرَّ»، وهُوَ مُضافٌ، و «لا» مُضافٌ إلَيْه؛ مِنْ إضافَةِ المَصْدَرِ إلى المَفعُولِ بَعْدَ حَذْفِ فاعِلِه؛ فإنْ قُلْتَ: الحُروفُ لا يُضافُ إلَيْها، قُلْنا: المُرَادُ لَفْظُها، «مِنْه»:متعلِّقٌ بـ «أَبَرَّ»، والضميرُ له ﷺ.

* «ولا»: حَرْفُ نَفْي، «نَعَم»:-بفَتْحِ النُّونِ والعَيْنِ- في مَحَلِّ جَرٍّ بمُضافٍ مَحذوفٍ مُماثِلٍ لِلمَذْكورِ؛ والتقديرُ: «ولا بِقَوْلِ نَعِم»، و «لا» و «نَعَمْ» مِنْ أَحْرُفِ الجَوَابِ؛ أيْ لا أَحَدٌ أَبَرَّ مِنْه في قَوْلِه «لا»، ولا في قَوْلِه «نَعَمْ».

* «هُوَ الحَبِيبُ»: مبتدَأٌ وخَبَرٌ، «الذِي»: نَعْتُ «الحبيبُ»، «تُرْجَى»: فِعْلٌ مُضارِعٌ مَبْنِيٌّ لِلمَفعولِ، «شَفاعَتُه»: نائبُ الفاعِلِ، والجُملَةُ صِلَةُ «الذي»، والعائدُ الهَاءُ المَجرورةُ بالإضافةِ.

* «لِكُلِّ» مُتعلِّقٌ بـ «تُرْجَى»، «هَوْلِ»: مضافٌ إلَيْه، «مِنَ الأهوالِ» نَعْتُ «هَوْلِ»، «مُقْتَحَمِ»:-بضَمِّ الميمِ، وسُكونِ القافِ، وفَتحِ التاءِ والحاءِ المهمَلةِ - نَعتُ «هَوْلِ» أيضًا.

ومَعْنَى البيتَيْنِ:

نَبِيُّنا الآمِرُ بالمَعروفِ، النَّاهِي عَنِ المُنْكَرِ، ومِنْ عادَةِ أُولِي الأمْرِ والنَّهْيِ التَّجافِي والغِلْظَةُ على المَأمُورِ والمَنْهِيِّ.

ونَبِيُّنا ﷺ مَعَ شِدَّةِ بأسِه في الحقِّ، والغِلظَةِ فِيه فهُوَ أَلْطَفُ الناسِ وأَلْيَنُهم جانِبًا بالبِرِّ والشَّفَقةِ؛ فلا تُوجَدُ مِنْه غِلظةٌ في قَوْلِ «لا» عِنْدَ المَنْعِ، ولا في قَوْلِ «نَعَمْ» عِنْدَ السُّؤَالِ، ومِصداقُ ذلكَ قَوْلُه ﷺ:(بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأخلاقِ)[1]، وهُوَ الحبيبُ الذِي تُؤْمَلُ شفاعتُه يَوْمَ القيَامةِ لِكُلِّ خَوْفٍ وفَزَعٍ يَرْمِي الإنسانُ نَفْسَه فيه مِنْ شِدَّةِ الدَّهشةِ مِنْ رُؤيَتِه.

دَعَـا إلَـى اللهِ فالمُسْتَمْسِـكُونَ بِـهِ مُسْتَمْسِـكُونَ بِحَبْـلٍ غَيْـرِ مُنْفَصِـمِ

(1) رواه البيهقي في السنن الكبرى من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أيْ دَعَا المُرْسَلَ إلَيْهم إلى دِينِ اللهِ تعالى، و«الاستمساكُ»: الاعتصامُ، و«الحَبْلُ»: السَّبَبُ، و«المُنفَصِمُ»:-بالفاءِ- المنقَطِعُ.

الإعرابُ:

* «دَعَا»: فِعْلٌ ماضٍ، وفاعلُه مستَتِرٌ فيه جَوَازًا يَعُودُ إلى النبيِّ ﷺ، «إلَى اللهِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ «دَعَا».

* «فالمُستَمْسِكُونَ» مبتَدَأٌ، «به» مُتَعَلِّقٌ بـ«المستمسِكُونَ».

* «مستَمْسِكُونَ» خَبَرُ المبتدَأِ، وسَوَّغَ ذلك اختلافُهما تَعريفًا وتَنكيرًا ومُتعَلِّقًا، «بِحَبْلٍ»:-بالحاءِ المهمَلَةِ، والباءِ الموَحَّدةِ- مُتَعَلِّقٌ بـ «مستمْسِكُونَ»، «غَيْرِ»:-بالجَرِّ- نَعْتُ «حَبْلٍ»، «مُنفَصِمٍ»:-بالفاءِ والصادِ المهمَلةِ- مُضافٌ إلَيْه.

ومَعْنَى البيتِ:

دَعَا ﷺ الإنسَ والجِنَّ إلى دِينِ الإسلامِ؛ فمَنِ اعتَصَمَ به ﷺ، وآمَنَ بِمَا جاءَ به، فهُوَ مُعتَصِمٌ بِسَبَبٍ مُتَّصِلٍ غَيْرِ مُنقَطِعٍ.

فَـاقَ النبِيِّيـنَ فـي خَلْـقٍ وَفِـي خُلُـقٍ ... ولَـمْ يُدَانُـوهُ فِـي عِلْـمٍ ولا كَـرَمِ
وكُلُّهُـم مِـنْ رَسُـولِ اللهِ مُلْتَمِـسٌ ... غَرْفًا مِنَ البَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدِّيَمِ
ووَاقِفُـونَ لَدَيْـهِ عِنْـدَ حَدِّهِـمِ ... مِنْ نُقْطَةِ العِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الحِكَمِ

«فاقَ»: أَيْ عَلَا، و «الخَلْقُ»:-بفَتْحِ الخَاءِ، وسُكُونِ اللَّامِ- الخِلْقَةُ، و «الخُلُقُ»:-بضَمَّتَيْنِ- السَّجِيَّةُ والطَّبِيعةُ، و «يُدانُوهُ»: يُقارِبُوهُ.

و«مُلْتَمِسٌ»: أَيْ آخِذٌ، «غَرْفًا»: مَصْدَرُ «غَرَفْتُ» بِيَدَيَّ مِنَ البَحْرِ، و«الرَّشْفُ»: المَصُّ، و«الدِّيَمِ»: جَمْعُ دِيمَةٍ؛ المَطَرِ الذِي لَيْسَ فيه رَعْدٌ ولا بَرْقٌ.

و«لَدَيْه»: عِنْدَه، و«الحَدُّ» هُنَا: الغايَةُ، و«النُّقْطَةُ»: واحِدَةُ النُّقَطِ، و«الشَّكْلَةُ»: واحِدَةُ الشَّكْلِ؛ مِنْ «شَكَلْتُ الكِتَابَ»، أيْ قَيَّدْتُه بحَرَكاتِ الإعراب، مأخُوذٌ مِنْ

«شَكَلْتُ الدابَّةَ» إذا قَيَّدْتُها بالشِّكالِ، و «الحِكَم»:- بكَسْرِ الحاءِ، وفَتْحِ الكافِ- جَمْعُ «حَكَمَةٍ»؛ بفَتحتَيْنِ، مأخوذٌ مِنْ «حَكَمَةِ اللِّجَامِ؛ لِأَنَّها تَمْنَعُ الفَرَسَ مِنَ الجِمَاحِ، ويُسَمَّى العالِمُ حَكِيمًا لأَنَّه يَمْنَعُ مِنَ الخَطَأِ.

الإعرابُ:

* «فاقَ النبيّينَ»: فِعْلٌ وفاعلٌ ومَفعولٌ، «في خَلْقٍ» -بفَتْحِ الخاءِ، وسُكُونِ اللَّام-، «وفي خُلُقٍ» -بضَمِّهِمَا-: متعلِّقانِ بـ «فَاقَ».

* «ولَمْ يُدَانُوهُ»: جازِمٌ ومَجْزُومٌ، وعَلَامةُ الجَزْمِ حَذْفُ النُّونِ، «في عِلْمٍ»:-بكَسْرِ العَيْنِ - مُتعلِّقٌ بـ «يُدانُوه»، «ولا كَرَمٍ»: مَعطوفٌ على «عِلْمٍ»، وأَعَادَ «لا» لِتَأكيدِ النَّفْيِ.

* «وكُلُّهُمْ» مبتدأٌ، «مِنْ رَسُولِ اللهِ»: مُتعلِّقٌ بـ «مُلْتَمِسٌ»، «مُلْتَمِسٌ»: خَبَرُ المبتَدَأِ، وأَفْرَدَه مُرَاعَاةً لِلَفْظِ «كُلٌّ».

* «غَرْفًا»:-بفَتْحِ الغَيْنِ المعجَمَةِ، وسُكُونِ الرّاءِ، وبالفاءِ - مَفعُولُ «مُلْتَمِسٌ»، «مِنَ البَحْرِ»: مُتَعلِّقٌ بـ «غَرْفًا».

* «أَوْ رَشْفًا»: بفَتْحِ الرّاءِ، وسُكُونِ الشِّينِ المعجَمَةِ، وبالفاءِ - مَعطُوفٌ على «غَرْفًا»، و«مِنَ الرِّيَمِ»:-بكَسْرِ الدَّالِ المهمَلةِ، وفَتْحِ اليَاءِ التحتيَّةِ - مُتَعَلِّقٌ بـ«رَشْفًا».

* «ووَاقِفُونَ»: مَعطُوفٌ علَى «مُلْتَمِسٌ»، وجَمَعَه مُرَاعَاةً لِمَعْنَى «كُلٌّ»[1]، «لَدَيْه، عِنْدَ»: مُتَعَلِّقَانِ بـ «واقِفُونَ»، «حَدِّهِم»:-بفَتْحِ الحاءِ المهمَلَةِ - مُضَافٌ إِلَيْه.

* «مِنْ نُقْطَةِ»:-بضَمِّ النُّونِ، وسُكُونِ القافِ، وبالطَّاءِ المهمَلَةِ - مُتَعَلِّقٌ بـ «حَدِّهِم»؛ أَيْ بِغَايَتِهِم، «العِلْمِ»:-بكَسْرِ العَيْنِ - مُضَافٌ إِلَيْه.

* «أَوْ»: حَرْفُ عَطْفٍ وتَقْسِيمٍ، «مِنْ شَكْلَةِ»:- بفَتْحِ الشِّينِ المعجَمةِ، وسُكُونِ

(1) لأن «كلّ» لفظه لفظ الواحد، ومعناه معنى الجمع، ولهذا يحمل مرة على اللفظ ومرة على المعنى.

الكَافِ - مَعْطُوفٌ عَلَى «مِنْ نُقْطَةِ»، «الحِكَمِ»:-بكَسْرِ الحاءِ المُهْمَلَةِ، وفَتْحِ الكافِ - مُضَافٌ إلَيْه.

ومَعْنَى الأبْيَات الثَّلَاثة:

أَنَّه ﷺ عَلَا جَميعَ النبيِّينَ في الخِلْقَةِ والسَّجِيَّةِ، ولَمْ يُقارِبُوه في العِلْمِ ولا في الكَرَمِ كَمَا سيَأتِي بَيَانُه في قَوْلِه: «يا أَكْرَمَ الرُّسْلِ»، وفِي قَوْلِه: «وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللَّوْحِ والقَلَمِ».

وكُلُّ النبِيِّينَ آخِذٌ مِنْ عِلْمِ رَسولِ اللهِ ﷺ مِقْدَارَ غَرْفَةٍ مِنَ البَحْرِ، أَوْ مَصَّةٍ مِنَ المَطَرِ الغَزيرِ، وكُلُّهم واقفُونَ عِنْدَ غايَتِهم مِنْ نُقْطةِ العِلْمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ الحِكَمِ؛ وخَصَّ الشَّكْلَةَ بالحِكَمِ لِزِيَادَةِ التَّفَهُّمِ بِهَا على النُّقْطَةِ.

فهُـوَ الـذِي تَـمَّ مَعْنَـاهُ وصُورَتُـهُ ثُـمَّ اصْطَفَـاهُ حَبِيبًـا بـارِئُ النَّسَـمِ
مُنَـزَّهٌ عَـنْ شَـرِيكٍ فِـي مَحَاسِـنِه فَجَوْهَـرُ الحُسْـنِ فِيـهِ غَيْـرُ مُنْقَسِـمِ

«تَمَّ» أَيْ كَمُلَ؛ بتَثْلِيثِ الميمِ، و«مَعْنَاهُ»: حالَةُ باطنِهِ، و«صُورَتُه»: حالةُ ظاهِرِه، و«اصْطَفَاه»: اختَارَهُ، و«البارِئُ»: الخالِقُ، و«النَّسَمِ»: جَمْعُ نَسَمَةٍ -بفَتْحَتَيْن-؛ وهِيَ الإنسانُ، و«التَّنْزِيهُ»: البُعْدُ، و«المَحَاسِنُ»: جَمْعُ «مَحْسَنٍ»؛ بِمَعْنَى الحُسْنِ والبَهَاءِ، وجَوْهَرُ الشَّيْءِ: أَصْلُه، و«الانقِسَامُ»: الافتِرَاقُ.

الإعرابُ:

* «فَهُوَ»: مُبْتَدَأٌ، «الَّذِي»: خَبَرُه، وسَوَّغَ ذلك صِلَتُه[1].
* «تَمَّ»:-بفَتْحِ التَّاءِ المُثنَّاةِ الفوْقِيَّةِ - فِعْلٌ ماضٍ، «مَعْنَاهُ»: فاعِلُه، والجُمْلَةُ صِلَةُ «الَّذِي».
* «وصُورَتهُ»: بالرَّفْعِ؛ مَعطُوفٌ عَلَى «مَعْنَاه»، وبالنَّصْبِ؛ عَلَى المَفعُولِ مَعَه.

(1) أي والذي سوغ وقوعه خبرًا تتم به مع المبتدأ الفائدة- على الرغم من أنه «الاسم الموصول» اسم مبهم - جملة الصلة التي أزالت إبهامه ووضحت المراد منه.

* «ثُمَّ»: -بضَمِّ المُثَلَّثةِ- حَرْفُ عَطْفٍ، «اصْطَفَاه»: مَعْطُوفٌ عَلَى «تَمَّ مَعْنَاه»، «حَبِيبًا»: حالٌ مِنَ «الهاءِ».

* «بَارِئُ»: فاعلُ «اصْطَفَاه»، «النَّسَمِ»: مُضَافٌ إلَيْه.

* «مُنَزَّهٌ»: خَبَرٌ ثانٍ لِـ «هُوَ»، «عَنْ شَرِيكٍ»: مُتَعَلِّقٌ بـ «مُنَزَّهٌ»، «فِي مَحاسِنِه»: مُتَعَلِّقٌ بـ «شَرِيكٍ».

* «فَجَوْهَرُ»: مبتدَأٌ، «الحُسْنِ»: مُضَافٌ إلَيْه، «فِيه»: مُتَعَلِّقٌ بمَحْذُوفٍ؛ خَبَرُ المبتَدَأ.

* «غَيْرُ»: بالرَّفْعِ؛ خَبَرٌ بَعْدَ خَبَرٍ، وبالنَّصْبِ؛ على الحالِ مِنْ ضَمِيرِ الاستقرارِ المُنتَقِلِ إلى الجارِّ والمَجرُورِ قَبْلَه[1]، «مُنْقَسِمِ» مُضَافٌ إلَيْه.

ومَعْنَى البَيْتَيْن:

هُوَ الَّذِي كَمُلَ باطِنُه في الكَمالاتِ، وظاهِرُه في الصِّفَاتِ، ثُمَّ اختَارَه خالِقُ الإنسانِ حَبِيبًا لَيْسَ له في مَحاسِنِه شَرِيكٌ مِنَ البَشَرِ، وجَوْهَرُ حُسْنِه لا يَقْبَلُ القِسْمَةَ بَيْنَه وبَيْنَ غَيْرِه؛ كَمَا أنَّ الجَوْهَرَ الفَرْدَ الذِي يُتَوَهَّمُ في الجِسْمِ، ويَقُولُ المُتَكَلِّمُونَ: إنَّ الجِسْمَ مُرَكَّبٌ مِنْه، غَيْرُ مُنْقَسِمٍ بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوهِ؛ لا بالفَرْضِ ولا بالوَهْمِ، ومَنْ كَانَ مَوْصُوفًا بكَمَالِ الصِّفَاتِ باطِنًا وظاهِرًا كانَ مَحْبُوبًا.

دَعْ مَـا ادَّعَتْـهُ النَّصَـارَى فِـي نَبِيِّهِـمُ ... واحْكُـمْ بِمَـا شِـئْتَ مَدْحًـا فِيـه واحْتَكِـمِ

وانْسُـبْ إلَى ذَاتِـهِ مـا شِـئْتَ مِـنْ شَـرَفٍ ... وانْسُـبْ إلى قَـدْرِه مـا شِـئْتَ مِـنْ عِظَـمِ

فـإنَّ فَضْـلَ رَسُـولِ اللهِ لَيْـسَ لَـه ... حَـدٌّ فَيُعْـرِبَ عَنْـهُ نَاطِـقٌ بِفَـمِ

«دَعْ»: أَيِ اتْرُكْ، و«النَّصَارَى»: جَمْعُ نَصْرَانٍ، كَسَكَارَى؛ جَمْعُ سَكْرَانَ، وقِيلَ: نَصْرَانُ

(1) تفسير قوله «مِنْ ضَمِيرِ الاستقرارِ...»: أن متعلَّق الجار والمجرور الواقع خبرًا محذوفٌ هنا وجوبًا، لأنه كونٌ عامّ يقدر بكائن أو مستقر أو استقر، فلما حذف المتعلَّق انتقل الضمير إلى الجار والمجرور المتبقي.

اسمُ قَرْيَةٍ، والنَّسَبُ إلَيْها نَصْرانِيٌّ، وقِيلَ: نَصْرَانِيٌّ مَنْسُوبٌ إلى ناصِرَةَ؛ قَرْيَةُ «المَسِيحِ»، وقِيلَ: اليَاءُ في «نَصْرَانِيّ» لِلمبالَغَةِ، سُمُّوا «نَصارَى»؛ لِأَنَّهم نَصَرُوا المَسِيحَ.

«واحْكُمْ»: أي اقْضِ، و«المَدْحُ»: الثَّنَاءُ الحَسَنُ، و«الاحتِكامُ»: الاختِصَامُ، «وانْسُبْ»: اُعْزُ، و«الشَّرَفُ»: الرِّفْعَةُ، و«الذَّاتُ»: الحَقِيقةُ، و«قَدْرُ الشَّيْءِ ومِقْدَارُهُ»: مَبْلَغُه، و«العِظَمُ»: التَّعظِيمُ، و«الحَدُّ»: الغايَةُ، «فَيُعْرِبَ»: أَيْ يُبِينَ.

الإعرابُ:

* «دَعْ»: فِعْلُ أَمْرٍ، وفاعِلٌ.
* «مَا»: مَوْصُولٌ اسْمِيٌّ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى المَفعولِيَّةِ لِـ«دَعْ»، «ادَّعَتْهُ»:فِعْلٌ، ومَفْعُولٌ، «النَّصَارَى»: فاعلٌ، والجُمْلَةُ صِلةُ «مَا»، والعَائِدُ ضَمِيرُ المَفْعُولِ، «فِي نَبِيِّهِمُ»: مُتَعَلِّقٌ بـ «ادَّعَتْه».
* و«احْكُمْ» فِعْلُ أَمْرٍ وفاعلٌ، «بِمَا»: مُتَعَلِّقٌ بـ«احْكُمْ»، و«ما»: مَوْصُولٌ اسْمِيٌّ، «شِئْتَ»:-بفَتْحِ التَّاءِ- فِعْلٌ وفاعلٌ، صِلَةُ «ما»، وعائدُهَا مَحذُوفٌ، أَيْ «شِئْتَه».
* «مَدْحًا»: مَنْصُوبٌ بِنَزْعِ الخافِضِ، أَيْ مِنْ مَدْحٍ عَلَى وِزَانِ ما يأتِي بَعْدَه،«فِيه»: مُتَعَلِّقٌ بـ «مَدْحًا».
* و«احْتَكِمِ»، و «انْسُبْ»:-بضَمِّ المُهْمَلَةِ- فِعْلَا أَمْرٍ مَعطُوفانِ عَلَى «دَعْ»، «إِلَى ذَاتِهِ»:- بالذَّالِ المُعْجَمةِ- مُتَعَلِّقٌ بـ «انْسُبْ».
* «مَا»: اسمٌ مَوْصُولٌ في مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى المَفعُولِيَّةِ بـ«انسُبْ»، «شِئْتَ»:-بفَتْحِ التَّاءِ - فِعْلٌ وفاعِلٌ، صِلَةُ «ما»، والعائدُ محذُوفٌ تَقْدِيرُه «شِئْتَهُ»، «مِنْ شَرَفٍ»: بَيَانٌ لِـ«مَا»، مُتَعَلِّقٌ بـ«انسُبْ».
* «وانْسُبْ إِلَى قَدْرِهِ ما شِئْتَ مِنْ عِظَمٍ»: بِكَسْرِ العَيْنِ، وفَتْحِ الظَّاءِ المُعْجَمةِ المُشَالَةِ، وإعرابُه على وِزَانِ إعْرَابِ صَدْرِه؛ حَرْفًا بِحَرْفٍ.
* «فإنَّ»: حَرْفُ تَوْكِيدٍ ونَصْبٍ، «فَضْلَ»: اسمُها، «رَسُولِ»: مُضَافٌ إِلَيْه ومُضَافٌ أيْضًا، «اللهِ»: مُضَافٌ إِلَيْه.

* «لَيْسَ»: فِعْلٌ ماضٍ نَاقِصٌ، «لَه»: خَبَرُه، مُقَدَّمٌ، «حَدٌّ»:-بفَتْحِ الحاءِ المُهْمَلَةِ- اسْمُه، مُؤَخَّرٌ، والجُمْلَةُ الفِعْليَّةُ خَبَرُ «إنَّ».

* «فَيُعْرِبَ»: فِعْلٌ مُضارِعٌ مَنْصُوبٌ بـ«أنْ» مُضْمَرَةٍ وُجُوبًا بَعْدَ فاءِ السَّبَبِيَّةِ في جَوَابِ النَّفْيِ، «عَنْه»: مُتَعَلِّقٌ بـ«يُعْرِبَ».

* «ناطِقٌ»: فاعلُ «يُعْرِبَ»، «بِفَمٍ»: مُتَعَلِّقٌ بـ «ناطِقٌ»؛ عَلَى تقدير مُضافٍ، أَيْ بِلِسَانِ فَمٍ.

ومَعْنَى الأبْيَات الثَّلاثة:

أُتْرُكْ ما قالَتْه النَّصارَى في نَبِيِّهم عِيسى ابنِ مَرْيَمَ - عَلَيْهِما السلامُ- أَنَّه ابنُ اللهِ كَمَا أَخْبَرَ اللهُ -سُبْحانَه وتعالى- عَنْهم؛ فإنَّ نَبِيَّنا ﷺ نَهَى عَنْ مِثْلِ ذلكَ حَيْثُ قالَ: (لا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى)[1]، أَيْ لا تَصِفُونِي بِذَلكَ.

واحكُمْ بَعْدَ ذلكَ لهَ ﷺ بِمَا شِئْتَ مِنْ أَوصافِ الكَمَالِ اللَّائقَةِ بجَلَالِ قَدْرِه، وخَاصِمْ في إثْبَاتِ فَضائلِه مَنْ شِئْتَ مِنَ الخُصماءِ، واعْزُ إلى ذاتِه الشريفةِ ما شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ، وإلى عُلُوِّ قَدْرِه العَظِيمِ ما أَرَدْتَ مِنَ التعظيمِ والرِّفْعَةِ؛ فَقَدْ وَجَدْتَ لِلقَوْلِ بابًا واسعًا، فإنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْسَ له غايةٌ يُوقَفُ عِنْدَهَا؛ فيُبِينَها ناطِقٌ بلِسَانِ فَمِه؛ فأَوْصافُه لا تُحْصَى، وفَضائلُه لا تُسْتَقْصَى.

لَـوْ ناسَـبَتْ قَـدْرَهُ آياتُـه عِظَمًـا ... أَحْيَا اسْمُه حِيْنَ يُدْعَى دارِسَ الرِّمَمِ

«ناسَبَتْ»: أَيْ ماثَلَتْ، «قَدْرَه»: أَيْ مَبْلَغَه مِنَ الرِّفْعَةِ، و«آيَاتُه»: عَلَامَاتُه الدَّالَّةُ عَلَى عِظَمِ قَدْرِه، و«اسْمُه»: أَيْ تَسْمِيَتُه، و«يُدْعَى»: يُنادى، و«الدَّارِس»: الذَّاهِبُ، و«الرِّمَمِ»: جَمْعُ «رِمَّةٍ» - بكَسْرِ الرَّاءِ- العَظْم البَالي.

---

(1) صحيح البخاري [كتاب أحاديث الأنبياء، باب أحب الصلاة إلى الله صلاة داود] من حديث عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله).

الإعْرَابُ:

* «لَوْ» حَرْفُ شَرْطٍ لِامْتِنَاعِ الثانِي لِامْتِنَاعِ الأَوَّلِ.

* «ناسَبَتْ»: فِعْلٌ ماضٍ، وتاءُ تأنيثٍ، «قَدْرَه»: بالنَّصْبِ- مَفعولٌ مُقَدَّمٌ، «آيَاتُه»: بالرَّفْع- فاعلٌ مُؤَخَّرٌ.

* «عِظَمًا»: بكَسْرِ العَيْنِ المُهْمَلةِ، وفَتْحِ الظَّاءِ المُشَالَةِ - تَمْيِيزٌ[1].

* «أَحْيَا»: فِعْلٌ ماضٍ جَوَابُ «لَوْ»، «اسمُه»: فاعلُ «أَحْيَا».

* «حِينَ»: ظَرْفُ زَمَانٍ مَنْصُوبٌ بـ «أَحْيَا».

* «يُدْعَى»: فِعْلٌ مُضارِعٌ مَبْنِيٌّ لِلمَفْعُولِ، ونائبُ الفاعلِ مُسْتَتِرٌ فِيه عائدٌ علَى «اسْمُه»، والأَصْلُ: «يُدْعَى به»، فحُذِفَت البَاءُ، واتَّصَلَ الضَّمِيرُ بالفِعْلِ واسْتَتَرَ فِيه.

* «دَارِسَ»: مَفْعُولُ «أَحْيَا»، «الرِّمَمِ»:-بكَسْرِ الرَّاءِ، وفَتْحِ المِيمِ- مُضَافٌ إلَيْه، والأَصْلُ: أَحْيَا اسمُه دارسَ الرِّمَمِ حِينَ يُدْعَى بِه.

وَمَعْنَى البَيْتِ:

لَوْ كانَتْ عَلَاماتُه الدَّالَّةُ على رِفْعَتِه مُماثِلَةً لِعَظِيمِ قَدْرِه، كَانَ مِنْها إحياءُ المَوْتَى إذا دَعَا اللّهَ تعالى أَحَدٌ باسْمِه أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى؛ بِأَنْ يُقالَ: يا اللّهُ، بِمُحمَّدٍ ﷺ أَحْيِ هذا المَيْتَ؛ فيَحْيَا، ولَمْ يَقَعْ ذلكَ؛ إذْ لَوْ وَقَعَ لَنُقِلَ إلَيْنَا، ولَمْ يُنْقَلْ؛ فلَمْ يَكُنْ إحْيَاءُ المَوْتَى بالتَّوَسُّلِ باسْمِه مِنْ آياتِه، فلَيْسَتْ آياتُه مُمَاثِلَةً لِقَدْرِه في تَعدَادِ التَّعظِيمِ؛ بَلْ قَدْرُه أَكْثَرُ مِنْ آيَاتِهِ.

لَـمْ يَمْتَحِنَّـا بِمَـا تَعْيَـا العُقُـولُ بِـهِ حِرْصًـا عَلَيْنَـا، فَلَـمْ نَرْتَـبْ ولَـمْ نَهِـمِ

«يَمْتَحِنَّا» أَيْ يَخْتَبِرْنَا ويَبْتَلِينَا، «بِمَا تَعْيَا»: أَيْ بِمَا لَمْ تَهْتَدِ العُقُولُ لِوَجْهِهِ، «حِرْصًا»:

---

(1) تمييز محوّل عن الفاعل، والأصل: لو ناسب عظم آياته قدره.

أَيْ شِدَّةَ طَلَبٍ، و «نَزْتَبْ»: نَشُكُّ، و«نَهِمِ»: مِنْ هامَ الرَّجُلُ في أَمْرِهِ؛ إِذَا لَمْ يَدْرِ لَهُ مَخْرَجًا.

الإعرابُ:

* «لَمْ»: حَرْفُ نَفْيٍ وجَزْمٍ، «يَمْتَحِنًّا»:- بالحَاءِ المُهْمَلَةِ - فِعْلٌ، وفاعلٌ مُسْتَتِرٌ، ومَفْعُولٌ به.
* «بِمَا»: مُتَعَلِّقٌ بـ «يَمْتَحِنًّا»، و«ما»: مَوْصُولٌ اسْمِيٌّ.
* «تَعْيَا»: بسُكُونِ العَيْنِ المُهْمَلةِ، وفَتْحِ المُثَنَّاةِ التَّحتِيَّةِ- فِعْلٌ مُضَارِعٌ، «العُقُولُ»: فاعلُ «تَعْيَا»، «بِهِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«تَعْيَا»، والجُمْلةُ صِلَةُ «ما»، وعائدُها الهَاءُ المَجْرورةُ بالباءِ.

أَعْيَـا الْـوَرَىٰ فَهْـمُ مَعْنَـاهُ فَلَيْـسَ يُـرَىٰ ... فِـي الْقُـرْبِ وَالْبُعْـدِ فِيـهِ غَيْـرُ مُنْفَحِـمِ
كَالشَّـمْسِ تَظْهَـرُ لِلْعَيْنَيْـنِ مِـنْ بُعْـدٍ ... صَغِيـرَةً وَتُـكِلُّ الطَّـرْفَ مِـن أَمَـمِ

الإعرابُ:

* «أَعْيَا»: بِسُكُونِ العَيْنِ المُهْمَلَةِ - فِعْلٌ ماضٍ، «الْوَرَى»:-بفَتْحِ الواوِ والرَّاءِ - مَفْعولٌ به، «فَهْمُ»:-بسُكُونِ الهَاءِ- فاعلُ «أَعْيَا»، «مَعْنَاهُ»: مُضَافٌ إِلَيْه.
* «فَلَيْسَ»: فِعْلٌ ماضٍ ناقِصٌ، واسمُه ضَمِيرُ الشَّأْنِ مسْتَتِرٌ فِيهِ، «يُرَى»:-بالبِنَاءِ لِلمَفْعُولِ- خَبَرُه، «لِلْقُرْبِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«يُرَى»، واللَّامُ بِمَعْنَى «فِي»، أَوْ بِمَعْنَى «مَعَ»، و«البُعْدِ»: مَعْطُوفٌ عَلَى «القُرْبِ»، «فِيهِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«يُرَى»، والهَاءُ لِـ«مَعْنَاه»، «غَيْرُ»:-بالرَّفْعِ- نائبُ فاعلِ «يُرَى»، «مُنْفَحِمِ»:-بِكَسْرِ الحاءِ المُهْمَلةِ- مُضَافٌ إِلَيْه.
* «كالشَّمْسِ»: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ في مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى الحالِ مِنْ فاعِلِ «أَعْيَا»، وأَنْ يَكُونَ نَعْتًا لِمَصْدَرٍ مَحذُوفٍ؛ أَيْ «إِعْيَاءً كَإِعْيَاءِ الشَّمْسِ»، أَوْ خَبَرًا لِمُبتَدَأٍ مَحذُوفٍ؛ أَيْ «هُوَ كالشَّمْسِ».

* «تَظْهَرُ»: بالتَّاءِ الفوقيَّةِ- فِعْلٌ وفاعلٌ، «لِلْعَيْنَيْنِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«تَظْهَرُ»، «مِنْ بُعْدٍ»:- بضَمِّ العَيْنِ عَلَى لُغَةٍ، لا تَبَعًا لِضَمِّ اليَاءِ - مُتَعَلِّقٌ بـ«تَظْهَرُ» أيضًا، «صَغِيرةً»:- بالنَّصْبِ- حالٌ مِنْ فاعلِ «تَظْهَرُ» المُسْتَتِرِ فِيه، العائدِ إلَى الشمسِ.

* «وتُكِلُّ»:- بضَمِّ التاءِ المثُنَّاةِ الفَوْقِيَّةِ، وكَسْرِ الكافِ - فِعْلٌ مُضارِعٌ، وفاعلُه ضَمِيرٌ مُستَتِرٌ يَعُودُ إلى «الشَّمْسِ»، «الطَّرْفَ»:- بالطَّاءِ المُهْمَلةِ - مَفْعُولٌ به، «مِنْ أَمَمٍ»:-بفَتْحِ الهَمْزَةِ، والمِيمِ الأُولَى - مُتَعَلِّقٌ بـ«تُكِلُّ».

ومَعْنَى البَيْتَيْنِ:

أَعْجَزَ الخَلْقَ مَعْنَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يَصِلْ أَحَدٌ مِنْهم إلَيْه، ولا يُبْصرُه أَحَدٌ في حالَتِي القُربِ والبُعْدِ إلا انْفَحَمَ، وبالعَجْزِ اتَّسَمَ؛ فهُوَ كالشَّمْسِ تَظْهَرُ فِي العَيْنِ صَغِيرةً قَدْرَ المِرآةِ أو التُّرسِ، وتُوقِفُ البَصَرَ عِنْدَ رُؤْيَتِها مِنْ قُرْبٍ - لَوْ فُرِضَ ذلك؛ لِأَنَّها كَبِيرٌ جِدًّا، ولِكِبَرِها تَكَادُ تَخْطَفُ البَصَرَ وتُعْمِيه؛ فلا تُدْرَكُ بِكَمالِها وإنْ شُوهِدَتْ مِنْ بُعْدٍ، فكذلكَ النَّبِيُّ ﷺ لا يُدْرَكُ مَعْنَاه وإنْ شُوهِدَتْ صُورَتُه.

وكَيْفَ يُدْرِكُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَتَه قَوْمٌ نِيَامٌ تَسَلَّوْا عَنْه بالحُلُمِ

«كَيْفَ» استفهامٌ مَعْنَاه الإنكَارُ، و«الإدرَاكُ»: حُصُولُ صُورةِ الشَّيْءِ في العَقْلِ، و«الدُّنْيَا»: ضِدُّ الآخِرَةِ، و«الحَقِيقةُ»: المَاهِيَّةُ، و«تَسَلَّوْا»: قَنِعُوا، و«الحُلُمِ»: ما يَرَاه الإنسانُ في المَنَامِ.

الإعرابُ:

* «وكَيْفَ»: مَتَعَلِّقةٌ بـ «يُدْرِكُ»، «يُدْرِكُ»: بضَمِّ اليَاءِ التَّحتِيَّةِ، وكَسْرِ الرَّاءِ - فِعْلٌ مُضارِعٌ، «فِي الدُّنْيَا»: مُتَعَلِّقٌ بـ «يُدْرِكُ»، «حقيقته»:-بالنَّصْبِ- مَفْعُولُ «يُدْرِكُ»، والضَّمِيرُ المُضَافُ إلَيْه لِـ «مَعْنَاه».

* «قَوْمٌ»: فاعلُ «يُدْرِكُ»، «نِيَامٌ»: نَعْتُ «قَوْمٌ». «تَسَلَّوْا»:-بفَتْحِ التَّاءِ الفَوْقِيَّةِ

والسِّينِ واللَّام المُشَدَّدَةِ - فِعْلٌ ماضٍ وفاعلٌ، «عَنْه، بالحُلُمِ»:- بضَمِّ الحَاءِ واللَّامِ- مُتَعَلِّقانِ بـ«تَسَلَّوْا».

ومَعْنَى البَيْتِ:

كَيْفَ يُدْرِكُ حقيقةَ مَعْنَاه ﷺ قَوْمٌ قَنِعُوا بِرُؤْيَتِه في المَنَامِ إنْ حَصَلَتْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا؟!

فَمَبْلَغُ العِلْمِ فِيهِ أَنَّه بَشَرٌ ... وأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ

«مَبْلَغُ العِلْمِ»: غَايَتُه، و«البَشَرُ»: الإنسُ يَقَعُ علَى الواحدِ والجَمْعِ، و«الخَلْقُ»: المَخْلوقُ.

الإعرابُ:

* «فمَبْلَغُ»: مبتَدَأٌ، «العِلْمِ»: مُضافٌ إلَيْه، «فيه»: مُتَعَلِّقٌ بـ «مَبْلَغُ».

* «أَنَّهُ»: أنَّ المفتوحةُ واسمُها، «بَشَرٌ»:-بفتحتَيْنِ - خَبَرُها، وأَنَّ ومعمولاها في تأويلِ مَصْدَرٍ؛ خَبَرُ المُبتدأِ.

* «وأَنَّه خَيْرُ»:-بفَتْحِ «أَنَّ»- جُملةٌ مَعطوفةٌ على خَبَر المُبتَدَأِ، «خَلْقِ»: مُضَافٌ إلَيْه ومُضَافٌ أَيْضًا، «اللهِ»: مُضَافٌ إلَيْه، «كُلِّهِمِ»: تَوْكِيدٌ يُفِيدُ الإحاطةَ والشُّمُولَ.

ومَعْنَى البَيْتِ:

وغايَةُ ما يَصِلُ إلَيْه عِلْمُ الخَلْقِ فِيه ﷺ أَنَّهُ بَشَرٌ، وأَنَّه خَيْرُ خَلْقِ اللهِ تعالى أَجْمَعِينَ.

وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسْلُ الكِرَامُ بِهَا ... فإنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمِ

فَإِنَّه شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا ... يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ

«آيٍ»: جَمْعُ آيَةٍ؛ بِمَعْنَى عَلَامةٍ، و«أَتَى»: أَيْ جاءَ، و«الرُّسْلُ»: جَمْعُ رَسُولٍ؛ وهُوَ إنسانٌ أُوحِيَ إلَيْه بالعَمَلِ والتبلِيغِ، و «الكِرَامُ»: جَمْعُ «كَرِيمٍ»، و«الاتِّصَالُ»: ضِدُّ الانقطاعِ، و «النُّورُ»: ضِدُّ الظَّلَامِ.

الإعرابُ:

* «وكُلُّ»: مبتَدَأٌ، «آيٍ»:-بِمَدِّ الهَمْزَةِ- مُضَافٌ إلَيْه.

* «أَتَى»: فِعْلٌ ماضٍ، «الرُّسْلُ»: فاعلٌ، «الكِرَامُ»: نَعْتُ «الرُّسْلُ»، «بِهَا»: مُتَعَلِّقٌ بـ «أَتَى».

* «فإنَّمَا»: حَرْف حَصْرٍ[1]، «اتَّصَلَتْ»: فِعْلٌ ماضٍ، وفاعلُه ضَمِيرٌ مُستَتِرٌ فيه يَعودُ على «آيٍ»، «مِنْ نُورِهِ، بِهِمِ»: مُتَعَلِّقَانِ بـ «اتَّصَلَتْ».

* «فإنَّهُ شَمْسُ»: إنَّ واسمُها وخَبَرُها، «فَضْلٍ»: مُضَافٌ إلَيْه، «هُمْ كَوَاكِبُها»: مُبتَدأٌ وخَبَرٌ، والضميرُ المُضَافُ إلَيْه لِلشَّمسِ.

* «يُظْهِرْنَ»:-بضَمِّ اليَاءِ التحتِيَّةِ، وكَسْرِ الهَاءِ - فِعْلٌ مُضارِعٌ وفاعلٌ، والنُّونُ ضَمِيرُ الكَواكِبِ، «أَنْوَارَها»: مفعولُ «يُظْهِرْنَ»، والضميرُ المُضَافُ إلَيْه لِلشَّمْسِ، «لِلناسِ، في الظُّلَمِ»: مُتَعَلِّقَانِ بـ«يُظْهِرْنَ».

ومَعْنَى البيتَيْنِ:

أنَّ جَمِيعَ الآياتِ التِي جاءَتْ بِهَا المُرْسَلُونَ إنَّمَا اتَّصَلَتْ بِهِم مِنْ نُورِ النبيِّ محمدٍ ﷺ لِأَنَّ خَلْقَ نُورِه سابقٌ علَيْهم، وهُوَ ﷺ بالنسبةِ إلى الفَضْلِ والشَّرفِ كالشَّمْسِ، والمُرْسَلُونَ كالكَوَاكِبِ، ونُورُ الكَوَاكِب مُستَفادٌ مِنْ نُورِ الشمسِ؛ فإنَّ الكواكبَ تُظْهِرُ أنوارَ الشمسِ لِلناسِ في الظَّلَامِ، فإذَا ظَهَرَتِ الشمسُ لا يَبْقَى لِلكواكبِ نُورٌ يُرَى بَلْ تَستَتِرُ عَنِ العُيُونِ.

أَكْـرِمْ بِخَلْـقِ نَبِـيٍّ زانَـهُ خُلُـقٌ ... بالحُسْـنِ مُشْـتَمِلٍ بالبِشْـرِ مُتَّسِـمِ

كالزَّهْرِ فِي تَرَفٍ، والبَدْرِ فِي شَرَفٍ ... والبَحْرِ فِي كَرَمٍ، والدَّهْرِ فِي هِمَمِ

كَأَنَّـهُ وهْـوَ فَـرْدٌ مِـنْ جَلَالَتِـهِ ... فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وفِي حَشَمِ

---

(1) زيدت الفاء على الخبر – جوازًا– تشبيها للمبتدأ بالشرط في دلالته على العموم، إنما: مكفوفة وكافة.

«أَكْرِمْ»: فِعْلُ تَعَجُّبٍ، و«الخَلْقُ»: الإيجادُ، و«زَانَه»: أَيْ زادَه حُسْنًا، و«الخُلُقُ»: -بضَمَّتَيْنِ- السَّجِيَّةُ، و«الحُسْنِ»: البَهَاءُ، و«مُشْتَمِلٍ»: أَيْ مُزْتَدٍ، و«البِشْرِ»: بكَسْرِ المُوَحَّدةِ- طَلَاقةُ الوَجْهِ، و«مُتَّسِمٍ»: أَيْ مُتَّصِفٍ، و«الزَّهْرِ»: النَّوْرُ -بفَتْحِ النُّونِ وسُكُونِ الواوِ-، و«التَّرَفُ»: اللَّطافةُ والنَّضَارةُ، و«البَدْرِ»: القَمَرُ عِنْدَ تَمَامِه، و«الشَّرَفُ»: الرِّفْعَةُ وعُلُوُّ المَنْزِلَةِ، و«البَحْرِ»: الوَاسِعُ العَطَاءِ، و«الكَرَمُ»: الجُودُ، و«الدَّهْرِ»: الزَّمَانُ، و«الهِمَمُ»: جَمْعُ هِمَّةٍ، و«العَسْكَرُ»: الجَيْشُ الكَثِيرُ، و«الحَشَمُ»: الخَدَمُ.

الإعرابُ:

* «أَكْرِمْ»: بكَسْرِ الرَّاءِ- فِعْلُ تَعَجُّبٍ، لَفْظُه لَفْظُ الأَمْرِ، ومَعْنَاه الخَبَرُ، «بِخَلْقٍ»: الباءُ زائدَةٌ لا تَتَعَلَّقُ بِشَيْءٍ، و«خَلْقٍ»:-بفَتْحِ الخاءِ، وسُكُونِ اللَّامِ- فاعلُه، «نَبِيٍّ»: مُضَافٌ إِلَيْه.

* «زانَه»:بالزَّاي - فِعْلٌ ماضٍ، ومَفْعُولٌ، «خُلُقٌ»:-بضَمَّتَيْنِ - فاعلُ «زانَهُ»، والجُملةُ نَعْتٌ أَوَّلُ لِـ«نَبِيٍّ»، «بالحُسْنِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«مُشْتَمِلٍ»، «مُشْتَمِلٍ»:-بالجَرِّ- نَعْتٌ ثانٍ لِـ«نَبِيٍّ».

* «بالبِشْرِ»:- بكَسْرِ المُوَحَّدَةِ، وسُكُونِ المُعجَمةِ- مُتَعَلِّقٌ بـ«مُتَّسِمٍ»، «مُتَّسِمٍ»:- بِضَمِّ المِيمِ، وفَتْحِ المُثَنَّاةِ الفَوْقِيَّةِ المُشَدَّدَةِ، وكَسْرِ السِّينِ المُهمَلَةِ - نَعْتٌ ثالِثٌ لِـ«نَبِيٍّ».

* «كالزَّهْرِ»: نَعْتٌ رابِعٌ لِـ«نَبِيٍّ»، «فِي تَرَفٍ»:-بفَتْحِ المُثَنَّاةِ الفوقِيَّةِ، والرّاءِ المُهْمَلةِ، وبالفاءِ- مُتَعَلِّقٌ بالكافِ لِمَا فِيها مِنْ مَعْنَى التشبيهِ.

* «والبَدْرِ في شَرَفٍ، والبَحْرِ في كَرَمٍ، والدَّهْرِ في هِمَمٍ» : مَعطُوفةٌ بالجَرِّ على ما قَبْلَها.

* «كَأَنَّه»: كَأَنَّ واسمُهَا، «وهْوَ فَرْدٌ»: مبتَدَأٌ وخَبَرُه، والجُملةُ حالٌ مِنْ مفعولِ «تَلْقَاه»، لا مِنَ اسمِ «كَأَنَّ»، «مِنْ جَلَالَتِه»: مَفعولٌ مِنْ أَجْلِه.

* «فِي عَسْكَرٍ»: خَبَرُ «كَأَنَّ»، «حِينَ»: منصوبٌ بـ«كَأَنَّ» لِمَا فِيهِ مِنْ مَعْنَى

التشبيهِ، «تَلْقَاه»: فِعْلٌ وفاعلٌ ومَفعولٌ، و«فِي حَشَمٍ»: - بفَتْحِ المهمَلةِ والمعجَمةِ- مَعطوفٌ علَى «في عَسْكَرٍ».

ومَعْنَى الأبْيَات الثَّلاثة:

مَا أَكْرَمَ خَلْقَ نَبِيٍّ مُزَيَّنٍ بالخُلُقِ، مُشْتَمِلٍ بالحُسْنِ، مُتَّسِمٍ بالبِشْرِ؛ مِثْلِ الزَّهْرِ في اللَّطافةِ، ومِثْلِ البَدْرِ في الشَّرَفِ، ومِثْلِ البَحْرِ في الكَرَمِ، ومِثْلِ الدَّهْرِ في الهِمَمِ؛ كَأَنَّه لِجَلالَتِه في عَسْكَرٍ وفي حَشَمٍ حِينَ تَلْقَاه فَرْدًا.

وَفي البَيْتِ الثَّانِي مِنَ البَدِيعِ: التَّشْطِيرُ؛ وهُوَ أَنْ يُقَسَّمَ البَيْتُ شَطْرَيْنِ، ثُمَّ يُصَرَّعَ كُلُّ شَطْرٍ، ويُخالَفَ بَيْنَهُما في قافِيَةِ التصريعِ، كقَوْلِ الصَّفِيِّ:

بِـكُلِّ مُنْتَصِـرٍ، لِلْفَتْـحِ مُنْتَظِـرٍ وكُلِّ مُعْتَـزِمٍ، بالحَـقِّ مُلْتَـزِمِ

* * *

كَأَنَّمَـا اللُّؤْلُـؤُ المَكْنُـونُ فـي صَـدَفٍ مِـنْ مَعْدِنَـيْ مَنْطِـقٍ مِنْـه ومُبْتَسَـمِ

لا طِيـبَ يَعْـدِلُ تُرْبًـا ضَـمَّ أَعْظُمَـهُ طُوبَـى لِمُنْتَشِـقٍ مِنْـه ومُلْتَثِـمِ

«اللُّؤْلُؤُ»: جَمْعُ لُؤْلُؤَةٍ؛ وهيَ الدُّرَّةُ، و«المَكْنُونُ»: المَصُونُ، و«الصَّدَفُ»: المَعْدِنُ، و«مَعْدِنُ الشَّيْءِ»: مَوْضِعُ إقامتِه، و«المَنْطِقُ»: الكَلَامُ، و«الابتِسَامُ»: أَوَّلُ الضَّحِكِ.

و«الطِّيبُ»: اسمٌ لِمَا يُتَطَيَّبُ به، و«يَعْدِلُ»: يُسَاوِي، و«التُّرْبُ»: التُّرَابُ، و«ضَمَّ»: حَوَى، و«الأَعْظُمُ»: جَمْعُ عَظْمٍ، والمُرَادُ جَميعُ بَدَنِه، مِنْ تَسْمِيَةِ الكُلِّ باسْمِ الجُزءِ؛ لِأَنَّ اللهَ تعالى حَرَّمَ على الأرضِ أَنْ تَأْكُلَ لُحُومَ الأنبِيَاءِ، و «طُوبَى»: مَصْدَرٌ، كـ «بُشْرَى»، و«الانتِشَاقُ»: الشَّمُّ، و «الالْتِثَامُ»: التَّقْبِيلُ.

الإعرابُ:

* «كَأَنَّمَا»: حَرْفُ تَشبيهٍ، و «ما»: زائدةٌ[1].

(1) زائدة وكافة.

* «اللُّؤْلُؤُ»: مُبْتَدَأٌ، «المَكْنُونُ»: نَعْتُه، «في صَدَفٍ»:-بفَتْحَتَيْنِ - مُتَعَلِّقٌ بـ«المَكْنُونُ»

* «مِنْ مَعْدِنَيْ»: بفَتْحِ النُّونِ - خَبَرُ المبتدأ، «مَنْطِقٍ»- بكَسْرِ الطَّاءِ- مُضَافٌ إلَيه، «مِنْه»: نَعْتُ «مَنْطِقٍ»، والضَّمِيرُ لَه ﷺ، «ومُبْتَسَمٍ»:-بكَسْرِ السِّينِ- مَعْطُوفٌ علَى «مَنْطِقٍ».

* «لا»: نافِيَةٌ[1]، «طِيبَ»:-بكَسْرِ الطَّاءِ، وسُكُونِ اليَاءِ التَّحْتِيَّةِ - اسمُ «لا» مَبْنِيٌّ مَعَهَا عَلَى الفَتْحِ.

* «يَعْدِلُ» -بكَسْرِ الدَّالِ- فِعْلٌ مُضارِعٌ وفاعلٌ؛ خَبَرُ «لا»، «تُرْبًا»:-بضَمِّ المُثَنَّاةِ الفَوْقِيَّةِ، وسُكُونِ الرَّاءِ- مَفْعُولُ «يَعْدِلُ».

* «ضَمَّ»:-بفَتْحِ المعجَمَةِ - فِعْلٌ وفاعلٌ، نَعْتُ «تُرْبًا»، «أَعْظُمَه»: مَفْعُولُ «ضَمَّ».

* «طُوبَى»:- بضَمِّ الطاءِ- مُبتَدَأٌ، وفِيه مَعْنَى الدُّعَاءُ[2]، «لِمُنْتَشِقٍ»: بِكَسْرِ الشِّينِ المعجَمةِ- خَبَرُ «طُوبَى»، «مِنْهُ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«مُنْتَشِقٍ»: بِكَسْرِ الشِّينِ المعجَمةِ - خَبَرُ «طُوبَى»، «مِنْهُ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«مُنْتَشِقٍ»، والضميرُ لِـ«تُرْبًا»، و«مُلْتَثِمٍ»:- بكَسْرِ المُثَلَّثَةِ- مَعطوفٌ على «مُنْتَشِقٍ».

ومَعْنَى البيتَينِ:

كَأَنَّ اللؤلُؤَ المَصُونَ في صَدَفِه كائنٌ مِنْ مَعْدِنِ كَلَامِه ومَعْدِنِ ابتسامِه، وهُوَ حاصلُ ما قالَ البُحْتُرِيُّ:

فَمِنْ لُؤْلُؤٍ يُبْدِيهِ عِنْدَ ابتسَامِه ومِنْ لُؤْلُؤٍ عِنْدَ الكَلَامِ يُسَاقِطُهْ

ولا شَيْءَ مِنْ أَنواعِ الطِّيبِ يُماثِلُ طِيبَ التُّرَابِ الذِي ضَمَّ جَسَدَه ﷺ، وهذا التُّرَابُ أَشْرَفُ تُرَابِ الأَرْضِ؛ طُوبَى لَمِنْ شَمَّه وقَبَّلَه.

---

(1) لاستغراق الجنس عاملة عمل «إنَّ».

(2) وهو مسوغ الابتداء بها هنا.

الفصل الرابع في مولده ﷺ

أَبَـانَ مَوْلِـدُه عَـنْ طِيـبِ عُنْصُـرِهِ يـا طِيـبَ مُبْتَـدَأٍ مِنْـه ومُخْتَتَـمِ

«أَبَانَ»: أَيْ كَشَفَ، و «المَوْلِدُ»: زَمَنُ الوِلادةِ، و «العُنْصُرُ»: الأَصْلُ؛ والمُرَادُ بِطِيبِ العُنصرِ طَهَارَتُه وخُلُوصُه عَنِ الرذائِلِ، و «مُبتَدَأُ الشَّيْءِ»: أَوَّلُه، و «مُخْتَتَمُه»: انتِهاؤُه.

الإعرابُ:

* «أَبَانَ مَوْلِدُه» فِعْلٌ ماضٍ وفاعلٌ، «عَنْ طِيبِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«بَانَ»، «عُنْصُرِه»:- بضَمِّ العَيْنِ والصّادِ المهمَلَتَيْنِ - مضافٌ إلَيْه.

* «يا»: حَرْفُ نِداءٍ، والمُنادَى مَحذوفٌ، «طِيبَ»:-بكَسْرِ الطاءِ - مَفعولٌ بِفِعْلٍ محَذوفٍ، والتقديرُ: «يا عُقلاءُ، انظُرُوا طِيبَ»، «مُبتَدَأِ»: مُضافٌ إلَيْه، «مِنْه»: نَعتُ «مُبتَدَأٍ»، و «مُخْتَتَمِ»:-بفتحتَيْنِ- معطوفٌ على «مُبتَدَأِ»، ونَعتُه محذوفٌ، تَقديرُه «مِنْه»، والهاءُ لِلنبيِّ ﷺ.

ومَعْنَى البيتِ:

أَظْهَرَ اللّهُ تعالى عِنْدَ وِلَادتِه طَهارةَ حقيقتِه الخاصَّةِ بخَوارِقِ العباداتِ، الدَّالَّةِ على كَمَالِ العِنَاياتِ؛ فيا أُولِي البصائرِ، انظُرُوا غرائبَ مَبادئِه، واعتَبِرُوا، وتَدَبَّرُوا عَجائبَ نهاياتِه، وتَفَكَّرُوا فيه.

وفِيه مِنَ البَديعِ نَوْعانِ: الأَوَّلُ: التَّكريرُ في قَوْلِه «عَنْ طِيبِ»، و «يا طِيبَ»، والثاني: مُرَاعاةُ النَّظِيرِ فِي قَوْلِه: «مبتدأِ»، و «مختَتَمِ».

يَـوْمٌ تَفَـرَّسَ فِيـهِ الفُـرْسُ أَنَّهُـمُ قَـدْ أُنْـذِرُوا بِحُلُـولِ البُـؤْسِ والنِّقَـمِ

«اليَوْمُ»: قِطعةٌ مِنَ الزَّمَانِ، و«تَفَرَّسَ»: تَفَطَّنَ؛ مِنَ الفِراسةِ، وهِيَ قُوَّةٌ يُدْرِكُ بها الإنسانُ بالمَخَايِلِ الظاهرةِ المَعانيَ الباطِنةَ، و«الفُرْسُ» أُمَّةٌ عَظِيمةٌ كانَ مَسْكَنُهم في شَمالِ العِرَاقِ، سُمُّوا بذلكَ لِأَنَّهم مِنْ وَلَدِ فارِسَ، ومِنْ نَسْلِ سامِ بْنِ نُوحٍ، و«الإنذارُ»: الإعلامُ بالشَّيءِ المَخُوفِ، و«البُؤسِ»: الشِّدَةُ، و«النِّقَمِ» جَمْعُ نِقْمَةٍ؛ وهِيَ العُقُوبةُ.

الإعرابُ:

* «يَوْمٌ»: خَبَرُ مبتدأٍ محذُوفٍ، أَيْ «يَوْمُ وِلادتِه يَوْمٌ».
* «تَفَرَّسَ»:- بفَتْحِ التَّاءِ الفوْقِيَّةِ والفاءِ والرَّاءِ المُشَدَّدةِ - فِعْلٌ ماضٍ، «فيه»: مُتَعَلِّقٌ بـ«تَفَرَّسَ»، و«في» بِمَعْنَى «مِنْ».
* «الفُرْسُ»:-بضَمِّ الفاءِ، وسُكُونِ الرَّاءِ - فاعلُ «تَفَرَّسَ»، والجُمْلةُ صِفَةُ «يَوْمٌ».
* «أَنَّهُم»:-بفَتْحِ الهَمْزةِ- و«الهاءُ والميمُ»: اسمُها.
* «قَدْ»: حَرْفُ تَحقيقٍ.
* «أُنْذِرُوا»:-بضَمِّ الهَمزةِ، وكَسْرِ الذَّالِ المعجَمةِ- فِعْلٌ ماضٍ، والواوُ نائبُ الفاعلِ، والجُملةُ خَبَرُ «أَنَّ»، و«أَنَّ» ومَعمولاها في تأويلِ مَصْدَرٍ مَنصوبٍ على المَفعولِ لِـ «تَفَرَّسَ».
* «بِحُلُولِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ «أُنْذِرُوا»، «البُؤْسِ»:- بضَمِّ المُوَحَّدةِ، وسُكُونِ الواوِ - مُضافٌ إلَيْه، و «النِّقَمِ»:- بكَسْرِ النُّونِ، وفَتْحِ القافِ - مَعطوفٌ علَى «البُؤْسِ».

ومَعْنَى البَيْتِ:

يَوْمُ وِلادتِه ﷺ تَفَطَّنَ فيه الفُرْسُ أَنَّهُم قَدْ نَزَلَ بِهِمُ الشِّدَّةُ والعُقُوبةُ.

وبَـاتَ إيـوانُ كِسْـرَى وهْـوَ مُنْصَـدِعٌ كَشَـمْلِ أَصْحَـابِ كِسْـرَى غَيْـرَ مُلْتَئِـمِ

«باتَ»: أَمْسَى، و«الإيوانُ»: لَفْظٌ مُعَرَّبٌ، اسمٌ لسَقْفٍ لا يَكُونُ لِبَعْضِ جَوَانِبِه

جِدَارٌ، و«كِسْرَى»: لَقَبٌ لِكُلِّ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الفُرْسِ، و«الصَّدْعُ»: الشَّقُّ، و«شَمْلُ القَوْمِ»: مَجْمَعُ عَدَدِهم، و«مُلْتَئِم»: مُجْتَمِعٌ.

الإعرابُ:

* «وباتَ»: فِعْلٌ ماضٍ تامٌّ، يَكْتَفِي بمَرفُوعِه، «إيوانُ»:- بهَمْزَةٍ مَكْسورةٍ، وياءٍ مُثَنَّاةٍ تَحْتِيَّةٍ ساكِنَةٍ - فاعلُ «باتَ»، «كِسْرَى»:- بفَتْحِ الكافِ وكَسْرِها، وسُكُونِ السِّينِ المُهْمَلةِ - مُضَافٌ إلَيْه.
* «وهْوُ مُنْصَدِعٌ»: مُبتدَأٌ وخَبَرٌ في مَوْضِعِ الحالِ مِنْ «إيوانُ».
* «كَشَمْلِ»:-بفَتْحِ الشِّينِ المعجَمَةِ - فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى النَّعْتِيَّةِ لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ، والتَّقْديرُ: «انصِدَاعًا مِثْلَ انصِدَاعِ شَمْلِ».
* «أَصْحَابِ»: مُضَافٌ إلَيْه ومُضَافٌ أَيْضًا، «كِسْرَى»: مُضَافٌ إلَيْه[1]، ونُقِلَ مِنَ الإضمارِ إلى الإظْهَارِ لإهانةِ الاسمِ.
* «غَيْرَ»:-بالنَّصْبِ - عَلَى الحالِ مِنْ «شَمْلِ»، «مُلْتَئِم»:-بضَمِّ المِيمِ، وفَتْحِ المُثَنَّاةِ الفَوْقِيَّةِ، وكَسْرِ الهَمْزَةِ - مُضَافٌ إلَيْه.

ومَعْنَى البَيْتِ:

أَنَّه شَبَّهَ وُقُوعَ الانصداع في مَنْزِلِ كِسْرَى بِوُقُوعِ التَّفْرِقَةِ بَيْنَ أصحابِه، ومَا انْهَدَمَ جَميعُه علَى التَّمَامِ، لِيَكُونَ عِبْرَةً لِلأَنَامِ؛ وإنَّمَا سَقَطَ مِنْه أَرْبَعَ عَشْرَةَ شُرْفَةً، وقَوْصَرَتُه التِي يُقالُ لها: «القَنطَرَةُ» باقِيَةُ الآثَارِ إلَى الآن على ما قَالَ مَنْ شاهَدَها.

والنَّـارُ خامِـدَةُ الأنْفَـاسِ مِـنْ أَسَـفٍ عَلَيْـه والنَّهْـرُ سَـاهِي العَيْـنِ مِـنْ سَـدَمِ

«خَمَدَتِ النَّارُ»: سَكَنَ لَهِيبُهَا ولَمْ يُطْفَأْ جَمْرُها؛ فإنْ طُفِئَ قِيلَ: «هَمَدَتْ»،

(1) مجرور بالإضافة وعلامة جره الفتحة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر لأنه ممنوع من الصرف.

و«الأَنْفَاسُ»: جَمْعُ نَفَسٍ - بفَتْحِ الفَاءِ؛ وهُوَ ما يَخْرُجُ مِنْ داخِلِ الرِّئَةِ إلى خارِجِها، و«الأَسَفُ»: الحُزْنُ، و«النَّهْرُ»هُنَا: الفُرَاتُ؛ فإنَّه كانَ ضَلَّ الطريقَ ووَقَعَ في وَادِي سَمَاوَةَ، وهِيَ بادِيَةٌ بَيْنَ دِمَشْقَ والعِرَاقِ؛ وذلكَ أنَّ دِجْلَةَ انْقَطَعَتْ وانتَشَرَتْ في بِلَادِ فارِسَ، وطَفَحَ الفُرَاتُ حتَّى مَلَأَ سَمَاوَةَ، و«سَاهِي»: ساكنٌ عَنِ الجَرَيَانِ، و«السَّدَمُ»: الحُزْنُ.

وفي البَيْتِ: استعارتَانِ بالكِنَايَةِ؛ حَيْثُ ذَكَرَ المُشَبَّهَيْنِ وهُمَا النَّارُ والنَّهْرُ، واستِعارَتَانِ تَخْيِيلِيَّتَانِ؛ حَيْثُ أَثْبَتَ الأَنْفَاسَ لِلنَّارِ، والعَيْنَ لِلنَّهْرِ.

الإعرابُ:

* «والنَّارُ خامِدَةُ»:-بالخَاءِ المُعْجَمَةِ- مُبتَدَأٌ وخَبَرٌ، «الأَنْفَاسِ»:-بفَتْحِ الهَمْزَةِ - مُضَافٌ إلَيْه.
* «مِنْ أَسَفٍ»: بفَتْحَتَيْن- مُتَعَلِّقٌ بـ«خامِدَةُ» عَلَى أَنَّه عِلَّةٌ لَهَا، «عَلَيْه»: مُتَعَلِّقٌ بـ«أَسَفٍ»، والضَّمِيرُ لِلْإِيوانِ أَوْ لِلكُفْرِ الدَّالِّ عَلَيْه المَقَامُ.
* و«النَّهْرُ»:- بفَتْحِ النُّونِ، وسُكُونِ الهَاءِ - مُبتَدَأٌ، «سَاهِي»: خَبَرُه، «العَيْنِ»:-بفَتْحِ المُهْمَلَةِ - مُضَافٌ إلَيْه.
* «مِنْ سَدَمٍ»:-بفَتْحِ السِّينِ والدالِ المُهْمَلَتَيْنِ - مُتَعَلِّقٌ بـ«سَاهِي» عَلَى أَنَّه عِلَّةٌ له.

مَعْنَى البَيْتِ:

أَنَّ النَّارَ الَّتِي كانَتْ فارِسُ تَعْبدُها خَمَدَتْ بَعْدَ التَّوَقُّدِ - ولَمْ تَكُنْ خَمَدَتْ قَبْلَ ذلكَ بأَلْفِ عامٍ - أَسَفًا عَلَى ضَعْفِ الكُفْرِ، وسَكَنَ النَّهْرُ الجَارِي حُزْنًا عَلَيْه.

وَسَـاءَ سَـاوَةَ أَنْ غاضَـتْ بُحَيْرَتُهَـا ... وَرُدَّ وارِدُهَـا بالغَيْـظِ حِيـنَ ظَمِـي

«سَاءَ»: أَحْزَنَ، و«ساوَةَ»: مَدينةٌ في طَرِيقِ هَمْدَانَ، بَيْنَها وبَيْنَ الرَّيِّ اثْنَانِ وعِشْرُونَ فَرْسَخًا تَقْرِيبًا، و«غَاضَتْ»: ذَهَبَ ماؤُهَا ونَضَبَ، و«بُحَيْرَةُ سَاوَةَ»: مَاءٌ مُجْتَمِعٌ واسِعُ

الطُّولِ والعَرْضِ بِقُرْبِ ساوَةَ؛ كبُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ، و«رُدَّ»: أَيْ رَجَعَ، و«الوَارِدُ» هُنَا: الَّذِي يَأْتِي المَاءَ لِلسَّقْيِ، و«الغَيْظِ»:-بالمُشَالَةِ- الغَضَبُ، و«ظَمِي»أَي عَطِشَ.

الإعرابُ:

* «وسَاءَ»:-بالْمَدِّ- فِعْلٌ ماضٍ، «سَاوَةَ»:-بفَتْحِ الوَاوِ- مَفْعُولٌ به عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ؛ أَيْ «أَهْلَ سَاوَةَ» عَلَى حَدِّ: «واسْأَلِ القَرْيَةَ»، أَيْ أَهْلَهَا.
* «أَنْ»: بفَتْحِ الهَمْزَةِ، وسُكُونِ النُّونِ - مَوْصُولٌ حَرْفِيٌّ، مُؤَوَّلٌ مَعَ صِلَتِه بِمَصْدَرٍ مَرْفُوع عَلَى الفاعِلِيَّةِ بـ «سَاءَ»، «غَاضَتْ»: «بالْغَيْنِ والضَّادِ المُعجَمَتَيْنِ - فِعْلٌ ماضٍ، وتَاءُ تأْنِيثٍ، «بُحَيْرَتُها»:-بضَمِّ المُوَحَّدةِ، وفَتْحِ الحَاءِ المُهْمَلةِ- فاعلُ «غاضَتْ»، والهَاءُ لِـ «سَاوَةَ».
* «ورُدَّ»:- بِضَمِّ الرَّاءِ المُهْمَلةِ- فِعْلٌ ماضٍ مَبْنِيٌّ لِلْمَفْعُولِ، «وَارِدُها»: نائبُ الفاعِلِ.
* «بالغَيْظِ»:- بالْغَيْنِ والظَّاءِ المُعْجَمَتَيْنِ - مُتَعَلِّقٌ بـ «رُدَّ».
* «حِينَ»: ظَرْفُ زَمَانٍ مَنْصُوبٌ بـ«رُدَّ»، «ظَمِي»:-بفَتْحِ المُعْجَمَةِ، وكَسْرِ المِيمِ، وسُكُونِ اليَاءِ المُبْدَلَةِ مِنَ الهَمْزَةِ - فِعْلٌ ماضٍ، وفاعِلُه مُسْتَتِرٌ فِيهِ يَعُودُ إلى «وارِدُها».

ومَعْنَى البَيْتِ:

وأَحْزَنَ أَهْلَ سَاوَةَ غَيْضُ ماءِ البُحَيْرةِ، ورُجُوعُ وارِدِ البُحَيْرَةِ بالغَضَبِ حِينَ جاءَ البُحَيرَةَ ولَمْ يَجِدْ بِها ماءً وقَدْ عَطِشَ، وقَدْ كانَ حَوَالَيْها بِيَعٌ وكَنَائِسُ معتبرة، وغَيْضُهَا كانَ سَبَبًا لِخَرَابِها، ولَمْ تُعْمَرْ بَعْدَ ذَلِكَ.

كَأَنَّ بالنَّارِ ما بِالْمَاءِ مِنْ بَلَلٍ حُزْنًا، وبِالْمَاءِ مَا بالنَّارِ مِنْ ضَرَمِ

«الحُزْنُ»: ضِدُّ السُّرُورِ، و «الضَّرَمُ»: الالْتِهَابُ.

الإعْرَابُ:

* «كَأَنَّ»: حَرْفُ تَشْبِيهٍ، يَنْصِبُ الاسْمَ ويَرْفَعُ الخَبَرَ، «بِالنَّارِ»: خَبَرُها مُقَدَّمٌ، «ما»: اسمٌ مَوْصُولٌ، اسْمُ «كَأَنَّ» مُؤَخَّرٌ، «بِالمَاءِ»: صِلَةُ «ما» مُتَعَلِّقٌ بِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ.

* «مِنْ بَلَلٍ»:-بفَتْحَتَيْنِ- بَيَانٌ لِـ «مَا» المَوْصُولةِ، مُتَعَلِّقٌ بحَالٍ مَحْذُوفةٍ مِنْ عَائِدِ الصِّلَةِ.

* «حُزْنًا»: بِسُكُونِ الزَّايِ - مَفْعُولٌ لِأَجْلِه.

* و«بالْمَاءِ»: خَبَرُ «كَأَنَّ» مَحذوفةٍ، مَدْلُولٍ عَلَيْها بـ «كَأَنَّ» المَذْكُورةِ، «مَا»: اسْمُهَا، «بالنَّارِ»: صِلَتُها.

* «مِنْ ضَرَمٍ»:-بفَتْحِ الضَّادِ المُعْجَمَةِ والرَّاءِ المُهْمَلَةِ- بَيَانٌ لِـ «ما» المَوْصُولةِ الثانِيَةِ، والمَفْعُولُ لِأَجْلِه مَحذوفٌ؛ لِدلَالِة ما قَبْلَه عَلَيْه، والألِفُ واللَّامُ فِي «النَّارِ، والمَاءِ» لِلْعَهْدِ الذِّكْرِيِّ؛ أَيِ النَّارِ المَعبُودةِ، وماءِ البُحَيْرَةِ.

ومَعْنَى البَيْتِ:

كَأَنَّ بالنَّارِ الَّتِي طَبْعُها الحَرارةُ والإحْرَاقُ ما بالمَاءِ مِنَ البَلَلِ الباعِثِ على التَّبْرِيدِ والإغْراقِ؛ لِأَجْلِ الحُزْنِ عَلَيْه، وكَأَنَّ بالمَاءِ الذِي طَبْعُه البُرُودةُ والتَّبْرِيدُ ما بالنَّارِ مِنَ الالْتِهَابِ البَاعِثِ عَلَى الإحْرَاقِ؛ لِأَجْلِ الحُزْنِ عَلَيْهِ.

والْجِــنُّ تَهْتِــفُ، والأَنْــوَارُ ســاطِعَةٌ والحَــقُّ يَظْهَــرُ مِــنْ مَعْنًــى وَمِــنْ كَلِمِ

«الجِنُّ»: خِلَافُ الإنْسِ؛ سُمُّوا بِذَلكَ لِاجْتِنَانِهم، أَيِ استِتَارِهم عَنِ العُيُونِ، و«تَهْتِفُ»: تَصِيحُ، و«الأَنْوَارُ»: جَمْعُ نُورٍ؛ والمُرَادُ بِهَا الَّتِي ظَهَرَتْ يَوْمَ وِلَادَتِه حَتَّى أَضَاءَ لَهَا قُصُورُ الشَّامِ، «ساطِعَةٌ»: مُرْتَفِعَةٌ.

و«الحَقُّ»: أَيْ صِدْقُ النُّبُوَّةِ، و«يَظْهَرُ»: أَيْ يَنْكَشِفُ، «مِنْ مَعْنًى»: مُفْرَدٌ، والمُرَادُ به الجَمْعُ، أَيِ المَعَانِي المَعقولةِ، و«الكَلِمُ»: الكَلَامُ، أَيِ الألْفاظُ المَخصوصةُ.

الإعرابُ:

* «والجِنُّ تَهْتِفُ»:- بفَتْحِ الفَوْقِيَّةِ، وكَسْرِ الثانِيَةِ- مُبْتَدأٌ وخَبَرٌ، «والأَنْوَارُ ساطِعَةٌ»: مُبتَدَأٌ وخَبَرٌ.

* «والحَقُّ يَظْهَرُ»: مُبْتَدأٌ وخَبَرٌ، «مِنْ مَعْنًى ومِنْ كَلِمٍ» :-بِكَسْرِ اللَّامِ - مُتَعَلِّقَانِ بـ«يَظْهَرُ».

ومَعْنَى البَيْتِ:

والجِنُّ تَصِيحُ وتَزْجُفُ مِمَّا حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الخَوْفِ والرُّعْبِ، ويَتَكَلَّمُونَ مَعَ أَوْلِيَائِهِم فِيمَا دَهَمَهم مِنْ ذلكَ، والأَنْوَارُ الَّتِي ظَهَرَتْ يَوْمَ مَوْلِدِه ﷺ مُرتَفِعةٌ في الآفَاقِ، والبُرهانُ الحَقُّ يَظْهَرُ مِنَ المَعَانِي الَّتِي أَتَتْ بِهَا الكُتُبُ المُنَزَّلةُ، ومِنَ الكَلَامِ الَّذِي نَطَقَتْ به أَلسِنَةُ الأَحْبَارِ والرُّهْبَانِ.

عَمُوا وصَمُّوا، فَإِعْلَانُ البَشَائِرِ لَمْ تُسْمَعْ، وبارِقَةُ الإِنْذَارِ لَمْ تُشَمِ
مِنْ بَعْدِ ما أَخْبَرَ الأَقْوَامَ كاهِنُهمْ بِأَنَّ دِينَهُمُ الْمُعْوَجَّ لَمْ يَقُمِ

«العَمَى»: عَدَمُ البَصَرِ، و«الصَّمَمُ»: عَدَمُ السَّمْعِ، و«الإِعْلَانُ»: الإِظْهَارُ، و«البَشَائِرُ»: جَمْعُ بِشَارةٍ أَوْ بُشْرَى؛ وهُوَ الخَبَرُ السَّارُّ، و«بَارِقَةُ»: مِنْ بَرَقَ، إذا لَمَعَ، والتَّاءُ لِلْمُبالَغَةِ، و«الإِنْذَارِ»: الإِعْلَامُ، و«تُشَمِ»: مِنْ شِمْتُ البَرْقَ إذا نَظَرْتَ إلى السَّحابةِ أَيْنَ تُمْطِرُ، أَيْ لَمْ تُبْصِرْ.

و«الأقوامَ»: جَمْعُ قَوْمٍ، يُطْلَقُ علَى الذُّكُورِ والإِنَاثِ، وقِيلَ: يَخْتَصُّ بالذُّكُورِ، و«الكَاهِنُ»: الَّذِي يُخْبِرُ عَنِ المُغَيَّبَاتِ الماضِيَةِ - قالَه الراغِبُ، و«دِينَهُمُ»: طَرِيقَتُهم الَّتِي تَدَيَّنُوا بها، و «اعْوَجَّ الشَّيْءُ، فهُوَ مُعْوَجٌّ»: أَيْ صارَ ذا عِوَجٍ، يُقالُ: «في الدِّينِ عِوَجٌ»، بكَسْرِ العَيْنِ وفَتْحِ الواوِ، و«في العُودِ عَوَجٌ»، بفَتْحِهما، و «لَمْ يَقُمِ»: أَيْ لَمْ يَدُمْ، مِنْ قامَ الأَمْرُ: دامَ، وأَقَامَه اللّهُ تعالى: أَدامَه.

الإعرابُ:

* «عَمُوا» :-بفَتْحِ العَيْنِ- فِعْلٌ وفاعلٌ، والضَّمِيرُ «لِلفُرْسِ»، «وصَمُّوا» :-بفَتْحِ الصادِ- فِعْلٌ وفاعلٌ، جُملةٌ مَعطوفةٌ عَلَى ما قَبْلَها.

* «فإعْلَانُ»:-بِكَسْرِ الهَمْزَةِ- مُبتدأٌ، «البَشَائِرِ»: مُضَافٌ إلَيْها، «لَمْ تُسْمَعْ»:-بالمُثَنَّاةِ الفَوْقِيَّةِ، والبِنَاء لِلمَفْعُولِ - خَبَرُ المبتدأِ، واكتُسِبَ التأنيثُ مِنَ المُضَافِ إلَيْه.

* و«بَارِقَةُ»: بالمُوَحَّدةِ- مبتدأٌ، «الإنْذَارِ»:- بكَسْرِ الهَمْزَةِ - مُضافٌ إلَيْه، «لَمْ تُشَمِ»:- بضَمِّ المُثَنَّاةِ الفَوْقِيَّةِ، وفَتْحِ المُعْجَمةِ - خَبَرُ المبتَدَأِ.

* «مِنْ بَعْدِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«صَمُّوا»؛ لِقُرْبِه، وهُوَ مَطْلُوبٌ أَيْضًا لِـ«عَمُوا» مِنْ جِهَةِ المَعْنَى على سَبِيلِ التنازُعِ، «ما» : مَوصُولٌ حَرْفِيٌّ يُسْبَكُ مَعَ صِلَتِه بِمَصْدَرٍ مَجرورٍ بإضافَةِ «بَعْدِ» إلَيه، «أَخْبَرَ»: فِعْلٌ ماضٍ، «الأَقْوَامَ»: مَفعُولٌ مُقَدَّمٌ، «كاهِنُهُم»: فاعلٌ مُؤَخَّرٌ وُجُوبًا.

* «بِأَنَّ»:-بِفَتْحِ الهَمْزةِ- مُتَعَلِّقٌ بـ «أَخْبَرَ»، «دِينَهُمُ»: اسمُ «أنَّ»، «المُعْوَجَّ»-بضَمِّ المِيمِ، وسُكُونِ العَيْنِ المُهْمَلةِ، وفَتْحِ الوَاوِ والجِيمِ المُشَدَّدَةِ- نَعْتُ «دِينَهُمُ»، «لَمْ يَقُمِ»:-بفَتْحِ اليَاءِ وضَمِّ القافِ، أَوْ بضَمِّ اليَاءِ وكَسْرِ القافِ؛ مِنْ «أَقَامَ»، والجُمْلةُ خَبَرُ «أَنَّ».

ومَعْنَى البَيْتَيْنِ:

عَمُوا؛ فَلَمْ يُبْصِرُوا بارِقَةَ الإنْذَارِ، وصَمُّوا؛ فَلَمْ يَسْمَعُوا إعْلَانَ البَشَائِرِ مِنْ بَعْدِ إخْبَارِ الكُهَّانِ لَهُم بأنَّ دِينَهم المائلَ عَنِ الحَقِّ لا يَدُومُ ولا يُقِيمُ.

وفِي البَيْتِ الأَوَّلِ مِنَ البَدِيعِ: اللَّفُّ والنَّشْرُ المُشَوَّشُ، وفي البَيْتِ الثَّانِي مِنَ البَدِيعِ: الجِنَاسُ الشِّبِيهُ بالمُشْتَقِّ بَيْنَ «الأقوامَ»، و «لَمْ يَقُمِ».

وبَعْدَ مَا عايَنُوا فِي الأُفْقِ مِنْ شُهُبٍ ... مُنْقَضَّةٍ وَفْقَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ صَنَمِ

حَتَّى غَدَا عَنْ طَرِيقِ الوَحْيِ مُنْهَزِمٌ ... مِنَ الشَّياطِينِ يَقْفُو إثْرَ مُنْهَزِمِ

«عَايَنُوا»: شاهَدُوا، و«الأُفْقِ»: نَوَاحِي السَّمَاءِ، و«الشُّهُبُ»: جَمْعُ شِهَابٍ؛ وهِيَ النُّجُومُ الَّتِي تَرْمِي بِهَا الشياطِينُ عِنْدَ استِرَاقِ السَّمْعِ مِنَ المَلَائِكَةِ، «مُنْقَضَّةٍ»: مِنَ انْقَضَّ السَّهْمُ: سَقَطَ، و«الوَفْقُ»: المُوَافَقَةُ، و«الصَّنَمُ»: المُصَوَّرُ مِنْ حَجَرٍ وغَيْرِه، و«الغُدُوُّ»:

الذَّهَابُ، و«الوَحْيِ»الكَلَامُ الخَفِيُّ، و«طَرِيقُه»:أَبْوابُ السَّمَاءِ، و«المُنْهَزِمُ»: الهَارِبُ، و«الشَّيَاطِينِ»: جَمْعُ شَيْطَانٍ، بِمَعْنَى المُبْعَدِ إِنْ كانَ مِنْ «شَطَنَ»، أَوِ المُحْرَقِ إِنْ كانَ مِنْ «شَاطَ»، و«القَفْوُ»: الاتِّبَاعُ، و«الانْهِزَامُ»: الهَرَبُ.

الإعرابُ:

* «وبَعْدَ»: يَجُوزُ فِيهِ النَّصْبُ بالعَطْفِ على مَحَلِّ «بَعْدِ» المَجرورةِ بـ «مِنْ»، ويَجُوزُ فِيهِ الجَرُّ بالعَطْفِ علَى لَفْظِه؛ كقَوْلِه [لبيد]:

فإِنْ لم تَجِدْ مِنْ دُونِ عَدْنَانَ والدًا ودُونَ مَعَدٍّ فَلْتَزَعْكَ العَوَاذِلُ

يُرْوَى بِنَصْبِ «دُونَ» الثاني، وخَفْضِه عَلَى التوجيهَيْنِ.

* «ما»: مَوْصولةٌ، «عايَنُوا»: صِلَتُها، وعائدُها محذوفٌ؛ أَيْ «عايَنُوه»، «فِي الأُفْقِ»:-بِضَمِّ الهَمْزَةِ، وسُكُونِ الفَاءِ- مُتَعَلِّقٌ بـ «عايَنُوا»، «مِنْ شُهُبٍ»:-بضَمِّ الشِّينِ المعجَمةِ والهاءِ- بَيَانٌ لِـ «ما».

* «مُنْقَضَّةٍ»:-بضَمِّ المِيمِ، وسُكُونِ النُّونِ، وتَشْدِيدِ الضَّادِ المُعْجَمةِ- نَعْتُ «شُهُبٍ»، «وَفْقَ»:-بفَتْحِ الواوِ، وسكون الفَاءِ - مَنصُوبٌ بِنَزْعِ الخافِضِ، أَيْ «عَلَى وَفْقِ»، «ما»: مَوْصُولٌ اسْمِيٌّ، «فِي الأَرْضِ»: صِلَتُها، «مِنْ صَنَمٍ»:-بفَتْحِ الصادِ المُهْمَلةِ والنُّونِ- بَيَانٌ لِـ «ما».

* «حَتَّى»: حَرْفُ غايَةٍ، «غَدَا»:-بمُعجَمَةٍ فمُهْمَلةٍ- فِعْلٌ ماضٍ، «عَنْ طَرِيقِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ «غَدَا»، «الوَحْيِ»: مُضَافٌ إِلَيْه، «مُنْهَزِمٌ»:-بضَمِّ المِيمِ، وكَسْرِ الزَّايِ- فاعلُ «غَدَا».

* «مِنَ الشَّيَاطِينِ»: نَعْتُ «مُنْهَزِمٌ»، «يَقْفُو»:-بالقَافِ والفاءِ- فِعْلٌ مُضارِعٌ، وفاعِلُه مُسْتَتِرٌ فِيه يَعُودُ إِلى «مُنْهَزِمٌ»، والجُمْلةُ نَعْتٌ ثانٍ له، «إِثْرَ»:-بِكَسْرِ الهَمْزةِ، وسُكُونِ المُثَلَّثةِ- مُتَعَلِّقٌ بـ «يَقْفُو»، «مُنْهَزِمِ»:-بِضَمِّ المِيمِ، وسُكُونِ النُّونِ، وفَتْحِ الهَاءِ، وكَسْرِ الزَّايِ - مُضَافٌ إِلَيْه.

ومَعْنَى البَيتَيْنِ:

وَمِنْ بَعْدِ الَّذِي عايَنُوه مِنْ شُعَلِ النَّارِ النازِلَةِ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الشَّيَاطِينِ المُسْتَرِقِينَ لِلسَّمْعِ، عَلَى وَفْقِ تَنْكِيسِ الأَصْنَامِ الَّتِي فِي الأَرْضِ، إِلَى أَنْ ذَهَبَ كُلُّ شَيْطانٍ هارِبٍ عَنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ، وصَارَ يَتَّبِعُ أَثَرَ شَيطانٍ هارِبٍ مِثْلِه.

كَأَنَّهُمْ هَرَبًا أَبْطَالُ أَبْرَهَةٍ ... أَوْ عَسْكَرٌ بالحَصَى مِنْ راحَتَيْه رُمِي

نَبْذًا بِهِ بَعْدَ تَسْبِيحٍ بِبَطْنِهِمَا ... نَبْذَ المُسَبِّحِ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَقِمِ

«الهَرَبُ»: الفِرَارُ السَّرِيعُ، و«الأَبْطَالُ»: جَمْعُ بَطَلٍ؛ وهُوَ الشُّجَاعُ، و«أَبْرَهَةَ» بالحَبَشِيَّةِ أَبْيَضُ الوَجْهِ، والمُرَادُ بِهِ اسمُ رَئِيسِ أَصْحَابِ الفِيلِ، ويُقَالُ لَهُ الأَشْرَمُ، و«العَسْكَرُ»: الجَيْشُ العَظِيمُ، و «الحَصَى»: جَمْعُ حَصَاةٍ، وَهِيَ حِجَارَةٌ صَغَارٌ صُلْبَةٌ، و«الرَّاحَةُ»: الكَفُّ.

و«النَّبْذُ»: الطَّرْحُ، و«التَّسْبِيحُ»: التَّنْزِيهُ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ، و«البَطْنُ»: ضِدُّ الظَّهْرِ، والمُرَادُ بـ«المُسَبِّحِ» هُنَا: يُونُسُ ؛ مِنْ قَوْلِه تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: 143]، و «الأَحْشَاءُ»: جَمْعُ «حَشًا»؛ وهُوَ ما انضَمَّتْ عَلَيْه الضُّلُوعُ، والمُرَادُ بـ «المُلْتَقِمِ»: الحُوتُ الَّذِي الْتَقَمَ يُونُسَ؛ مِنْ قَوْلِه تعالى: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾ [الصافات: 142].

الإعْرَابُ:

* «كَأَنَّهُمْ»: «كَأَنَّ»: حَرْفُ تَشْبِيهٍ، يَنْصِبُ الاسْمَ، ويَرْفَعُ الخَبَرَ، والضَّمِيرُ اسْمُها، «هَرَبًا»: حالٌ، والعامِلُ فِيهَا مَا فِي «كَأَنَّ» مِنْ مَعْنَى التَّشْبِيهِ، وذُو الحَالِ اسمُ «كَأَنَّ».

* «أَبْطَالُ»: خَبَرُها، «أَبْرَهَةٍ»:-بفَتْحِ الهَمْزَةِ، وسُكُونِ المُوَحَّدَةِ، وفَتْحِ الرَّاءِ المُهْمَلَةِ - والصَّرْفُ لِلضرُورةِ.

* «أَوْ عَسْكَرٌ»: بالرَّفْعِ عَطْفًا على «أبطالُ»، وبالجَرِّ عَطْفًا عَلَى «أَبْرَهَةٍ».

* «بالْحَصَى»: مُتَعَلِّقٌ بـ «رُمِي».

* «مِنْ راحَتَيْه»: حالٌ مِنَ «الحَصَى»، والضَّمِيرُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، «رُمِي»: -بالبِنَاءِ لِلمَفْعُولِ- مَعْطُوفٌ في المَعْنَى على خَبَرِ «كَأَنَّ»، وتَقديرُ البَيْتِ: كَأَنَّ الشياطِينَ -في حالِ كَوْنِهم هارِبِينَ - أبطالُ أَبْرَهَةَ، أَوْ كَأَنَّهم عَسْكَرٌ رُمِيَ بالحَصَى مِنْ راحَتَيِ النَّبِيِّ ﷺ.

* «نَبْذًا»: بالمُعْجَمةِ- مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ، والناصِبُ له «رُمِي» لِأَنَّه يُلَاقِيه في المَعْنَى لِأَنَّ الرَّمْيَ هُوَ النَّبْذُ؛ علَى حَدِّ «قَعَدْتُ جُلُوسًا».

* «بِهِ، بَعْدَ»: مُتَعَلِّقَانِ بـ «رُمِي»، ولا يَجُوزُ تَعَلُّقُهما بـ «نَبْذًا» لِأَنَّ المَصْدَرَ المُؤَكِّدَ لا يَعْمَلُ، «تَسْبِيحٍ»: مُضَافٌ إِلَيْه، «بِبَطْنِهِما»: نَعْتُ «تَسْبِيحٍ».

* «نَبْذَ»: -بالمُعْجَمةِ - مَفْعولٌ مُطْلَقٌ نَوْعِيٌّ تَشْبِيهِيٌّ؛ أَيْ «مِثْلَ نَبْذِ»، «المُسَبِّحِ»: -بِضَمِّ المِيمِ، وكَسْرِ المُوَحَّدَةِ المُشَدَّدةِ- مُضَافٌ إِلَيْه.

* «مِنْ أَحْشَاءِ»: حالٌ مِنَ «المُسَبِّحِ»، «مُلْتَقِمِ»: -بِضَمِّ المِيمِ، وسُكُونِ اللَّامِ، وكَسْرِ القَافِ- مُضَافٌ إِلَيْه.

ومَعْنَى البَيْتَيْنِ:

كَأَنَّ الشياطينَ في هَرَبِهِم أَبْطالُ أَبْرَهَةَ في هَرَبِهم لَمَّا رُمُوا بالحِجَارةِ مِنْ سِجِّيلٍ وَوَلَّوْا هارِبِينَ، أَوْ كَأَنَّ الشَّيَاطِينَ عَسْكَرٌ رُمِيَ بالحَصَى مِنْ بَطْنِ كَفَّيْه ﷺ، فهَرَبَ مِنْ رَمْيِه كَمَا وَقَعَ في غَزْوَةِ بَدْرٍ وحُنَيْنٍ؛ إِلَّا أَنَّه لَمْ يُسْمَعْ لِلْحَصَى فِيهما تَسْبِيحٌ، وإِنَّمَا رُوِيَ عَنْ أَنَسٍ d قالَ: (أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَفًّا مِنْ حَصًى، فَسَبَّحْنَ في يَدِه الشريفةِ حَتَّى سَمِعْنَا التَّسْبِيحَ...) الحديث[1].

---

(1) رواه ابن عساكر في تاريخه من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (أن النبي ﷺ أخذ حصيات في يده، فسبحن حتى سمعنا التسبيح، ثم صيرهن في يد أبي بكر، فسبحن حتى سمعنا التسبيح، ثم صيرهن في يد عمر، فسبحن حتى سمعنا التسبيح، ثم صيرهن في يد عثمان، فسبحن حتى سمعنا التسبيح، ثم صيرهن في أيدينا رجلا رجلا، فما سبحت حصاة منهن).

وظاهرُ كَلَامِ النَّاظِمِ أنَّ الرَّمْيَ والتسبيحَ في مَوْطِنٍ واحدٍ، وفيه نَظَرٌ؛ إلّا أَنْ يُحْمَلَ عَلَى أنَّ التسبيحَ وَقَعَ سِرًّا، فيَستَقِيمُ قَوْلُه: نَبْذًا بالحَصَى المُسَبِّحِ في بَطْنِ راحَتَيْه مِثْلَ نَبْذِ يُونُسَ المُسَبِّحِ في بَطْنِ الحُوتِ المُلْتَقِمِ له.

والقَصْدُ تَشْبِيهُ نَبْذِه ﷺ بالحَصَى المُسَبِّحِ العَسْكَرَ، فهَرَبَ مُنْكَسِرًا- بِنَبْذِ اللهِ تعالى يونُسَ المُسَبِّحَ في بَطْنِ الحُوتِ حَيًّا؛ في أَنَّ كُلًّا مِنْهما خارِقٌ لِلعَادةِ، وهُوَ تَشْبِيهٌ لَطِيفٌ؛ فإنَّ بَيْنَ انطِبَاقِ الضُّلُوعِ على ما يَحْصُلُ فِيهَا مِنَ الشَّخْصِ المُسَبِّحِ، وبَيْنَ انضِمَامِ الأَصَابِعِ عَلَى ما يَحْصُلُ في الرَّاحَةِ مِنَ الحَصَى المُسَبِّحِ مُقابَلَةً لَطِيفةً.

الفصل الخامس في معجزاته ﷺ

جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الأَشْجارُ سَاجِدَةً ... تَمْشِي إِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِلَا قَدَمِ

كَأَنَّمَا سَطَرَتْ سَطْرًا لِمَا كَتَبَتْ ... فُرُوعُهَا مِنْ بَدِيعِ الخَطِّ باللَّقَمِ

مِثْلَ الغَمَامَةِ أَنَّى سَارَ سَائِرَةً ... تَقِيهِ حَرَّ وَطِيسٍ لِلْهَجِيرِ حَمِي

«جَاءَتْ»: أَتَتْ، «لِدَعْوَتِهِ»: أَيْ لِنِدَائِه، «الأَشْجَارُ»: جَمْعُ شَجَرةٍ؛ وَهِيَ مَا لَهُ سَاقٌ، و«ساجدةً»: أَيْ خاضِعَةً، و «القَدَمُ»: طَرَفُ الرِّجْلِ.

و«السَّطْرُ»: الخَطُّ، و«فُرُوعُ الشَّجَرَةِ»: أَعْلَاها، و«البَدِيعُ»: الغَرِيبُ والعَجِيبُ، و«اللَّقَمِ»:-بالفَتْحِ- وَسَطُ الطَّرِيقِ.

و«الغَمامَةِ»: واحِدَةُ الغَمَامِ، وَهِيَ السَّحَابَةُ، و«تَقِيهِ»: أَيْ تَحْفَظُه، و«الوَطِيسُ»: التَّنُّورُ، و«الهَجِيرُ»: نِصْفُ النَّهَارِ إذا كانَ حَارًّا، و«حَمِيَ الوَطِيسُ»: إذا اشْتَدَّ الحَرُّ.

الإعرابُ:

* «جاءَتْ»: فِعْلٌ ماضٍ وعَلَامةُ تأنِيثٍ «لِدَعْوَتِه»: مُتَعَلِّقٌ بـ«جاءَتْ».

* «الأَشْجَارُ» :فاعِلُ «جاءَتْ»، «ساجِدَةً» : حالٌ مِنَ «الأَشْجَارُ».

* «تَمْشِي» : حالٌ ثانِيَةٌ مِنَ «الأَشْجَارُ»، أَوْ مِنْ فاعِلِ «ساجِدَةً» المُسْتَتِرِ فيه، فهِيَ عَلى الْأَوَّلِ مِنَ الأَحْوَالِ المُتَرَادِفَةِ، وعَلَى الثَّانِي مِنَ الأَحْوَالِ المُتَدَاخِلَةِ، «إِلَيْه، عَلَى ساقٍ» : مُتَعَلِّقَانِ بـ «تَمْشِي».

* «بِلَا قَدَمٍ» :بِكَسْرِ المُوَحَّدَةِ، وفَتْحِ القافِ والدَّالِ - فِي مَوْضِعِ النَّعتِ لِـ «سَاقٍ».

* «كَأَنَّمَا» : حَرْفُ تَشْبِيهٍ مُهْمَلٍ، «سَطَرَتْ» :- بفَتْحِ السِّينِ والطَّاءِ المُهْمَلَتَيْنِ - فِعْلٌ ماضٍ، وفاعلُه مُسْتَتِرٌ فِيهِ يَعُودُ علَى «الأَشْجَارُ»، «سَطْرًا» :-بفَتْحِ السِّينِ المُهْمَلَةِ- مَفْعُولٌ به.

* «لِمَا» : بِكَسْرِ اللَّامِ، وتَخْفِيفِ المِيمِ- مُتَعَلِّقٌ بـ«سَطَرَتْ»، و«ما» : مَوْصُولٌ اسْمِيٌّ، «كَتَبَتْ» : فِعْلٌ ماضٍ وتاءُ تأْنِيثٍ.

* «فُرُوعُها» : فاعلٌ لِـ «كَتَبَتْ»، والجُمْلةُ صِلَةُ «ما»، والعائدُ مَحْذُوفٌ؛ أَيْ «كَتَبَتْه».

* «مِنْ بَدِيعٍ» : بَيَانٌ لِـ «ما» مُتَعَلِّقٌ بِـ«كَتَبَتْ»، «الخَطِّ» :-بِفَتْحِ الخاءِ المُعْجَمةِ، وبالطَّاءِ المُهْمَلةِ - مُضَافٌ إِلَيْه، «باللَّقَمِ» :-بِفَتْحِ اللَّامِ والقافِ - مُتَعَلِّقٌ بـ«كَتَبَتْ»، والبَاءُ بِمَعْنَى «في».

* «مِثْلَ» : بالنَّصْبِ عَلَى الحَالِ مِنْ فاعلِ «تَمْشي»، وبالرَّفْعِ خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحذُوفٍ، أَيْ «أَمْرُها مِثْلُ»، «الغَمَامَةِ» : مُضَافٌ إِلَيْها.

* «أَنَّى» :-بِفَتْحِ الهَمْزةِ والنُّونِ المُشَدَّدةِ- ظَرْفُ زَمَانٍ، وفِيه مَعْنَى الشَّرْطِ، «سَارَ» : فِعْلُ الشَّرْطِ.

* «سائِرَةً» :- بالنَّصْبِ- حالٌ مِنَ «الغَمامَةِ»، وصَحَّ مَجِيءُ الحالِ مِنَ المُضافِ إِلَيْه؛ لِأَنَّ المُضَافَ «مِثْلَ» بِمَعْنَى «مُمَاثِلٍ»؛ فهُوَ عامِلٌ في الحالِ، وجَوَابُ الشَّرْطِ مَحذُوفٌ، أَيْ «فَهِيَ سائرةٌ مَعَه».

* «تَقِيهِ»: -بِفَتْحِ التَّاءِ الفَوْقِيَّةِ، وكَسْرِ القافِ - فِعْلٌ مُضارِعٌ مُتَعَدٍّ لِاثْنَيْنِ: أَوَّلُهما الهاءُ، وثانِيهما «حَرَّ»، بِفَتْحِ المُهْمَلَتَيْنِ، والجُملةُ إمَّا صِفَةٌ لِـ «سائِرةً»، بِنَاءً عَلَى أَنَّ الوَصْفَ يُوصَفُ وهُوَ الصحيحُ، وإمَّا حالٌ مِنَ «الغَمامةِ»، أوْ مِنَ الضَّمِيرِ المُسْتَتِرِ في «سائِرَةً».

* «وَطِيسٍ»: بفَتْحِ الوَاوِ، وكَسْرِ الطَّاءِ المُهْمَلةِ، وفي آخِرِه سِينٌ مُهمَلةٌ - مُضَافٌ إلَيْه.

* «لِلهَجِيرِ»: بِفَتْحِ الهَاءِ، وكَسْرِ الجِيمِ - مُتَعَلِّقٌ بـ «حَمِي».

* و«حَمِي»: بِفَتْحِ المُهْمَلةِ، وكَسْرِ المِيمِ - فِعْلٌ ماضٍ، وفاعِلُه ضَمِيرُ «وَطِيسٍ» المُسْتَتِرُ فيه، والجُمْلةُ نَعْتُ «وَطِيسٍ».

ومَعْنَى الأبْياتِ الثَّلاثةِ:

أنَّ النَّبِيَّ ﷺ نادَى شَجَرَةً، فأَقْبَلَتْ خاضِعَةً ماشِيَةً على ساقِها وَهِيَ تَشُقُّ الأَرْضَ شَقًّا.

ولَمْ يَكُنْ في مَشْيِها عَوَجٌ ولا مَيْلٌ، بَلْ تَمْشي مَشْيَ استقامةٍ كالإنسانِ الَّذِي يَأْتِي وهُوَ مُتَأَدِّبٌ مِنْ غَيْرِ خَلَلٍ في مَشْيِه، كسَطْرٍ سَطَرَه الكاتِبُ لِيَكْتُبَ عَلَيْه، فكَأَنَّها سَطَرَتْ فِي مَجِيئِها سَطْرًا مُستقِيمًا تَمْشِي عَلَيْه وَسَطَ الطريقِ.

ومَثَلُ مَجِيءِ الأشجارِ له بأمْرِه وإشارَتِه مَثَلُ الغمامةِ في تظليلِها إيَّاه مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ في وَسَطِ النَّهارِ في أَنَّهما مُعجِزَتانِ خارِقَتانِ لِلعادَةِ في الأسافِلِ والأعالِي.

أَقْسَمْتُ بالقَمَرِ المُنْشَقِّ إنَّ لَهُ ... مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةَ القَسَمِ

«القَسَمُ»: اليَمِينُ، و«النِّسْبَةُ»: الشَّبَهُ، و«مَبْرُورَةَ»: مِنْ «بَرَّ في يَمِينِه»: أَمْضَاها على الصِّدْقِ.

الإعرابُ:

* «أَقْسَمْتُ»:-بِضَمِّ التَّاءِ- فِعْلٌ وفاعلٌ، «بالقَمَر»: مُتَعَلِّقٌ بـ«أَقْسَمْتُ» عَلَى تقديرِ مُضافٍ بَيْنَ الجارِّ والمَجْرُورِ؛ أَيْ «بِرَبِّ القَمَرِ»، «المُنْشَقِّ»: نَعْتُ «القمَرِ».

* «إنَّ»:- بِكَسْرِ الهَمزَةِ- حَرْفُ تَوكيدٍ، يَنصِبُ الاسمَ، ويَرفَعُ الخَبَرَ، «له»: خَبَرُ «إنَّ» مُقَدَّمٌ، والضميرُ لِلقَمَرِ، «مِنْ قَلْبِه»: مُتَعَلِّقٌ بـ«نِسْبَةً»، والضَّمِيرُ لِلنَّبِيِّ ﷺ.

* «نِسْبَةً»:-بِكَسْرِ النُّونِ، وسُكُونِ السِّينِ المُهْمَلةِ، وفَتْحِ الباءِ المُوَحَّدةِ - اسمُ «إنَّ» مُؤَخَّرٌ، وجُمْلةُ «إنَّ» ومَعمولَيْها جَوَابُ «أَقْسَمْتُ»، لا مَحَلَّ لَهَا مِنَ الإعْرَابِ، «مَبْرُورَةً»:-بِمُوَحَّدةٍ ومُهْمَلَتَيْنِ - نَعْتٌ لِمحذوفٍ، «القَسَمِ»:-بفَتْحَتَيْنِ- مُضَافٌ إلَيْه.

ومَعْنَى البَيْتِ:

أَقْسَمْتُ بِرَبِّ القَمَرِ يَمِينًا مَبْرُورةً إنَّ لِلقَمَرِ المُنْشَقِّ شَبَهًا بِقَلْبِه ﷺ في انشِقَاقِ كُلٍّ مِنْهُما مَرَّتَيْنِ، ووَجْهُ الشَّبَهِ بَيْنَ الانشِقَاقَيْنِ جَرْيُهُمَا عَلَى خِلَافِ العادَةِ في الانشِقَاقِ والالْتِئَامِ مِنْ غَيْرِ تأثِيرٍ ولا اختِلَالٍ.

وَمَا حَوَى الغَارُ مِنْ خَيْرٍ ومِنْ كَرَمٍ وَكُلُّ طَرْفٍ مِنَ الكُفَّارِ عَنْه عَمِي

«حَوَى»: أَيْ جَمَعَ، و«الغَارُ»: هُوَ المَكَانُ الَّذِي اخْتَفَى فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهُوَ ثُقْبٌ في جَبَلٍ يُسَمَّى ثَوْرًا -بالمُثَلَّثةِ- في أَسْفَلِ مَكَّةَ، و«الخَيْرُ»:-بِفَتْحِ الخَاءِ المُعْجَمةِ - كَثِيرُ الخَيْرِ، - وبِكَسْرِ الخَاءِ - الكَرَمُ والشَّرَفُ، والأَصْلُ والهَيبةُ؛ كَذَا في «القامُوسِ»، ويَحْتَمِلُ عِنْدِي أَنَّه أَرَادَ بـ«الخَيْرِ» النَّبِيَّ ﷺ، وبـ«الكَرَمِ» صاحِبَه أَبَا بَكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، و«الطَّرْفُ»: البَصَرُ، و«العَمَى»: عَدَمُ البَصَرِ عَمَّا مِنْ شَأْنِه أَنْ يَكُونَ بَصِيرًا.

الإعرابُ:

* «وَمَا»: مَوْصُولٌ اسْمِيٌّ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ؛ خَبَرٌ لِمُبتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، «حَوَى الغَارُ»: فِعْلٌ وفاعلٌ؛ صِلَةُ «ما»، والعائدُ محذوفٌ، أَيْ «حَوَاه».

* «مِنْ خَيْرٍ، وَمِنْ كَرَمٍ»: مُتَعَلِّقَانِ بـ«حَوَى»، و«مِنْ» فِيهِمَا لِلْبَيَانِ لِـ«مَا»، عَلَى تَقدِيرِ مُضَافٍ، أَيْ «مِنْ صاحِبِ خَيْرٍ، وَمِنْ صاحِبِ كَرَمٍ».

* «وكُلُّ طَرْفٍ»:-بِفَتْحِ الطَّاءِ المُهْمَلَةِ، وسُكُونِ الرَّاءِ - مُبتَدَأٌ ومُضَافٌ إِلَيْه، «مِنَ الكُفَّارِ»: نَعْتُ «طَرْفٍ».

* «عَنْهُ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«عَمِي»، والضميرُ لِلمَحْوِيِّ المُسْتفادِ مِنْ «حَوَى» الشَّامِلِ لَه ﷺ ولِصَاحِبِه أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* «عَمِي»: فِعْلٌ ماضٍ وفاعِلُه مُستَتِرٌ فِيه يَعُودُ علَى «كُلُّ طَرْفٍ»، والجُملةُ خَبَرُ المُبتدأِ.

ومَعْنَى البيتِ:

وَمِنْ مُعجِزاتِه ﷺ أَنَّه دَخَلَ هُوَ وأَبُو بَكْرٍ الغارَ هَرَبًا مِنَ الكُفَّارِ، فطَلَبُوهُمَا حَتَّى وَقَفُوا عَلَى فَمِ الغَارِ، فأَعْمَاهُمُ اللهُ تعالى عَنْهما بِبَرَكَةِ النبيِّ ﷺ.

فالصِّدْقُ في الغَارِ والصِّدِّيقُ لَمْ يَرِمَا ... وهُمْ يَقُولُونَ ما بالغَارِ مِنْ أَرِمِ

«فالصِّدْقُ»: أَيْ ذُو الصِّدْقِ، وهُوَ النبيُّ ﷺ، و«الصِّدِّيقُ»: أبو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «لَمْ يَرِمَا» أَيْ لَمْ يَبْرَحَا، و«أَرِمِ»: بِمَعْنَى «أَحَدٍ» المُلَازِمِ لِلنَّفْيِ.

وفي البَيْتِ مِنَ البَدِيعِ: الجِنَاسُ المُشْتَقُّ في قَوْلِه: «الصِّدْقُ»، و«الصِّدِّيقُ»، وفِيه: رَدُّ العَجُزِ علَى الصَّدْرِ في قَوْلِه: «لَمْ يَرِمَا»، و«أَرِمِ».

الإعرابُ:

* «فالصِّدْقُ»: مُبتَدَأٌ على تَقدِيرِ مُضَافٍ، أَيْ «ذُو الصِّدْقِ»، «في الغارِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«يَرِمَا»، و«الصِّدِّيقُ»: مَعْطُوفٌ عَلَى «الصِّدْقُ».

* «وجُملةُ»: «لَمْ يَرِمَا»:-بِفَتْحِ اليَاءِ التحتِيَّةِ، وكَسْرِ الرّاءِ المهمَلةِ، وبالمِيمِ - خَبَرُ المُبتدأِ ومَا عُطِفَ علَيْه، وأَصْلُ «يَرِمَا»: يَرِيمَانِ، حُذِفَتِ النُّونُ لِلجَزْمِ، واليَاءُ لِلضَّرورةِ.

* و«هُمْ»: مُبتدأٌ، والضميرُ لِلكُفَّارِ، «يَقُولُونَ»: خَبَرُه، «ما»: حَرْفُ نَفْي، «بالغَارِ»: خَبَرٌ مُقَدَّمٌ لِمُبتَدَأٍ مُؤَخَّر، «مِنْ»: حَرْفُ جَرٍّ زائدٌ، «أَرِم»:- بفَتْحِ الهَمْزةِ، وكَسْرِ الرَّاءِ المهمَلةِ - مُبْتَدأٌ مُؤَخَّرٌ، والجُمْلةُ مَقُولُ «يَقُولُونَ».

ومَعْنَى البَيْتِ:

فالنبيُّ ﷺ وأَبُو بَكْرٍ - رَضيَ اللّهُ تعالى عَنْه- لَمْ يَبْرَحَا في الغارِ، والكُفَّارُ لا يَنظُرُونَهما، ويَقُولُونَ: لَيْسَ أَحَدٌ في الغارِ لَمَّا رَأَوْا نَسْجَ العنكبوتِ على فَمِ الغَارِ، وحَوْمَ الحَمَامِ عَلَيْه.

ظَنُّوا الحَمَامَ وظَنُّوا العَنْكَبُوتَ عَلَى خَيْرِ البَرِيَّةِ لَمْ تَنْسُجْ ولَمْ تَحُمِ

«ظَنُّوا»: أَيْ حَسِبُوا، و«الحَمَامُ»: اسمُ جِنسٍ جَمْعِيٍّ، واحِدُه حَمَامةٌ تَقَعُ على الذَّكَرِ والأُنثَى، وهِيَ ذَوَاتُ الأَطْواقِ، و«العَنْكَبُوتُ»: واحِدُ العَنَاكِبِ، و «البَرِيَّةِ»: الخَلِيقةُ، و«النَّسْجُ»: الحِيَاكةُ، و «الحَوْمُ»: الطَّوَافُ.

الإعْرَابُ:

* «ظَنُّوا»: فِعْلٌ وفاعِلٌ، والضَّمِيرُ لِلكُفَّارِ، «الحَمَامَ»: مفعولٌ أَوَّلُ، «وظَنُّوا العَنكَبُوتَ»: فِعْلٌ وفاعِلٌ ومَفْعُولٌ أَوَّلُ.

* «عَلَى خَيْرِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«تَنْسُجْ»، «البَرِيَّةِ»:-بِبَاءٍ مُوَحَّدةٍ مَفْتُوحةٍ، ورَاءٍ مُهمَلةٍ مَكْسورةٍ، ويَاءٍ تَحْتِيَّةٍ مُشَدَّدةٍ- مُضَافٌ إِلَيْه.

* «لَمْ تَنْسُجْ»:-بفَتْحِ المُثَنَّاةِ الفَوْقِيَّةِ، وكَسْرِ السِّينِ المُهْمَلةِ وضَمِّها، وبالجِيمِ- فِعْلٌ مُضَارِعٌ وفاعلُه ضَمِيرُ «العَنكَبُوتَ»، جُملةٌ في مَوْضِعِ المَفعولِ الثانِي لِـ«ظَنُّوا» الثانِيَةِ. «ولَمْ تَحُمِ»:-بفَتْحِ التَّاءِ الفَوْقِيَّةِ، وضَمِّ الحاءِ المُهْمَلةِ - فِعْلٌ مُضارِعٌ، وفاعلُه ضَمِيرُ «الحَمَامَ»، ومُتَعَلِّقُه محذُوفٌ، والجُمْلَةُ في مَوْضِعِ المَفْعُولِ الثَّانِي لِـ«ظَنُّوا» الأَوَّلِ، والتقديرُ: ظَنُّوا الحَمَامَ لَمْ تَحُمْ عَلَى خَيْرِ البَرِيَّةِ، وظَنُّوا العَنكَبُوتَ لَمْ تَنْسُجْ عَلَى خَيْرِ البَرِيَّةِ.

وَفِي البَيْتِ مِنَ البَدِيعِ: اللَّفُّ والنَّشْرُ عَلَى خِلَافِ الترتيبِ، وفِيهِ: التَّكْرِيرُ فِي قَوْلِه: «ظَنُّوا، وظَنُّوا»، وفيه: رَدُّ العَجُزِ عَلَى الصَّدْرِ فِي قَوْلِه: «الحَمَامَ»، و«تَحُمِ».

ومَعْنَى البَيْتِ:

أَنَّ الكُفَّارَ لَمَّا رَأَوُا الحَمَامَ حامَتْ عَلَى الغَارِ، والعَنْكَبُوتَ نَسَجَتْ عَلَيْه في ساعةٍ واحِدَةٍ، ظَنُّوا أَنَّ خَيْرَ البَرِيَّةِ وصاحبَه لَيْسَا في الغَارِ لِظَنِّهم استِبْعَادَ حَوْمِ الحَمَامِ حَوْلَ الغَارِ، ونَسْجِ العَنْكَبُوتِ عَلَيْه في وَقْتٍ لا يَسَعُ ذلكَ.

وِقَايَــةُ اللهِ أَغْنَــتْ عَــنْ مُضَاعَفَــةٍ ... مِــنَ الــدُّرُوعِ، وعَــنْ عــالٍ مِــنَ الأُطُــمِ

«الوِقَايَةُ»: الحِفْظُ، و «أَغْنَتْ»: أَجْزَأَتْ، و «الدُّرُوعُ المُضَاعَفَةُ»: المَنْسُوجَةُ حَلْقَتَيْنِ حَلْقَتَيْنِ؛ تُلْبَسُ لِلْحِفْظِ مِنَ العَدُوِّ، و «الأُطُمِ»: الحُصُونُ، والوَاحِدَةُ «أَطَمَةٌ»، ويُجْمَعُ أَيْضًا على «آطَامٍ».

الإعْرَابُ:

* «وِقَايَةُ اللهِ»:-بِكَسْرِ الوَاوِ- مبتَدَأٌ ومُضَافٌ إِلَيْه، وجُمْلَةُ «أَغْنَتْ»:-بالمُعْجَمَةِ- خَبَرُه، «عَنْ مُضَاعَفَةٍ»: مُتَعلِّقٌ بـ «أَغْنَتْ»، «مِنَ الدُّرُوعِ»:- بمُهْمَلَاتٍ - مُتَعَلِّقٌ بمَحذوفٍ؛ نَعْتُ «مُضاعَفَةٍ».

* «وعَنْ عالٍ»: مَعْطُوفٌ عَلَى «عَنْ مُضاعَفَةٍ»، «مِنَ الأُطُمِ»:-بِضَمِّ الهَمْزَةِ والطاءِ المُهْمَلَةِ - مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ؛ نَعْتُ «عَالٍ».

ومَعْنَى البَيْتِ:

حِفْظُ اللهِ تعالى لَه ﷺ ولِصاحِبه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنَ العَدُوِّ بِهَذَا الغَارِ أَجْزَأَ عَنِ الدُّرُوعِ المُضاعَفَةِ وعَنِ الحُصُونِ العَالِيَةِ؛ كُلُّ ذلكَ بِبَرَكَتِه ﷺ.

مَا سَامَنِي الدَّهْرُ ضَيْمًا واسْتَجَرْتُ بِه ... إِلَّا وَنِلْتُ جِوَارًا مِنْه لَمْ يُضَمِ

وَلَا الْتَمَسْتُ غِنَى الدَّارَيْنِ مِنْ يَدِهِ ... إِلّا اسْتَلَمْتُ النَّدَى مِنْ خَيْرِ مُسْتَلَمِ

«سَامَنِي»: أَيْ كَلَّفَنِي وأَوْلَانِي، و«الدَّهْرُ»: الزَّمَانُ، و«الضَّيْمُ»: الظُّلْمُ، - وفِي نُسْخَةٍ: «مَا ضَامَنِي الدَّهْرُ يَوْمًا» - و«اسْتَجَرْتُ»: أَيْ طَلَبْتُ أَنْ يُجِيرَنِي، و«نِلْتُ»: أَيْ حَصَلْتُ، و«الجِوَارُ»:- بِضَمِّ الجِيمِ، والأَفْصَحُ كَسْرُها- القُرْبُ، والمُرَادُ هُنَا الرِّعايَةُ، و«لَمْ يُضَمِ»: أَيْ لَمْ يُحَقَّرْ، و«الالْتِمَاسُ»: الطَّلَبُ، و «الغِنَى»: اليَسَارُ؛ ضِدُّ الفَقْرِ، و«الدَّارَيْنِ»: الدُّنْيَا والآخِرَةُ، «مِنْ يَدِه»: أَيْ نِعْمَتِه وإحسانِه، و «اسْتَلَمْتُ النَّدَى»: أَيْ أَخَذْتُ العَطَاءَ.

وَفِي البَيْتِ الأَوَّلِ مِنَ البَدِيعِ: الجِنَاسُ المُشْتَقُّ فِي قَوْلِه: «اسْتَجَرْتُ»، و «جِوَارًا»، وفي البَيْتِ الثانِي: جِنَاسُ القَلْبِ في قَوْلِه: «الْتَمَسْتُ»، و «اسْتَلَمْتُ».

وفِيهِ: رَدُّ العَجُزِ عَلَى الصَّدْرِ فَي قَوْلِه: «الْتَمَسْتُ» و «مُسْتَلَمِ».

وفِيه: التَّوْرِيَةُ المُرَشَّحَةُ في قَوْلِه: «يَدِهِ»؛ فإنَّ مَعْنَاهَا القَرِيبَ العُضْوُ، والبَعِيدَ النِّعْمَةُ، والمُرَشِّحُ لِلقَرِيبِ قَوْلُه: «مُسْتَلَمِ».

الإعْرَابُ:

* «مَا»: حَرْفُ نَفْيٍ «سامَنِي»:- بالمُهْمَلةِ - فِعْلٌ ماضٍ مُتَعَدٍّ لِاثْنَيْنِ، أَوَّلُهُما ياءُ المُتَكَلِّمِ المُتَّصِلةُ به، «الدَّهْرُ»: فاعِلُ «سَامَنِي»، «ضَيْمًا»:- بالمُعْجَمَةِ المَفْتُوحةِ- مَفْعُولُ «سَامَنِي» الثَّانِي.

* «واسْتَجَرْتُ»: فِعْلٌ وفاعِلٌ، مَعْطُوفٌ عَلَى «سَامَنِي الدهْرُ»، «بِهِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ «اسْتَجَرْتُ»، والضَّمِيرُ لِلنَّبِيِّ ﷺ.

* «إلَّا»: حَرْفُ إيجَابٍ، «وَنِلْتُ»بِكَسْرِ النُّونِ، وضَمِّ التَّاءِ- فِعْلٌ وفاعلٌ في مَوْضِعِ الحالِ مِنْ ضَمِيرِ المُتَكَلِّمِ، ومَنَعَ ابنُ مالكٍ اقتِرَانَ المَاضِي الواقِعِ حالًا بالواوِ، وأَجَازَه غَيْرُه.

* «جِوَارًا»:-بِكَسْرِ الجِيمِ أَفْصَحُ مِنْ ضَمِّها- مَفْعُولُ «نِلْتُ»، «مِنْهُ»: نَعْتُ «جِوَارًا»، والضَّمِيرُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، «لَمْ يُضَمِ»:- بِضَمِّ اليَاءِ التَّحْتِيَّةِ، وفَتْحِ الضَّادِ المُعْجَمَةِ - نَعْتُ «جِوَارًا» أَيْضًا.

* «وَلَا»: نافيَةٌ، «الْتَمَسْتُ»: بِضَمِّ التَّاءِ - فِعْلٌ وفاعِلٌ، «غِنَى»:- بِكَسْرِ الغَيْنِ المُعْجَمَةِ، والقَصْرِ مَعَ التَّنْوِينِ[1] - مَفْعُولُ «الْتَمَسْتُ»، وهُوَ مُضَافٌ، «الدارَيْنِ»:- بالتَّثْنِيَةِ- مُضَافٌ إلَيْهِمَا، «مِنْ يَدِه»: مُتَعَلِّقٌ بـ «التَمَسْتُ»، والضَّمِيرُ لِلنَّبِيِّ ﷺ.

* «إلَّا»: حَرْفُ إيجَابٍ، «اسْتَلَمْتُ»:- بِضَمِّ التَّاءِ- فِعْلٌ وفاعِلٌ فِي مَوْضِعِ الحَالِ مِنْ ضَمِيرِ المُتَكَلِّمِ.

* «النَّدَى»:-بِفَتْحِ النُّونِ، والقَصْرِ- مَفْعولُ «استَلَمْتُ»، «مِنْ خَيْرِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«استَلَمْتُ»، «مُسْتَلَمِ»: بِفَتْحِ التَّاءِ واللَّامِ - مُضَافٌ إلَيْه.

وَمَعْنَى البَيْتَيْنِ:

مَا نالَنِي ضَيْمٌ واستَجَرْتُ بالنبيِّ ﷺ إلّا كُنْتُ نائِلًا جِوَارًا مُحْتَرَمًا، ولا طَلَبْتُ مِنْ فَضْلِه غِنًى فِي الدُّنْيَا بالكِفَايَةِ وفِي الآخِرَةِ بالسَّلَامَةِ إلا كُنْتُ آخِذَ العَطَاءِ مِنْ خَيْرِ مَطْلُوبٍ مِنْه؛ فإنَّه لا يَرُدُّ سائلَه.

لَا تُنْكِرِ الوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاه إنَّ لَه ... قَلْبًا إذَا نامَتِ العَيْنَانِ لَمْ يَنَمِ

وذَاكَ حِينَ بُلُوغٍ مِنْ نُبُوَّتِه ... فَلَيْسَ يُنْكَرُ فِيهِ حَالُ مُحْتَلِمِ

«الإنكَارُ»: الجَحْدُ، و«الوَحْيَ»: ما يُلْقَى إلَيْه مِنَ الأَحْكَامِ، و«رُؤْيَاه» ما يَرَاهُ

(1) يقصد بالتنوين هنا الصرف؛ أي أن الكلمة مصروفة وتقبل التنوين.

في نَوْمِه، ونَوْمُ العَيْنِ فَتْرَةٌ طَبيعيّةٌ تَعْتَرِي الحَيَوَانَ، تَتَعَطَّلُ بِهَا حَوَاسُّه، ونَوْمُ القَلْبِ يُعَطِّلُ القُوَى المُدْرِكَةَ، و«ذَاكَ»: إشَارَةٌ إلَى «الوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ»، و«البُلُوغُ»: الوُصُولُ، و«المُحْتَلِمُ»: البالغُ العاقِلُ.

الإعْرَابُ:

* «لا»: ناهِيَةٌ، «تُنْكِرِ»:-بكَسْرِ الكَافِ- فِعْلٌ مضارِعٌ، وفاعِلُه مُسْتَتِرٌ، «الوَحْيَ»: مَفْعُولٌ به، «مِنْ رُؤْيَاه»: مُتَعَلِّقٌ بـ«تُنْكِرِ»، و«مِنْ»: بِمَعْنَى «فِي»، والضَّميرُ لِلنَّبِيِّ ﷺ.
* «إنَّ»:- بكَسْرِ الهَمْزَةِ، وتَشْديدِ النُّونِ - حَرْفُ تَوْكِيدٍ، «له»: خَبَرُها مُقَدَّمٌ، «قَلْبًا»: اسمُها مُؤَخَّرٌ.
* «إذا»: ظَرْفٌ لِلمستَقْبَلِ، وفِيه مَعْنَى الشَّرْطِ، مَنْصُوبٌ بـ «يَنَمِ»، «نامَتِ العَيْنَانِ»: جُملةٌ فِعْليَّةٌ مِنْ فِعْلٍ مُضارِعٍ وفاعِلٍ مُسْتَتِرٍ يَعُودُ إلى «قَلْبًا» لا مَحَلَّ لَهَا؛ لِأَنَّها جَوَابُ «إذَا»، وهُوَ شَرْطٌ غَيْرُ جَازِمٍ.
* «وذَاكَ»:اسْمُ إشارَةٍ، مُبتَدَأٌ وحَرْفُ خِطَابٍ، «حِينَ»: مَنْصُوبٌ باستِقْرارٍ مَحْذُوفٍ، خَبَرُ المُبْتَدَأِ، «بُلُوغٍ»:-بالتنوينِ- مُضَافٌ إلَيْه، «مِنْ نُبُوَّتِه»: مُتَعلِّقٌ بـ«بُلُوغ».
* «فَلَيْسَ»: فِعْلٌ ماضٍ ناقِصٌ، «يُنْكَرُ»:-بالبِنَاءِ لِلمَفْعولِ- ونائبُ الفاعِلِ مُسْتَتِرٌ فيه يَعُودُ إلى «حالُ»، «فيه»: مُتَعَلِّقٌ بـ«يُنْكَرُ»، والضميرُ يَرْجِعُ إلى «حِينَ بُلُوغ»، والجُمْلةُ خَبَرُ «لَيْسَ» مُقَدَّمٌ على اسمِها، «حالُ»: اسمُها مُؤَخَّرٌ، «مُحْتَلِمٍ»:-بِكَسْرِ اللَّامِ- مُضَافٌ إلَيْه.

ومَعْنَى البَيْتَيْنِ:

لا تُنْكِرْ - أَيُّها المُعانِدُ - وُقُوعَ الوَحْيِ إلَيْه ﷺ في مَنَامِه؛ فإنَّه إذَا نامَتْ عَيْنَاه لا يَنَامُ قَلْبُه كَمَا صَحَّ في حديثِ الصحِيحَيْنِ عَنْه أنَّه قالَ: (إنَّ عَيْنَيَّ تَنَامانِ ولا يَنَامُ قَلْبِي)[1]،

(1) صحيح البخاري [كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان].

ورُؤْيَاهُ الوَحْيَ وَقْتَ وُصُولِه إلى النُّبُوَّةِ، وذلكَ على رَأْسِ أربَعِينَ سَنَةً مِنْ مَوْلِدِه ﷺ، وهَذَا الزَّمَانُ لا تُنْكَرُ فِيه رُؤْيَا مُحْتَلِمِ الوَحْيِ في نَوْمِه.

تَبَـارَكَ اللهُ مـا وَحْـيٌ بِمُكتَسَـبٍ ولا نَبِـيٌّ عَلَـى غَيْـبٍ بِمُتَّهَـمِ

«تَبَارَكَ»: أَيْ تَعَالَى وتَعاظَمَ، و «الاكتِسَابُ»: طَلَبُ الشَّيْءِ بِمُبَاشَرَةِ أَسبابِه الَّتِي جَرَتِ العادَةُ الغالِبةُ بِحُصُولِها عَقِبَه، و «الغَيْبُ»: ما لا يَسْتَبِدُّ العَقْلُ بإدراكِه، ولا الحِسُّ، ولا كِلَاهما، و «التُّهْمَةُ»: الرِّيبةُ.

الإعْرَابُ:

* «تَبَارَكَ»: فِعْلٌ ماضٍ جامِدٌ، «اللهُ»: فاعلُه، «ما»: حَرْفُ نَفْيٍ، «وَحْيٌ»: اسْمُها، «بِمُكْتَسَبٍ»:-بِفَتْحِ السِّينِ المُهْمَلَةِ- خَبَرُها، و «لا»: حَرْفُ نَفْيٍ، «نَبِيٌّ»: اسْمُها، «عَلَى غَيْبٍ»: بِفَتْحِ الغَيْنِ المُعْجَمةِ - مُتَعَلِّقٌ بـ «مُتَّهَمٍ»، «بِمُتَّهَمٍ»:-بِفَتْحِ التَّاءِ - خَبَرُه، والبَاءُ زائِدَةٌ في المَوْضِعَيْنِ.

ومَعْنَى البَيْتِ:

لَيْسَ الوَحْيُ مُكْتَسَبًا لِنَبِيٍّ مِنَ الأنبِيَاءِ، ولَيْسَ نَبِيٌّ بِمُتَّهَمٍ فِيمَا يُخْبِرُ بِهِ عَنْ غَيْبٍ؛ فإنَّ جَمِيعَ الأنبِيَاءِ مَعْصُومونَ عَنِ الرَّذَائِلِ.

كَـمْ أَبْـرَأَتْ وَصِبًـا باللَّمْـسِ راحَتُـهُ وأَطْلَقَـتْ أَرِبًـا مِـنْ رِبْقَـةِ اللَّمَـمِ

«أَبْرَأَتْ»: أَيْ شَفَتْ، «وَصِبًا» بِكَسْرِ الصَّادِ: أَيْ مَرِيضًا، وبِفَتْحِها: المَرَضُ، و«اللَّمْسِ»: المَسُّ باليَدِ، و «الرَّاحَةُ»: بَطْنُ الكَفِّ.

و«أَطْلَقَتْ»: أَيْ خَلَّصَتْ، «أَرِبًا»:-بِكَسْرِ الرَّاءِ- أَيْ مُحْتَاجًا، ومِنْه: أَرِبَ الرَّجُلُ، إذَا تَسَاقَطَتْ أعضاؤه، والأَرَبُ- بالفَتْحِ- الحاجَةُ، و «الرِّبْقُ»:-بالكَسْرِ- حَبْلٌ له عِدَّةُ عُرًى يُشَدُّ بِهِ، الواحِدةُ مِنَ العُرَى «رِبْقَةٌ»، والجَمْعُ «رِبَاقٌ»، و «اللَّمَمِ»: صِغَارُ الذُّنُوبِ، والمُرَادُ بِه الجُنُونُ.

الإعرابُ:

* «كَمْ» : خَبَرِيَّةٌ مَوْضِعُها نَصْبٌ عَلَى أَنَّها مَفعُولٌ فِيه، أَوْ مُطْلَقٌ، أَيْ كَمْ وَقْتٍ أَوْ مَرَّةٍ.

* «أَبْرَأَتْ» : فِعْلٌ ماضٍ، وتاءُ تأنيثٍ، «وَصِبًا» :- بِكَسْرِ الصَّادِ المُهْمَلَةِ- مَفْعولٌ به، وبِفَتْحِها على حَذْفِ مُضَافٍ، أيْ «ذا وَصَبٍ».

* «باللَّمْسِ» : مُتَعَلِّقٌ بـ «أَبْرَأَتْ»، «راحَتُه» : فاعلُ «أَبْرَأَتْ».

* و«أَطْلَقَتْ» :مَعْطُوفٌ عَلَى «أَبْرَأَتْ»، وفاعِلُه مُسْتَتِرٌ فِيهِ يَعُودُ إِلَى «راحَتُه»، «أَرِبًا» :- بِفَتْحِ الهَمْزةِ، وكَسْرِ الرَّاءِ - مَفْعُولُ «أَطْلَقَتْ»، وبِفَتْحِ الرَّاءِ على تَقْدِيرِ مُضَافٍ، أَيْ «ذَا أَرَبٍ».

* «مِنْ رِبْقَةِ» : بِكَسْرِ الرّاءِ، وفَتْحِ القَافِ، بَيْنَهُما باءٌ مُوَحَّدةٌ ساكِنَةٌ - مُتَعَلِّقٌ بـ«أَطْلَقَتْ»، «اللَّمَمِ» :- بِفَتْحَتَيْنِ - مُضَافٌ إِلَيْه.

ومَعْنَى البَيْتِ:

أَنَّه ﷺ ما مَسَحَ بِرَاحَتِه الشَّرِيفةِ عَلَى مَرِيضٍ إلا عُوفِيَ، ولا عَلَى مَنْ عَلِقَ به داءٌ إلا خَلَّصَه اللّهُ تعالى مِنْه.

فَمِنَ الأَوَّلِ: ما رُوِيَ أَنَّه ﷺ مَسَحَ عَلَى عَيْنِ قَتَادَةَ بَعْدَمَا عَمِيَتْ، فَرَدَّهَا اللّهُ تعالى عَلَيْه، فكانَتْ أَحْسَنَ عَيْنَيْه[1]، وَمِنَ الثَّانِي: ما رُوِيَ أَنَّ امرأةً أَتَتْ بِصَبِيٍّ لَهَا به عاهةٌ، فَمَسَحَ على رَأْسِه، فَشَفَاه اللّهُ تعالى، وما رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا سَقَطَ مِنْ عُلْوٍ، فانكَسَرَتْ رِجْلُه، فَمَسَحَها ﷺ، فكَأَنَّه لَمْ يَشْكُهَا قَطُّ، وذلكَ كَثِيرٌ.

وَأَحْيَـيْـتِ السَّـنَةَ الشَّـهْبَاءَ دَعْوَتُـهُ حتّى حَكَـتْ غُـرَّةً فِي الأَعْصُرِ الدُّهُـمِ

---

(1) روى القاضي عياض في الشفا [القسم الأول، الباب الرابع: فيما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات] من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (إن رسول اللّه ﷺ لينالوني السهم لا نصل له، فيقول: ارم به وقد رمى رسول اللّه ﷺ يومئذ عن قوسه حتى اندقت، وأصيب يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنتيه فردها رسول اللّه ﷺ فكانت أحسن عينيه).

بِعارِضٍ جَادَ أَوْ خِلْتُ البِطَاحَ بِهَا سَيْبٌ مِنَ اليَمِّ أَوْ سَيْلٌ مِنَ العَرِمِ

«أَحْيَتِ»: مِنَ الحَيَاةِ، ضِدُّ المَمَاتِ، و«السَّنَةَ»: واحِدَةُ السِّنِينَ، و«الشَّهْبَاءَ»: أَيِ القَلِيلَةَ المَطَرِ، سُمِّيَتْ بِذلكَ لِغَلَبَةِ بَيَاضِ الأَرضِ فِيها بِعَدَمِ النَّباتِ علَى سَوادِها بالنَّبَاتِ، فَهِيَ بالنِّسبةِ إلى البَيَاضِ مَيْتَةٌ، و«حَكَتْ»: أَيْ شابَهَتْ، و«الغُرَّةُ»: البَيَاضُ في الجَبْهَةِ، و«الأَعْصُرِ»: جَمْعُ «عَصْرٍ»، وهُوَ الزَّمَانُ، و«الدُّهُمِ»: جَمْعُ «أَدْهَمَ»، وهُوَ الأَسْوَدُ الشَّدِيدُ الزُّرْقَةِ.

و«العَارِضُ»: السَّحَابُ، و«جَادَ»: أَيْ كَثُرَ مَطَرُه، و«خِلْتُ»: أَيْ ظَنَنْتُ، و«البِطَاحَ»: جَمْعُ «أَبْطَحَ»، وهُوَ الوَادِي المُتَّسِعُ المُشْتَمِلُ علَى الحَصْبَاءِ، و«السَّيْبُ»: الجَرْيُ، و«اليَمِّ»: البَحْرُ، و«العَرِمِ»: الوَادِي.

الإعْرَابُ:

* «وأَحْيَتِ»: مَعطُوفٌ علَى «أَبْرَأَتْ»، «السَّنَةَ»:- بِفَتْحِ السِّينِ المُهمَلةِ والنونِ المُخَفَّفةِ - مَفْعُولُ «أَحْيَتِ»، «الشَّهْبَاءَ»:- بِفَتْحِ الشِّينِ المُعْجَمةِ والبَاءِ المُوَحَّدةِ- نَعْتُ «السَّنَةَ»، «دَعْوَتُه»: فاعلُ «أَحْيَتِ».

* «حَتَّى»: حَرْفُ ابتِدَاءٍ، «حَكَتْ»:- بِفَتْحِ المُهْمَلةِ والكافِ- فِعْلٌ ماضٍ، وفَاعِلُه مُسْتَتِرٌ فِيه يَعُودُ إلى «السَّنَةَ»، «غُرَّةً»:- بِضَمِّ الغَيْنِ المُعْجَمةِ، وفَتْحِ الرَّاءِ المُهْمَلةِ- مَفْعُولُ «حَكَتْ»، «في الأَعْصُرِ»:- بِفَتْحِ الهَمْزةِ، وسُكُونِ العَيْنِ وضَمِّ الصَّادِ المُهْمَلَتَيْنِ- مُتَعَلِّقٌ بـ«حَكَتْ»، «الدُّهُمِ»: بضَمَّتَيْنِ- نَعْتُ «الأَعْصُرِ»، وَصَفَ الزَّمَانَ بالسَّوَادِ لِبَيَانِ سُوءِ الحَالِ.

* «بِعَارِضٍ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«حَكَتْ»، والبَاءُ لِلسَّبَبِيَّةِ، «جَادَ»:- بالجِيمِ والدَّالِ المُهْمَلةِ- فِعْلٌ ماضٍ، وفاعِلُه مُسْتَتِرٌ فِيهِ يَعُودُ إلى «عارِضٍ»، وجُمْلَةُ «جادَ»: نَعْتُ «عَارِضٍ».

* «أَوْ»: حَرْفُ عَطْفٍ وغايَةٍ، «خِلْتُ»: -بِكَسْرِ الخَاءِ المُعجَمةِ، وضَمِّ التَّاءِ - فِعْلٌ وفاعلٌ، «البطَاحَ»: مَفْعُولٌ أَوَّلُ.

* «بِهَا»: خَبَرٌ مُقَدَّمٌ، «سَيْبٌ»: -بالسِّينِ المُهْمَلةِ، وبالمُثَنَّاةِ التَّحْتِيَّةِ، والباءِ المُوَحَّدةِ- مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ، والجُملةُ في مَوْضِعِ المَفْعُولِ الثَّانِي لِـ «خِلْتُ»، و «السَّيبُ» بِكَسْرِ السِّينِ: مَجْرَى المَاءِ -كَمَا قَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ-، وبالفَتْحِ: العَطَاءُ، والمَعْنَى هُنَا على الأَوَّلِ.

* «مِنَ اليَّمِ»: بفَتْحِ اليَاءِ التَّحْتِيَّةِ، وتَشْدِيدِ المِيمِ - نَعْتُ «سَيْبٌ».

* «أَوْ سَيْلٌ»: -بِفَتْحِ السِّينِ المُهْمَلةِ، وسُكُونِ المُثَنَّاةِ التَّحْتِيَّةِ - مَعْطُوفٌ عَلَى «سَيْبٌ»، «مِنَ العَرِمِ»: - بِفَتْحِ العَيْنِ وكَسْرِ الرَّاءِ المُهْمَلَتَيْنِ - فِي مَوْضِعِ النَّعْتِ لِـ «سَيْلٌ».

ومَعْنَى البَيْتَيْنِ:

وَكَمْ أَحْيَتْ دَعْوَتُه السَّنَةَ المُجْدِبَةَ حَتَّى شابَهَتْ تلكَ السَّنَةُ بَيَاضًا في الأَزمِنَةِ السُّودِ لِشِدَّةِ خُضْرَةِ الزَّرْعِ فِيهَا حَتَّى يُرَى أَنَّه أَسْوَدُ بسَبَبِ سَحابٍ عارِضٍ جادَ بالمَطَرِ الكَثِيرِ إِلَى أَنْ ظَنَنْتُ الوَادِيَ المُتَّسِعَ ماءً جاريًا مِنَ البَحْرِ، أَوْ سائلًا مِنَ الوادِي. وفي البَيْتِ الأَوَّلِ: المَجَازُ في استِعْمالِ الحَيَاةِ لِلنَّبَاتِ، وفي البَيْتِ الثَّانِي: الجِنَاسُ النَّاقِصُ في قَوْلِه: «سَيْبٌ»، و«سَيْلٌ»، والتضمينُ؛ وهُوَ تَعَلُّق «بِعارِضٍ» بـ«حَكَتْ» فِي البَيْتِ قَبْلَه.

الفصل السادس في شرف القرآن ومدحه

دَعْنِي وَوَصْفِيَ آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ ظُهُورَ نَارِ القِرَى لَيْلًا عَلَى عَلَمِ
فالدُّرُّ يَزْدَادُ حُسْنًا وَهْوَ مُنْتَظِمٌ وَلَيْسَ يَنْقُصُ قَدْرًا غَيْرَ مُنْتَظِمِ

«دَعْنِي»: اتْرُكْنِي، و «الوَصْفُ»: النَّعْتُ، و«الآيَاتُ»: العَلَامَاتُ والمُعْجِزَاتُ، و«ظَهَرَتْ»: تَبَيَّنَتْ، و«القِرَى»:-بالكَسْرِ- إكرَامُ الضَّيْفِ، و«العَلَمُ»: الجَبَلُ العَالي؛ عَلَى عادَةِ العَرَبِ أَنَّهُمْ يُوقِدُونَ النَّارَ عَلَى رُؤُوسِ الجِبَالِ لِيَهْتَدِيَ بِها الضَّيْفُ، و«الدُّرُّ»: اللُّؤْلُؤ، و«المُنْتَظِمُ»: المُجْتَمِعُ في سِلْكٍ، ونَظْمُ الكَلَامِ في تَرتِيبِه.

الإعْرَابُ:

* «دَعْنِي»: فِعْلٌ وفاعلٌ ومَفعولٌ، «ووَصْفِيَ»: مَفْعولٌ مَعَه، وهُوَ مَصْدَرٌ مُضَافٌ إلَى فاعِلِه، وهُوَ ياءُ المُتَكَلِّمِ، «آيَاتٍ»:- بِمَدِّ الهَمْزَةِ، وكَسْرِ التَّاءِ- مَفْعُولٌ به لِـ«وَصْفِيَ»، «لَهُ»: نَعْتُ «آيَاتٍ»، «ظَهَرَتْ»: فِعْلٌ ماضٍ وتاءُ تأنيثٍ.
* «ظُهُورَ»: مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ مُبَيِّنٌ لِلنَّوْعِ، «نَارِ»مُضَافٌ إلَيْها، وَهِيَ أَيْضًا مُضَافَةٌ، «القِرَى»:- بِكَسْرِ القافِ، وفَتْحِ الرَّاءِ - مُضَافٌ إلَيْه، «لَيْلًا»: مَفْعُولٌ فِيه، «عَلَى عَلَمٍ»:- بِفَتْحَتَيْنِ - مُتَعَلِّقٌ بـ «ظُهُورَ».
* «فالدُّرُّ»:- بِضَمِّ الدَّالِ والرَّاءِ المُهمَلَتَيْنِ- مُبتدأٌ، «يَزْدَادُ»: فِعْلٌ مُضَارِعٌ، وفاعلُه مستَتِرٌ فِيه، «حُسْنًا»:-بِضَمِّ الحَاءِ المُهْمَلةِ- مَفْعُولٌ به لِـ «يَزدَادُ» لِأَنَّه مُطَاوِعُ «زَادَ» المُتَعَدِّي لِاثْنَيْنِ؛ فيَتَعَدَّى هُوَ لِوَاحِدٍ، والجُمْلةُ خَبَرُ المُبتدأِ، ورابطُها الضَّمِيرُ المُسْتَتِرُ في «يَزْدَادُ».

* «وهْوَ مُنْتَظِمٌ»:مُبتدأٌ وخَبَرٌ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ عَلَى الحالِ مِنْ فاعِلِ «يَزْدَادُ»، مُرْتَبِطَةٌ بالواوِ والضميرِ.

* «ولَيْسَ»: فِعْلٌ ماضٍ ناقصٌ، واسمُه مُسْتَتِرٌ فِيهِ يَعُودُ إلى «الدُّرُّ»، «يَنْقُصُ»: فِعْلٌ مُضَارِعٌ، وفاعِلُه مُسْتَتِرٌ، «قَدْرًا»: مَفْعُولٌ به، والجُملةُ في مَوْضِعِ نَصْبٍ؛ خَبَرُ «لَيْسَ».

* «غَيْرَ»: حالٌ مِنْ فاعِلِ «يَنْقُصُ»، «مُنْتَظِمِ»:-بِضَمِّ المِيمِ الأُولَى، وكَسْرِ الظَّاءِ المعجَمةِ - مُضَافٌ إلَيْه.

ومَعْنَى البيتَيْنِ:

اترُكْنِي مَعَ ذِكْرِي عَلَامَاتٍ ظَهَرَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ-كَظُهُورِ نارِ الضِّيَافةِ في اللَّيْلِ عَلَى جَبَلٍ عالٍ؛ فيَزْدَادُ ظُهُورُها بِذِكْرِها، ويَزْدَادُ حُسْنُها بِنَظْمِها، ولا يَنْقُص قَدْرُها إذا لَمْ تُنْظَمْ؛ كالدُّرِّ، فإنَّه إذا نُظِمَ يَزْدَادُ حُسْنًا، وإذَا لَمْ يُنْظَمْ لا يَنْقُصُ قَدْرُه.

فَمَـا تَطَـاوُلُ آمَـالِ المَدِيـحِ إلَـى مَـا فِيـهِ مِـنْ كَـرَمِ الأَخْـلَاقِ والشِّـيَمِ

«تَطَاوَلَ إلَى كَذَا»: طَلَبَ الوُصُولَ إلَيْه، ومَدَّ عُنُقَه يَنْظُرُ إلَى الشَّيْءِ البَعِيدِ و«الآمَالُ»: جَمْعُ «أَمَلٍ»، وهُوَ الرَّجَاءُ، و «المَدِيحِ»: الثَّنَاءُ الحَسَنُ، و «الأَخْلَاقِ»: جَمْعُ «خُلُقٍ» بِضَمَّتَيْنِ، وهُوَ ما جُبِلَ عَلَيْه الشَّخْصُ، و«الشِّيَمِ»: جَمْعُ «شِيمَةٍ»، وهِيَ الغَرِيزةُ والطبيعةُ.

الإعرابُ:

* «فَمَا»: استفهامٌ استبعادِيٌّ في مَوْضِعِ رَفْعٍ بالابْتِدَاءِ، «تَطَاوُلُ»:- بِضَمِّ الواوِ واللَّامِ- خَبَرُه.

* «آمَالِ»:-بِمَدِّ الهَمْزةِ - مُضَافٌ إلَيْه، مِنْ إضَافَةِ المَصْدَرِ إلى فاعِلِه، «المَدِيحِ»: بالجَرِّ مُضَافًا إلَيْه «آمالِ»؛ وَفِي نُسخةٍ: «آمالِي»، بالإضافةِ إلى ياءِ المُتَكَلِّمِ، ونَصْبِ «المَدِيح» إمَّا بـ «آمالي»، وإمَّا بِنَزْعِ الخافِضِ، وكُلٌّ مِنْهُما غَيْرُ مَقِيسٍ؛

أَمَّا الأَوَّلُ فَلِأَنَّ المَصْدَرَ لا يَعْمَلُ مُكسَّرًا، وأَمَّا الثاني فَلِأَنَّ النَّصْبَ بِنَزْعِ الخافِضِ مَوْقُوفٌ على السَّماعِ مَعَ غَيْرِ «أَنَّ وأَنْ وكَيْ».

* «إِلَى مَا»: مُتَعَلِّقٌ بـ «تَطَاوُلُ»، و «مَا»: مَوْصُولٌ اسْمِيٌّ، «فيه»: صِلَةُ «ما»، والضَّمِيرُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، «مِنْ كَرَمٍ»: بَيَانٌ لِـ «ما» مُتَعَلِّقٌ بِمَا تَعَلَّقَ به المَجْرورُ قَبْلَه، «الأَخلاقِ»: -بِفَتْحِ الهَمْزةِ- مُضَافٌ إِلَيْه، «والشِّيَمِ»: -بِكَسْرِ الشِّينِ المُعْجَمةِ وفَتْحِ اليَاءِ التحتِيَّةِ - مَعطوفٌ على «الأَخلاقِ» عَطْفَ مُؤَكِّدٍ على مُؤَكَّدٍ.

ومَعْنَى البَيْتِ:

إِذَا كانَتْ آياتُه ﷺ لا يُدْرَكُ لَهَا غايَةٌ، فكَيْفَ تَصِلُ آمالُ المادِحِينَ إلى ما فِيه ﷺ مِن استقصاءِ مَكَارِمِ الأخلاقِ والشِّيَمِ الَّتِي جُبِلَ عَلَيْها.

آيَـاتُ حَـقٍّ مِـنَ الرَّحْمَـنِ مُحْدَثَـةٌ قَدِيمَـةٌ، صِفَـةُ المَوْصُـوفِ بالقِـدَمِ

«آياتُ»: جَمْعُ «آيَةٍ» مِنَ القُرآنِ، «مُحْدَثَةٌ»: أَيْ إنزَالُها؛ أَخْذًا مِنْ قَوْلِه تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ﴾ [الشعراء: 5]، أَيْ إنزالُه، «قَدِيمَةٌ»: أَيْ قائمَةٌ بِذَاتِه تعالى، و«القِدَمِ»: ضِدُّ الحُدُوثِ، والمَوصُوفُ بالقِدَمِ هُوَ اللهُ تعالى لِأَنَّه الأَوَّلُ بِلا بَدَاءةٍ، والآخِرُ بلا نِهَايَةٍ.

الإعرابُ:

* «آياتُ حَقٍّ»: مُبْتَدَأٌ ومُضافٌ إِلَيْه، «مِنَ الرَّحْمَنِ»: خَبَرٌ أَوَّلُ، «مُحْدَثَةٌ قَدِيمَةٌ»: خَبَرٌ ثانٍ وثالِثٌ، وتَمْيِيزُهما مَحذوفٌ، أَيْ: مُحْدَثَةٌ إنزَالًا، وقَدِيمةٌ مَعْنًى.

* «صِفَةُ المَوْصُوفِ»: خَبَرٌ رابِعٌ ومُضَافٌ إِلَيْه، ومَنْ مَنَعَ تَعْدَادَ الخَبَرِ قَدَّرَ لِكُلِّ خَبَرٍ ما عَدَا الأَوَّلَ مُبتَدَأً مَحذُوفًا؛ «بالقِدَمِ»: -بِكَسْرِ القافِ، وفَتْحِ الدَّالِ - مُتَعَلِّقٌ بـ«المَوْصُوفِ».

ومَعْنَى البَيْتِ:

آياتُ حَقٍّ كائِنةٌ مِنَ الرَّحمنِ، مُحْدَثَةُ النُّزُولِ، قَدِيمةُ المَعَانِي لِأَنَّها صِفَةُ المَوْصُوفِ القَدِيمِ، والقديمُ لا يُوصَفُ بحادِثٍ.

وَفِيهِ: رَدُّ العَجُزِ عَلَى الصَّدْرِ فِي قَوْلِه: «قَدِيمةٌ صِفَةُ المَوْصُوفِ بالقِدَمِ».

لَـمْ تَقْتَـرِنْ بِزَمَـانٍ وَهْـيَ تُخْبِرُنَـا عَـنِ المَعَـادِ، وعَـنْ عـادٍ، وعَـنْ إِرَمِ

«الاقتِرَانُ»: المُصاحَبَةُ، و«المَعَادُ»: عَوْدُ الخَلْقِ بَعْدَ إعدامِه، و«عادٍ»: قَبِيلةٌ سُمِّيَتْ باسْمِ أَبِيها، وهُوَ عادُ بْنُ عَوْصِ بنِ إرَمَ بْنِ سامِ بْنِ نُوحٍ، عاشَ أَلْفَ سَنَةٍ ومِائتَيْ سَنَةٍ، ورُزِقَ مِنْ صُلْبِه أربعةُ آلافِ وَلَدٍ، وتَزَوَّجَ أَلْفَ امرأةٍ، وماتَ كافِرًا، و «إرَمِ»: مَدِينةٌ بَنَاها شَدَّادُ بنُ عادٍ، وسَبَبُ بِنَائِها أَنَّه سَمِعَ بِوَصْفِ الجَنَّةِ وما فِيها، فقالَ: لا بُدَّ لِي أَنْ أَبْنِيَ مِثْلَها، فبَنَاها في ثَلَاثِمائةِ سَنَةٍ، وجَعَلَ قُصُورَها مِنَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، وأَساطِينَها مِنَ الزَّبَرْجَدِ والياقوتِ، وجَعَلَ فِيها أنهارًا جارِيَةً وأصنافًا مِنَ الشَّجَرِ، وعِنْدَ كَمَالِها رَحَلَ إِلَيْهَا بأَهْلِ مَمْلَكَتِه، فَلَمَّا كانَ مِنْهَا عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ ولَيْلَةٍ بَعَثَ اللّهُ تعالى عَلَيْهم صَيْحَةً مِنَ السماءِ فهَلَكُوا قَبْلَ وُصُولِهم إِلَيْها.

الإعرابُ:

* «لَمْ تَقْتَرِنْ»:-بالتَّاءِ الفَوْقِيَّةِ- فِعْلٌ مُضارِعٌ، وفاعِلُه ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ يَعُودُ إلى «آيَاتُ حَقٍّ»، عَلَى تَقْدِيرِ حالٍ مَحذُوفَةٍ.

* «بِزَمَانٍ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«تَقْتَرِنْ»، والتقديرُ: «لَمْ تَقْتَرِنِ الآياتُ حالَ كَوْنِها قَدِيمةً بِزَمَانٍ».

* وَ«هْيَ تُخْبِرُنَا»: مُبتدأٌ وخَبَرٌ، «عَنِ المَعَادِ، وعَنْ عادٍ، وعَنْ إِرَمِ» - بِكَسْرِ الهَمْزَةِ، وفَتْحِ الرَّاءِ - مُتَعَلِّقَاتٌ بـ«تُخْبِرُنَا».

ومَعْنَى البَيْتِ:

إنَّ هَذِه الآيَاتِ القَدِيمةَ لَمْ تَقْتَرِنْ بزَمَانٍ، وهِيَ مُشتَمِلةٌ عَلَى الإِخْبَارِ عَنِ «المَعَادِ»،

قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الروم: 27]، وَعَنْ «عادٍ»، قالَ تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ...﴾ [الأعراف: 65، هود: 50]، وعَنْ «إرَمَ»، قالَ اللهُ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ﴾ [الفجر: 6 - 7].

وَفِيه: الجِنَاسُ الناقِصُ بَيْنَ قَوْلِه: «المَعَادِ»، و «عَادٍ».

دَامَـتْ لَدَيْنَـا فَفَاقَـتْ كُلَّ مُعْجِـزَةٍ ... مِـنَ النَّبِيِّيـنَ إِذْ جـاءَتْ وَلَـمْ تَـدُمِ

«دَامَتْ»: أَيْ بَقِيَتْ، و «لَدَيْنَا»: عِنْدَنَا، و «فاقَتْ» أَيْ غَلَبَتْ، و «المُعْجِزَةُ»: أَمْرٌ خارِقٌ لِلعَادةِ مَقْرُونٌ بالتَّحَدِّي، و «جاءَتْ»: أَيْ أَتَتْ، و«لَمْ تَدُمِ»: أَيْ لَمْ تَبْقَ.

الإعرابُ:

* «دامَتْ»: فِعْلٌ ماضٍ تامٌّ، وفاعلُه مُستَتِرٌ فِيهِ يَعُودُ عَلَى «آياتُ»، «لَدَيْنَا»: مُتَعَلِّقٌ بـ«دامَتْ»، «فَفَاقَتْ»: مَعطُوفَةٌ عَلَى «دامَتْ»، «كُلَّ مُعْجِزَةٍ»: مَفْعُولُ «فاقَتْ»، ومُضَافٌ إِلَيْه، «مِنَ النَّبِيِّينَ»: نَعْتُ «مُعْجِزَةٍ».
* «إِذْ»: -بِسُكُونِ الذَّالِ المُعْجَمةِ- عِلَّةٌ لِـ«فاقَتْ»، وهَلْ هِيَ حَرْفٌ أَوْ ظَرْفٌ؟ قَوْلَانِ، «جاءَتْ»: فِعْلٌ ماضٍ، وفاعِلُه مُسْتَتِرٌ فِيه يَعُودُ إِلَى كُلِّ مُعْجِزَةٍ، والتأنِيثُ باعتِبَارِ المُضَافِ إِلَيْه، «ولَمْ تَدُمِ» جُمْلَةٌ فِعْلِيَّةٌ، حالٌ مِنْ فاعِلِ «جاءَتْ» المُسْتَتِرِ فِيه.

ومَعْنَى البَيْتِ:

أَنَّ هَذه الآياتِ مِنْ مُعْجِزَاتِه ﷺ، وهِيَ باقِيَةٌ بَعْدَ وَفَاتِه ﷺ، فهَذِه المُعْجِزَةُ فاقَتْ جَمِيعَ مُعْجِزَاتِ الأنبيَاءِ؛ لِأَنَّ مُعْجِزَاتِهم التِي جاؤُوا بِها لَمْ تَبْقَ بَعْدَ وَفَاتِهم، وهَذِه باقِيَةٌ إِلى يَوْمِ القِيَامَةِ.

مُحَكَّمَـاتٌ فَمَـا تُبْقِيـنَ مِـنْ شُـبَهٍ ... لِـذِي شِـقَاقٍ ولا تَبْغِيـنَ مِـنْ حَكَـمِ

«مُحَكَّمَاتٌ»: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنَ «الحُكْمِ»؛ أَيْ جُعِلَتْ حاكِمَةً باعتِبَارِ أَنَّ الأَحْكَامَ تُؤْخَذُ مِنْها، أَوْ مِنَ «الحِكْمَةِ»؛ أَيْ جُعِلَتْ حَكِيمَةً لِاشْتِمَالِها عَلَى الحِكَمِ، أَوْ

مِنَ «الإحْكَامِ»؛ أَيْ جُعِلَتْ مُحْكَمَةً بِحَيْثُ لا تَحْتَمِلُ النَّسْخَ والتبديلَ والتناقُضَ، أَوْ مِنَ «الحَكَمةِ» - بِفَتْحَتَيْنِ؛ أَيْ جُعِلَتْ مُمْتَنِعاتٍ مَحْفُوظاتٍ مِنَ التَّحْرِيفِ.

«فَمَا تُبْقِينَ»: أَيْ فَمَا تَتْرُكْنَ، «مِنْ شُبَهٍ»: جَمْعُ «شُبْهَةٍ»، وهِيَ التَّلْبِيسُ، و «ذِي»: بِمَعْنَى «صاحِبٍ»، و «الشِّقَاقُ»: الخِلَافُ، و «تَبْغِينَ»: تَطْلُبْنَ، و «الحَكَمُ»: -بِفَتْحَتَيْنِ- الحاكِمُ.

الإعرابُ:

* «مُحَكَّمَاتٌ»: نَعْتُ «آيَاتُ»، «فَمَا»: حَرْفُ نَفْيٍ، «تُبْقِينَ»: -بِضَمِّ التَّاءِ الفَوْقِيَّةِ، وكَسْرِ القافِ - فِعْلٌ وفاعِلٌ، والضميرُ للآيَاتِ، «مِنْ»: زائِدَةٌ؛ لا تَتَعَلَّقُ بِشَيْءٍ، «شُبَهٍ»: -بِضَمِّ المُعْجَمَةِ، وفَتْحِ المُوَحَّدَةِ- مَفْعُولُ «تُبْقِينَ»[1].

* «لِذِي»: بِكَسْرِ اللَّامِ والذَّالِ المُعْجَمَةِ - جَارٌّ ومَجْرُورٌ مُتَعَلِّقٌ بـ «شُبَهٍ»، «شِقَاقٍ»: مُضَافٌ إِلَيْه.

* و«لا»: نافِيَةٌ، «تَبْغِينَ»: -بِفَتْحِ التَّاءِ الفَوْقِيَّةِ، وسُكُونِ المُوَحَّدَةِ، وكَسْرِ الغَيْنِ المُعْجَمَةِ - مَعْطُوفٌ عَلَى «تُبْقِينَ»، «مِنْ»: زائِدَةٌ؛ لا تَتَعَلَّقُ بِشَيْءٍ، «حَكَمٍ»: -بِفَتْحَتَيْنِ- مَفْعُولُ «تَبْغِينَ».

ومَعْنَى البَيْتِ:

إِنَّ هَذِهِ الآيَاتِ مُحَكَّمَةٌ حاكِمَةٌ، ناصِرَةٌ أَهْلَ الحَقِّ، مُزِيلَةٌ شُبَهَ أَهْلِ الضَّلَالِ؛ فَمَا يَبْقَى بِهَا شُبْهَةٌ لِصاحِبِ خِلَافٍ، ومَا تَطْلُبُ حاكِمًا يَحْكُمُ عَلَى مُخالِفِ الحَقِّ لِظُهُورِ بَرَاهِينِها عَلَيْه. وَفِي البَيْتِ: جِنَاسُ الاشْتِقَاقِ، ورَدُّ العَجُزِ عَلَى الصَّدْرِ في قَوْلِه: «مُحَكَّمَاتٌ» و«حَكَمٍ»، وفِي قَوْلِه: «تُبْقِينَ» و«تُبْغِينَ»: الجِنَاسُ المُحَرَّفُ.

مَا حُورِبَتْ قَطُّ إِلَّا عادَ مِنْ حَرَبٍ ... أَعْدَى الأَعَادِي إِلَيْها مُلْقِيَ السَّلَمِ

(1) مجرور لفظا منصوب محلاً.

«ما حُورِبَتْ»: أَيْ عُورِضَتْ، «قَطُّ»: ظَرْفٌ لِاستِغْراقِ الماضِي، و «عادَ»: أَيْ رَجَعَ، و «الحَرَبُ»:-بِفَتْحِ الرَّاءِ- السَّلْبُ؛ مِنْ قَوْلِهم: حَرَبْتُ الرَّجُلَ حَرَبًا، سَلَبْتُه، والمُرَادُ هُنَا الشِّدَّةُ، «أَعْدَى الأَعَادِي»: أَيْ أَشَدُّ حِرْصًا عَلَى المُعَادَاةِ، و«الأَعَادِي»:جَمْعُ «أَعْدَاءٍ»، و «أَعْدَاءٌ» جَمْعُ «عَدُوٍّ»، فهُوَ جَمْعُ الجَمْعِ، و «السَّلَمِ»:-بِفَتْحَتَيْنِ - الاستِسلامُ والانقِيَادُ.

الإعرابُ:

* «مَا»: نافِيَةٌ، «حُورِبَتْ»:- بِضَمِّ الحَاءِ المُهْمَلَةِ، وكَسْرِ الرَّاءِ- فِعْلٌ ماضٍ مَبْنِيٌّ لِلمَفْعولِ، ونائبُ الفاعِلِ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ فِيه يَعُودُ إلى «آيَاتُ».
* «قَطُّ»:-بِفَتْحِ القافِ، وضَمِّ الطاءِ المُشَدَّدةِ- مُتَعَلِّقٌ بـ «حُورِبَتْ»[1].
* «إِلَّا»: حَرْفُ إيجابٍ، «عادَ»:-بالعَيْنِ والدَّالِ المُهْمَلَتَيْنِ- فِعْلٌ ماضٍ، «مِنْ حَرَبٍ»:-بِفَتْحِ الحاءِ والرَّاءِ المُهْمَلَتَيْنِ- مُتَعَلِّقٌ بـ«عَادَ»، و«مِنْ»: تَعْلِيلِيةٌ.
* «أَعْدَى»:- بالقَصْرِ- فاعلُ «عَادَ»، «الأَعَادِي»: مُضَافٌ إِلَيْهِمْ، «إِلَيْهَا»: مُتَعَلِّقٌ بـ«عَادَ»، والضَّمِيرُ لِلآيَاتِ.
* «مُلْقِيَ»:-بِضَمِّ المِيمِ، وسُكُونِ اللَّامِ، وكَسْرِ القَافِ- حالٌ مِنْ فاعِلِ «عَادَ»، «السَّلَمِ»:-بِفَتْحِ السِّينِ المُهْمَلَةِ واللَّامِ- مُضَافٌ إِلَيْه.

ومَعْنَى البَيْتِ:

إِنَّ هَذِه الآيَاتِ ما عارَضَها مُعارِضٌ إِلَّا رَجَعَ مِنَ الشِّدَّةِ مُستَسْلِمًا مُنْقَادًا لِعَجْزِه عَنْ مُعارَضَتِها. وَفِي البَيْتِ: جِنَاسُ الاشتِقَاقِ فِي مَوْضِعَيْنِ: فِي «حُورِبَتْ» و «حَرْبٍ»، وفِي «أَعْدَى» و «الأَعَادِي».

رَدَّتْ بَلَاغَتُهَا دَعْوَى مُعَارِضِهَا ... رَدَّ الغَيُورِ يَدَ الجَانِي عَنِ الحُرَمِ

(1) ظرف لاستغراق الزمان الماضي مبني على الضم في محل نصب.

«رَدَّتْ»: أَيْ صَرَفَتْ، و«البَلَاغَةُ» فِي الكَلَامِ: مُطَابَقَتُه لِمُقْتَضَى الحَالِ مَعَ فَصاحتِه، و«المُعَارَضَةُ»: الإتْيَانُ بالمِثْلِ، و«الغُيُورِ»: صِيغَةُ مُبالَغَةٍ مِنَ الغَيْرَةِ، و«الجَانِي»: مِنَ الجِنَايَةِ؛ يُقالُ: جَنَى عَلَيْه جِنَايَةً، أَيْ فَعَل بِه مَكْرُوهًا، و«الحُرَم»: أَهْلُ الرَّجُلِ، واحِدُها «حُرْمَةٌ»، والحُرْمَةُ: ما لا يَحِلُّ انتهاكُه.

الإعرابُ:

* «رَدَّتْ بَلَاغَتُها»: فِعْلٌ وفاعِلٌ، «دَعْوَى»: مَفْعُولٌ، «مُعرِضِها»: مُضَافٌ إلَيْه.
* «رَدَّ»: مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ تَشْبِيهِيٌّ؛ أَيْ «رَدًّا مِثْلَ رَدِّ».
* «الغُيُور»: بِفَتْحِ الغَيْنِ المُعجَمةِ، وضَمِّ اليَاءِ التَّحتيَّةِ- مُضَافٌ إلَيْه مِنْ إضافَةِ المَصْدَرِ إلى فاعِلِه.
* «يَدَ»: مَفْعُولُ «رَدَّ»، «الجَانِي»:-بالجِيمِ والنُّونِ- مُضَافٌ إلَيْه.
* «عَنِ الحُرَمِ»:-بِضَمِّ الحَاءِ وفَتْحِ الرَّاءِ المُهْمَلَتَيْنِ - مُتَعَلِّقٌ بـ «رَدَّ».

ومَعْنَى البَيْتِ:

أَنَّ بَلَاغةَ هَذِه الآيَاتِ رَدَّتْ مَنْ يُعارِضُها عَنْ مُعارَضَتِه رَدًّا شَدِيدًا كَرَدِّ الفَحْلِ الغَيُورِ يَدَ الجَانِي عَنْ حُرَمِه.

لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ البَحْرِ فِي مَدَدٍ ... وفَوْقَ جَوْهَرِهِ فِي الحُسْنِ والقِيَمِ
فَمَا تُعَدُّ ولَا تُحْصَى عَجَائِبُها ... ولا تُسَامُ عَلَى الإكْثَارِ بالسَّأَمِ

«المَعَانِي»: جَمْعُ مَعْنًى؛ وهُوَ ما يُرَادُ مِنَ اللَّفْظِ، و «المَوْجُ»: الاضطِرَابُ، و«المَدَدُ»: الزِّيَادةُ، و«القِيَم»: جَمْعُ «قِيمَةٍ»؛ وهُوَ ما يُرْغَبُ بِهِ مِنْ ثَمَنِ المِثْلِ، و«العَجَائِبُ»: جَمْعُ «عَجِيبَةٍ»؛ وهُوَ الشَّيْءُ العَدِيمُ النَّظِيرِ، و«لا تُسَامُ»: أَيْ لا تُوصَفُ، و«الإكْثَارِ»: الكَثِيرُ الَّذِي لا غايَةَ لَه، و«السَّأَمِ»: المَلَالَة.

الإعرابُ:

* «لَهَا»: خَبَرٌ مُقَدَّمٌ، والضَّميرُ لِلآيَاتِ، «مَعَانٍ» مُبتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ.

* «كَمَوْجِ»: نَعْتٌ لِـ«مَعَانٍ»، «البَحْرِ»: مُضَافٌ إلَيْه، «فِي مَدَدٍ»: بفَتْحَتَيْنِ- مُتَعَلِّقٌ بالكَافِ؛ لِمَا فِيه مِنْ مَعْنَى التَّشبيهِ.

* «وفَوْقَ»: مَعطُوفٌ على نَعْتِ «مَعَانٍ»، «جَوْهَرِهِ»: مُضَافٌ إلَيْه.

* «في الحُسْنِ»:-بِضَمِّ الحَاءِ وسُكُونِ السِّينِ المُهْمَلَتَيْنِ - مُتَعَلِّقٌ بِمَحَلِّ الظَّرْفِ، «والقِيَمِ»:-بِكَسْرِ القافِ، وفَتْحِ اليَاءِ التحتيّةِ - مَعْطُوفٌ على «الحُسْنِ».

* «فَمَا»: حَرْفُ نَفْي، «تُعَدُّ»:- بِضَمِّ المُثَنَّاةِ الفَوْقِيَّةِ، وفَتْحِ العَيْنِ المُهْمَلةِ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَبْنِيٌّ لِلمَفْعُولِ، «ولا تُحْصَى»:- بالبِنَاءِ للمَفْعُولِ - مَعْطُوفٌ عَلَى «تُعَدُّ».

* «عَجَائِبُها»: نائبُ فاعِلِ «تُحْصَى»، ونائبُ فاعِلِ «تُعَدُّ»: مُسْتَتِرٌ فِيه يَعُودُ على المُتَنَازَعِ فِيه، وهُوَ «عجَائبُها».

* «ولَا تُسَامُ»:- بِضَمِّ الفَوْقَانِيَّةِ، وفَتْحِ المُهْمَلَةِ، مِنْ غَيْرِ هَمْزَةٍ - مَعطُوفٌ عَلَى «تُعَدُّ»، ونائبُ فاعِلِه مُسْتَتِرٌ فيه يَعُودُ علَى «آيَاتُ».

* «عَلَى الإكْثَارِ»:بِكَسْرِ الهَمْزَةِ، «بالسَّأَمِ»:- بفَتْحِ السِّينِ المُهْمَلةِ المُشَدَّدةِ والهَمْزَةِ المُخَفَّفَةِ - مُتَعَلِّقَانِ بـ«تُسَامُ».

ومَعْنَى البَيْتَيْنِ:

إنَّ هَذِه الآيَاتِ مَعَانِيها كَثِيرةٌ كَمَوْجِ البَحْرِ مَدَدًا، وفَوْقَ جَوْهَرِه حُسْنًا وقِيمةً، ومَعَ كَثْرَتِها لا تُوصَفُ بالمَلالةِ، وعجائبُها لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى.

قَـرَّتْ بِهَـا عَيْـنُ قارِيهَـا، فَقُلْـتُ لَـهُ ... لَقَـدْ ظَفِـرْتَ بِحَبْـلِ اللهِ فاعتَصِـمِ

إنْ تَتْلُهـا خِيفَـةً مِـنْ حَـرِّ نـارِ لَظَـى ... أَطْفَأْتَ حَرَّ لَظَى مِنْ وِرْدِها الشَّبِمِ

«قَرَّتْ»: أَيْ بَرَدَتْ بالسُّرُورِ، وزَادَ نُورُها، و«الظَّفَرُ»: الفَوْزُ، و«بِحَبْلِ»:أَيْ

بِسَبَبٍ يُوصِلُكَ إلى دارِ كَرامَتِه، «فاعْتَصِمِ»: أَيِ استَمْسِكْ بِه، و«التِّلَاوَةُ»: القِراءةُ، و«الخِيفَةُ»: الخَوْفُ، و«لَظَى»: جَهَنَّمُ، وهُوَ اسمٌ مِنْ أَسْماءِ النَّارِ، و«وِرْدُها»: مَوْرِدُها، و«الشَّبِمِ»: البَارِدُ.

الإعرابُ:

* «قَرَّتْ»: -بِفَتْحِ القافِ، وتَشْديدِ الرَّاءِ المُهْمَلةِ - فِعْلٌ ماضٍ، وتَاءُ تأنيثٍ ساكِنَةٌ، «بِهَا»: مُتَعَلِّقٌ بـ «قَرَّتْ»، والضَّمِيرُ لِـ «آيَاتُ»، «عَيْنُ»: فاعلُ «قَرَّتْ»، «قَارِيهَا»: مُضَافٌ إلَيْه.
* «فَقُلْتُ»: -بِضَمِّ التَّاءِ - فِعْلٌ وفاعلٌ، «لَه»: مُتَعَلِّقٌ بـ «قُلْتُ»، و الضَّمِيرُ لِلْقارِئِ.
* «لَقَدْ»: حَرْفُ تَحقيقٍ، «ظَفِرْتَ»: بفَتْحِ التّاءِ - فِعْلٌ وفاعلٌ، والجُملةُ جَوَابُ قَسَمٍ مَحذوفٍ، «بِحَبْلٍ»: -بالحَاءِ المُهْمَلةِ، والبَاءِ المُوَحَّدةِ - مُتَعَلِّقٌ بـ«ظَفِرْتَ»، «اللّهِ»: مُضَافٌ إلَيْه، «فاعْتَصِمِ»: فِعْلُ أَمْرٍ وفاعلٌ.
* «إنْ»: حَرْفُ شَرْطٍ، «تَتْلُهَا»: فِعْلُ الشَّرْطِ، وهُوَ مَجْزُومٌ بـ«إنْ»، وعَلَامةُ جَزْمِه حَذْفُ الوَاوِ، «خِيفَةً»- بِكَسْرِ الخَاءِ المُعْجَمةِ - مَفْعُولٌ لِأَجْلِه.
* «مِنْ حَرِّ»: -بالحَاءِ المُهْمَلةِ - مُتَعَلِّقٌ بـ«خِيفَةً»، «نارِ»: مُضَافٌ إلَيْها ومُضَافةٌ، «لَظَى»: -بالمُعْجَمةِ - مُضَافٌ إلَيْها.

وهُوَ مِنْ إقامةِ الظاهِرِ مَقَامَ المُضْمَرِ.

* «مِنْ وِرْدِهَا»: -بِكَسْرِ الوَاوِ، وسُكُونِ الرَّاءِ -مُتَعَلِّقٌ بـ«أَطْفَأْتَ»، «الشَّبِمِ»: -بفَتْحِ المُعْجَمةِ، وكَسْرِ المُوَحَّدةِ - نَعْتُ «وِرْدِها».

ومَعْنَى البيتَيْنِ:

إنَّ هَذِه الآياتِ قَرَّتْ عَيْن تالِيهَا بِسَبَبِها، فَقُلْتُ لَه: واللّهِ لَقَدْ فُزْتَ مِنَ اللّهِ تعالى بِسَبَبٍ يُوصِلُكَ إلَى دارِ كَرامَتِه؛ فاستَمْسِكْ بِه وإنَّكَ إنْ تَتْلُها خَوْفًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ أَطْفَأْتَ أَنْتَ حَرَّهَا مِنْ وِرْدِها البارِدِ.

شَبَّهَ الآياتِ بالمَاءِ لأَنَّها سَبَبُ حَيَاةِ الأَرْوَاحِ كَمَا أَنَّ المَاءَ سَبَبُ حَيَاةِ الأَشْبَاحِ، فجَعَلَ مَوْرِدَها - وهُوَ الفَمُ - كافِيًا في الإطْفَاءِ، وفِي البَيْتِ: الجِنَاسُ الشَّبيهُ بالمُشْتَقِّ في «قَرَّتْ» و«قَارِيهَا».

كَأَنَّهَا الحَوْضُ تَبْيَضُّ الوُجُوهُ بِهِ ... مِنَ العُصَاةِ وقَدْ جَاؤُوهُ كالحُمَمِ

وكَالصِّرَاطِ وكالمِيزَانِ مَعْدَلَةً ... فالقِسْطُ مِنْ غَيْرِها فِي النَاسِ لَمْ يُقِمِ

«الحَوْضُ»: المُرَادُ بِهِ الكَوْثَرُ، و«العُصَاةِ»: جَمْعُ «عَاصٍ»، ضِدُّ المُطِيعِ، و«الحُمَم»: جَمْعُ «حُمَمَةٍ»، وهِيَ جَمْرَةٌ انطَفَأَتْ نارُها وبَقِيَتْ فَحْمَةً مُسْوَدَّةً، و«القِسْطُ»: العَدْلُ، و«الصِّرَاطِ»: جِسْرٌ مَنْصُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، و«المِيزَانِ»: ما يُوزَنُ به أعمالُ المُكَلَّفِينَ، والوَزَّانُ جِبريلُ، و«النَّاسِ»: اسْمُ جَمْعٍ «إنسانٍ»، و«الإقامةُ»: الدَّوَامُ.

الإعرابُ:

* «كَأَنَّهَا»: حَرْفُ تَشْبِيهٍ، وضَمِيرُ الآيَاتِ اسمُها، «الحَوْضُ»: بالحَاءِ المُهْمَلَةِ، والضَّادِ المُعْجَمَةِ - خَبَرُها.

* «تَبْيَضُّ الوُجُوهُ»: فِعْلٌ وفاعِلٌ، حالٌ مِنَ «الحَوْضُ»، «بِهِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«تَبْيَضُّ»، وهُوَ رابِطُ الحالِ بِصَاحِبِها[1].

* «مِنَ العُصَاةِ»: حالٌ مِنَ «الوُجُوهُ».

* و«قَدْ»: حَرْفُ تَحقيقٍ، «جاؤُوه»: فِعْلٌ وفاعلٌ ومَفْعُولٌ، حالٌ مِنَ «العُصَاةِ»، والرَّابِطُ الوَاوُ[2]، والهَاءُ لِلحَوْضِ.

* «كالحُمَمِ»: بِضَمِّ المُهْمَلَةِ، وفَتْحِ المِيمِ الأُولَى - فِي مَوْضِعِ الحالِ مِنَ الوَاوِ مِنْ «جاؤوه»؛ فهيَ حالٌ مُتَداخِلَةٌ.

(1) أي الضمير الرابط للحال بصاحبها.

(2) واو الحال الداخلة على الجملة، وواو الضمير، فهي مرتبطة بالحال والضمير معًا.

* «وكالصِّرَاطِ وكالمِيزَانِ»: مَعْطُوفانِ عَلَى خَبَر «آيَاتُ حَقٍّ»، أَوَّلِ البَيْتِ الحادِي عَشَرَ مِنَ الأَبْيَاتِ قَبْلَه، «مَعْدَلَةً»: تَمْيِيزٌ.

* «فالقِسْطُ»:-بِكَسْرِ القافِ - مُبتدَأٌ، «مِنْ غَيْرِها، فِي النَّاسِ» مُتَعَلِّقَانِ بـ«يُقِمِ»، «لَمْ يُقِمِ»:- بِضَمِّ اليَاءِ، وكَسْرِ القافِ - خَبَرُ «القِسْطُ».

ومَعْنَى البيتَيْنِ:

كَأَنَّ الآياتِ في تَبيِيضِ وُجُوهِ القارئِينَ لَهَا كَحَوْضِ الكَوْثَرِ في تَبْيِيضِ وُجُوهِ العُصَاةِ بِه إذا جاؤوه كالفَحْمِ الأَسْوَدِ، فعَبَّرَ بالوُجُوهِ عَنِ الذَّوَاتِ، وبَيَّنَها بالعُصَاةِ، وعَنِ الماءِ بالحَوْضِ لِأَنَّه مَحَلُّهُ، وأَنَّهَا آيَاتُ حَقٍّ مُستَقِيمةٌ عادِلَةٌ كالصِّرَاطِ في الاستِقَامةِ، وكالمِيزَانِ فِي العَدْلِ الدَّائِمِ، فالعَدْلُ مِنْ غَيْرِها مِنَ الكُتُبِ لَمْ يَدُمْ في النَّاسِ بَلْ نُسِخَ.

لا تَعْجَبَنْ لِحَسُودٍ رَاحَ يُنْكِرُهَا ... تَجَاهُلًا وَهْوَ عَيْنُ الحاذِقِ الفَهِمِ

قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ ... ويَنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ المَاءِ مِنْ سَقَمِ

«العَجَبُ»: الاستِعْظَامُ، و«الحَسُودُ»: الَّذِي يَتَمَنَّى زَوَالَ النِّعْمةِ عَنْ غَيْرِه؛ سَوَاءٌ وَصَلَتْ إِلَيْه أَمْ لا، و«رَاحَ يُنْكِرُها»: أَيْ ذَهَبَ يَجْحَدُها، و«التَّجَاهُلُ»: أَنْ يُظْهِرَ الجَهْلَ مِنْ نَفْسِه ولَيْسَ عِنْدَه، و«الحاذِقِ»: المَاهِرُ، و«الفَهِمِ»: الكَثِيرُ الفَهْمِ، و«الرَّمَدُ»: دَاءٌ يُصِيبُ العَيْنَ، و«السَّقَمِ»: المَرَضُ.

الإعرابُ:

* «لا»: حَرْفُ نَهْيٍ، «تَعْجَبَنْ»:-بِسُكُونِ النُّونِ الخَفِيفةِ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ، وفاعِلُه مُسْتَتِرٌ فيه وُجُوبًا، «لِحَسُودٍ»:- بكَسْرِ اللَّامِ، وفَتْحِ الحَاءِ وضَمِّ السِّينِ المُهْمَلَتَيْنِ- مُتَعَلِّقٌ بـ «تَعْجَبَنْ».

* «رَاحَ»: نَعْتُ «حَسُودٍ»، «يُنْكِرُها»: حالٌ مِنْ فاعِلِ «رَاحَ» المُسْتَتِرِ فيه، «تَجَاهُلًا»: مَفْعُولٌ لِأَجْلِه.

* «وَهْوَ»: بِسُكُونِ الهَاءِ- مُبتَدَأٌ، «عَيْنُ»: خَبَرُه، «الحاذِقِ»:-بالذَّالِ المُعْجَمَةِ- مُضَافٌ إلَيْه، «الفَهِمِ»:-بِفَتْحِ الفاءِ، وكَسْرِ الهَاءِ - نَعْتُ «الحَاذِقِ»، وجُمْلَةُ المُبتدأِ والخَبَر حالٌ مِنْ فاعِلِ «يُنْكِرُ» المُسْتَتِرِ فِيه.

* «قَدْ»:حَرْفُ تَحْقيقٍ، «تُنْكِرُ العَيْنُ»: فِعْلٌ وفاعلٌ، «ضَوْءَ»: مَفْعُولٌ، «الشَّمْسِ»: مُضَافٌ إلَيْه.

* «مِنْ رَمَدٍ»: مُتَعَلِّقٌ بـ «تُنْكِرُ» عَلَى أَنَّه عِلَّةٌ لَه.

* «ويُنْكِرُ الفَمُ»:-بالتَّشْدِيدِ- فِعْلٌ وفاعلٌ مَعْطُوفٌ عَلَى «تُنْكِرُ العَيْنُ»، «طَعْمَ»: مَفْعُولٌ، «المَاءِ»: مُضَافٌ إلَيْه.

* «مِنْ سَقَمٍ»:-بفَتْحَتَيْنِ - مُتَعَلِّقٌ بـ «تُنْكِرُ» الثَّانِي عَلَى أَنَّه عِلَّةٌ لَه.

ومَعْنَى البيتَيْنِ:

لا تَعْجَبْ - أَيُّهَا المُؤْمِنُ بِهَذِه الآيَاتِ - مِنْ حَسُودٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ حَمَلَه حَسَدُه عَلَى إنكارِها تَجَاهُلًا مِنْه، والحَالُ أَنَّه عالِمٌ ولَيْسَ بجَاهِلٍ، وإنَّمَا هُوَ نَفْسُ الحاذِقِ الكَثِيرِ الفَهْمِ؛ ولكِنْ بِقَلْبِه مَرَضٌ حَمَلَه علَى إنكارِها؛ فإنَّ العَيْنَ الباصِرَةَ إذا رَمِدَتْ تُنْكِرُ ضَوْءَ الشمسِ، والفَمَ إذا حَصَلَ له سَقَمٌ يُنْكِرُ طَعْمَ المَاءِ العَذْبِ.

الفصل السابع في إسرائه ومعراجه ﷺ

يـا خَيْـرَ مَـنْ يَمَّـمَ العَافُـونَ سَـاحَتَهُ سَـعْيًا وفَـوْقَ مُتُـونِ الأَيْنُـقِ الرُّسُـمِ
ومَـنْ هُـوَ الآيَـةُ الكُبْـرَى لِمُعْتَبِـرٍ ومَـنْ هُـوَ النِّعْمَـةُ العُظْمَـى لِمُغْتَنِـمِ

«يَمَّمَ»: أَيْ قَصَدَ، و«العَافُونَ»: جَمْعُ «عافٍ»، وهُوَ طالِبُ المَعْرُوفِ، و«السَّاحَةُ»: النَّاحِيَةُ، والمُرَادُ هَنَا حَرِيمُ الدَّارِ، و«السَّعْيُ»: المَشْيُ السَّرِيعُ، و«المَتْنُ»: الظَّهْرُ، وجَمْعُه «مُتُونٌ»، و«الأَيْنُقِ»: جَمْعُ «نَاقَةٍ»، وأَصْلُه «أَنْوُقٌ»، قُدِّمَتِ الوَاوُ عَلَى النُّونِ لِاسْتِثْقَالِ الضَّمَّةِ عَلَى الوَاوِ، ثُمَّ أُبْدِلَتِ الوَاوُ يَاءً؛ لِأَنَّ ثَبَاتَ اليَاءِ أَكْثَرُ مِنْ ثَبَاتِ الوَاوِ، و«الرُّسُمِ»:- بِضَمَّتَيْنِ - جَمْعُ «رَسُومٍ» -بِفَتْحِ الرَّاءِ-، وهِيَ التِي تُؤَثِّرُ فِي الأَرْضِ مِنْ شِدَّةِ الوَطْءِ.

و«الآيَةُ»: العَلَامَةُ، و«المُعْتَبِرُ»: هُوَ الَّذِي يَصْرِفُ فِكْرَه إِلَى مَعْرِفَةِ الحَقِّ مِنَ الباطِلِ، و«النِّعْمَةُ»: واحِدَةُ النِّعَمِ، وهِيَ رَغَدُ العَيْشِ، و«العُظْمَى»: تَأْنِيثُ «الأَعْظَمِ»، و«المُغْتَنِمُ»: مِنَ اغْتَنَمْتُ الشَّيْءَ: أَخَذْتُه غَنِيمَةً.

الإعرابُ:

* «يا»: حَرْفُ نِدَاءٍ، «خَيْرَ مَنْ»:-بِفَتْحِ المِيمِ- مُنَادًى مَنْصُوبٌ مُضَافٌ إِلَى «مَنْ» المَوْصُولةِ.
* «يَمَّمَ العَافُونَ ساحتَه»: فِعْلٌ وفاعِلٌ ومَفْعُولٌ، والجُملةُ صِلَةُ «مَنْ»، وعائدُها الهَاءُ مِنْ «ساحَتَه».
* «سَعْيًا»:حالٌ مِنَ «العَافُونَ»، و«فَوْقَ»: ظَرْفٌ مُتَعَلِّقٌ بحالٍ مَحْذُوفةٍ، أَيْ

«ورُكْبَانًا فَوْقَ»، «مُتُونِ»: بِضَمِّ المِيمِ والتَّاءِ الفَوْقِيَّةِ - مُضَافٌ إِلَيْه، وهُوَ مُضَافٌ أَيْضًا، «الأَيْنُق»- بِتَقْدِيمِ اليَاءِ عَلَى النُّونِ - مُضَافٌ إِلَيْها، «الرُّسُمِ»: بِضَمِّ الرَّاءِ والسِّينِ المُهْمَلَتَيْنِ - نَعْتُ «الأَيْنُقِ».

* «وَمَنْ»:- بِفَتْحِ المِيمِ - اسمٌ مَوْصُولٌ مَعْطُوفٌ علَى «مَنْ» المَجْرُورةِ بإضافةِ «خَيْرَ» إِلَيْها، «هُوَ الآيَةُ»: مُبتَدَأٌ وخَبَرٌ، صِلَةُ «مَنْ»، «الكُبْرَى»: نَعْتُ «الآيَةُ»، «لِمُعْتَبِرٍ»:- بِفَتْحِ المُثَنَّاةِ الفَوْقِيَّةِ، وكَسْرِ المُوَحَّدَةِ - مُتَعَلِّقٌ بـ «الآيَةُ».

* «وَمَنْ»: بِفَتْحِ المِيمِ - مَوْصُولٌ اسمِيٌّ مَعْطُوفٌ علَى مِثْلِه، «هُوَ النِّعْمَةُ»: مُبتَدَأٌ وخَبَرٌ، صِلَةُ «مَنْ»، «العُظْمَى»: نَعْتُ «النِّعْمَةُ»، «لِمُغْتَنِمٍ»: بِكَسْرِ النُّونِ -مُتَعَلِّقٌ بـ«النِّعْمَةُ».

ومَعْنَى البيتَيْنِ:

يا خَيْرَ مَنْ قَصَدَ الطالِبُونَ حَرِيمَ دارِه ساعِينَ عَلَى الأَقْدَامِ، وراكِبِينَ فَوْقَ الإِبِلِ السَّرِيعةِ؛ كَقَوْلِه تعالى: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ [الحج: 27]، ويا خَيْرَ مَنْ هُوَ العَلَامةُ الكُبْرَى لِمَنْ يُرِيدُ مَعْرِفةَ الحَقِّ مِنَ البَاطِلِ، ويا خَيْرَ مَنْ هُوَ النِّعْمَةُ العُظْمَى لِمَنْ يَغْتَنِمُ النِّعَمَ، وَهِيَ الهِدَايَةُ إِلى الإِسلَامِ.

وَفي البَيْتِ الثَّانِي مِنَ البَدِيعِ: المُوازَنةُ؛ وهِيَ أَنْ تَتَساوَى الفاصِلَتَانِ مِنَ القرينتَيْنِ في الوَزْنِ دُونَ التَّقْفِيَةِ.

سَـرَيْتَ مِـنْ حَـرَمٍ لَيْـلًا إِلَـى حَـرَمٍ ... كَمَا سَرَى البَدْرُ في دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

وَبِـتَّ تَرْقَـى إِلَـى أَنْ نِلْـتَ مَنْزِلَـةً ... مِنْ قَـابِ قَوْسَيْنِ لَـمْ تُدْرَكْ وَلَـمْ تُرَمِ

«سَرَيْتَ»: أَيْ سِرْتَ لَيْلًا، و«الحَرَمُ»: المَكَانُ المُحْتَرَمُ، و«البَدْرُ»: القَمَرُ عِنْدَ كَمَالِه، و«الدَّاجِي»: المُظْلِمُ، و «الرَّقْيُ»: الصُّعُودُ، و «قابِ قَوْسَيْنِ»: أَيْ مِقْدارِهِمَا، «لَمْ تُدْرَكْ»: أَيْ لَمْ يَصِلْ أَحَدٌ إِلَيْها، «ولَمْ تُرَمِ»: أَيْ تُطْلَبْ لِعِزَّةِ مَكَانِهَا.

الإعرابُ:

* «سَرَيْتَ»:-بِفَتْحِ التَّاءِ- فِعْلٌ وفاعلٌ، «مِنْ حَرَمٍ، لَيْلًا، إلَى حَرَمٍ»: مُتَعَلِّقَاتٌ بـ«سَرَيْتَ».

* «كَمَا»: جارٌّ ومَجْرُورٌ، و«ما»: مَصْدَرِيَّةٌ.

* «سَرَى البَدْرُ»: فِعْلٌ وفاعِلٌ، صِلَةُ «ما».

* «في دَاجٍ»:-بالجِيمِ- مُتَعَلِّقٌ بـ«سَرَى»، «مِنَ الظُّلَمِ»:- بِضَمِّ الظَّاءِ المُعْجَمةِ، وفَتْحِ اللَّامِ - نَعْتُ «دَاجٍ».

* «وَبِتَّ»:- بِكَسْرِ المُوَحَّدةِ، وفَتْحِ المُثَنَّاةِ الفوْقِيَّةِ المُشَدَّدةِ - فِعْلٌ ماضٍ ناقِصٌ، والتَّاءُ اسمُها، «تَرْقَى»:- بِفَتْحِ المُثَنَّاةِ الفَوْقِيَّةِ والقافِ- خَبَرُها.

* «إلَى»: حَرْفُ جَرٍّ، «أَنْ»: بِفَتْحِ الهَمْزةِ - مَوْصُولٌ حَرْفِيٌّ، «نِلْتَ»: بِكَسْرِ النُّونِ، وفَتْحِ التَّاءِ - فِعْلٌ وفاعلٌ، صِلَةُ «أَنْ» المَصْدَرِيَّةِ، و «أَنْ» وَصِلَتُها في تأويلِ مَصْدَرٍ مَجْرُورٍ بـ«إلى»، «مِنْزِلَةً»: مَفْعُولُ «نِلْتَ».

* «مِنْ قَابِ»:نَعْتُ «مَنْزِلَةً»، «قَوْسَيْنِ»:-بِفَتْحِ السِّينِ - مُضَافٌ إلَيْه.

* «لَمْ تُدْرَكْ»: بالتَّاءِ الفَوْقِيَّةِ والبِنَاءِ لِلمَفْعُولِ، ونائبُ الفاعلِ مُسْتَتِرٌ يَعُودُ إلى «مَنْزِلَةً»، «ولَمْ تُرِمْ»:-بِضَمِّ التَّاءِ الفَوْقِيَّةِ، وفَتْحِ الرَّاءِ- مَعْطُوفٌ عَلَى «لَمْ تُدْرَكْ».

ومَعْنَى البيتَيْنِ:

سَرَيْتَ - يا رَسُولَ اللهِ- مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ الَى المَسْجِدِ الأَقْصَى لَيْلًا كَسُرَى البَدْرِ في لَيْلٍ مُظْلِمٍ، ولا زِلْتَ تَرْقَى إلَى أَنْ نِلْتَ مَنْزِلَةً قَرِيبةً مِنَ الحَضْرَةِ القُدْسِيَّةِ مِقْدَارَ قَابِ قَوْسَيْنِ، وهَذِه المَنْزِلَةُ لَمْ يَصِلْ إلَيْها أَحَدٌ مِنَ الأنبِيَاءِ غَيْرُكَ، ولَمْ يَطْلُبْها؛ لِعِزَّةِ مَكانِها.

والتَّشْبِيهُ في سُرْعةِ السَّيْرِ، والكَمَالِ والإنارَةِ، وقَطْعِ المَنَازِلِ.

وَقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ الأنبِيَاءِ بِهَا ... والرُّسْلِ تَقْدِيمَ مَخْدُومٍ عَلَى خَدَمِ

وأَنْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاقَ بِهِمْ ... فِي مَوْكِبٍ كُنْتَ فِيهِ صَاحِبَ العَلَمِ

«التَّقْدِيمُ»: ضِدُّ التأخِيرِ، والمُقَدَّمُ في مَرْتَبَةِ المَخْدُومِ، والمُتَأَخِّرُ فِي مَرْتَبَةِ الخادِمِ، و «اخْتَرَقَ الطَّرِيقَ»: قَطَعَه، و «السَّبْعَ الطِّبَاقَ»: السَّمَوَاتُ السَّبْعُ؛ أَخْذًا مِنْ قَوْلِهِ - عَزَّ وجَلَّ -: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك: 3، ونوح: 15] جَمْعُ «طَبَقٍ» أَوْ «طَبَقَةٍ»، والمُرَادُ أَنَّ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ، وحقائقُهَا مُخْتَلِفَةٌ، فَقَدْ نَقَلَ الكَمَالُ الدَّمِيرِيُّ عَنْ كَعْبِ الأَخْبَارِ أَنَّه قالَ: «خَلَقَ اللهُ تعالى السَّمَاءَ الدُّنْيَا مَوْجًا مَكْفُوفًا، والثانِيَةَ صَخْرَةً، والثالِثَةَ حَدِيدًا، والرَّابعةَ نُحَاسًا، والخامسةَ فِضَّةً، والسادِسَةَ ذَهَبًا، والسابعةَ ياقُوتًا». انتهى.

و «المَوْكِبُ»: الجَمَاعةُ مِنَ الفُرْسانِ، والمُرَادُ هُنَا جَمَاعةٌ مِنَ المَلَائكةِ، و «العَلَمِ»: رُمْحٌ في رَأْسِه رايَةٌ، والمُرَادُ بِصَاحِبِ العَلَمِ هُنَا كَبِيرُ القَوْمِ المُقَدَّمُ عَلَيْهِمْ، ولَيْسَ المُرَادُ مَنْ تَكُونُ الرَّايَةُ في يَدِه.

الإعرابُ:

* «وقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ»: فِعْلٌ ومَفْعُولٌ وفاعلٌ، «الأنبِيَاء» مُضَافٌ إلَيْهِم، «بِهَا»: مُتَعَلِّقٌ بـ«قَدَّمَتْكَ»، والبَاءُ لِلظَّرْفِيَّةِ، والهَاءُ لِلمَنْزِلَةِ.
* «والرُّسْلِ»: بالجَرِّ، عَطْفٌ عَلَى الأنبياءِ، مِنْ عَطْفِ الخاصِّ عَلَى العامِّ، وبالرَّفْعِ، عَطْفٌ عَلَى جَمِيعِ، وبالنَّصْبِ، عَلَى المفْعُولِ مَعَه.
* «تَقْدِيمَ»: مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ، «مَخْدُومٍ»: مُضَافٌ إلَيْه، «عَلَى خَدَمِ»:-بفَتْحَتَيْنِ - مُتَعَلِّقٌ بـ«تَقْدِيمَ».
* «وأَنْتَ»: مُبتَدَأٌ، «تَخْتَرِقُ السَّبْعَ»: فِعْلٌ وفاعلٌ ومَفْعولٌ، خَبَرُ المُبتَدَأِ «الطِّبَاقَ»:-بكَسْرِ الطَّاءِ- نَعْتُ «السَّبْعَ».
* «بِهِمْ»: مُتَعَلِّقٌ بِحَالٍ مَحذُوفةٍ، أَيْ «مارًّا بِهِم».
* «فِي مَوْكِبٍ»: بِفَتْحِ المِيمِ، وكَسْرِ الكَافِ - مُتَعَلِّقٌ بِمَا تَعَلَّقَ بِه المَجْرُورُ قَبْلَه.
* «كُنْتَ»:-بفَتْحِ التَّاءِ - فِعْلٌ ماضٍ ناقصٌ، والتَّاءُ اسمُه، «فِيهِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ «كان»، والضميرُ لِلمَوْكِبِ، «صاحِبَ»: خَبَرُ «كانَ»، «العَلَمِ»:-بفَتْحَتَيْنِ- مُضَافٌ إلَيْه.

ومَعْنَى البيتَيْنِ:

وقَدَّمَتْكَ جَمِيعُ الأنبِيَاءِ والرُّسُلِ فِي المَنْزِلةِ تَقْدِيمَ المَخْدُومِ عَلَى الخَدَمِ، وأنتَ تَخْتَرِقُ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ سَمَاءً بَعْدَ سَمَاءٍ حالَ كَوْنِكَ مارًّا بالرُّسُلِ واحِدًا بَعْدَ واحِدٍ، فَفِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا مَرَرْتَ بآدَمَ، وفِي السَّمَاءِ الثانِيَةِ مَرَرْتَ بعِيسَى ويَحْيَى، وفِي الثالِثَةِ بِيُوسُفَ، وفِي الرَّابِعَةِ بإدْرِيسَ، وفي الخامِسَةِ بِهَارُونَ، وفِي السادِسَةِ بِمُوسَى، وفي السابِعَة بإبرَاهِيمَ، وأَنْتَ فِي جَمْعٍ مِنَ الملائكةِ الكِرَامِ، صاحبُ التحيةِ والإكرامِ.

حَتَّـى إذَا لَـمْ تَـدَعْ شَـأْوًا لِمُسْـتَبِقٍ مِـنَ الدُّنُـوِّ وَلَا مَرْقًـى لِمُسْـتَنِمِ

«حَتَّى» هُنَا: غَايَةٌ لـ«تَخْتَرِقُ»، و«تَدَعْ»: أَيْ تَتْرُكْ، و«شَأْوًا»: أَيْ غايَةً، «لِمُسْتَبِقٍ»: أَيْ ساعٍ لِسَبْقٍ.

و«الدُّنُوِّ»: القُرْبُ، و«المَرْقَى»: مَوْضِعُ الرَّقْيِ، و«لِمُسْتَنِمٍ»: أَيْ لِطَالِبِ رِفْعَةٍ.

الإعرابُ:

* «حَتَّى»: حَرْفُ غايَةٍ، «إذَا»: ظَرْفُ زَمَانٍ مُجَرَّدٌ عَنْ مَعْنَى الشَّرْطِ.
* «لَمْ تَدَعْ»:-بفَتْحِ الدَّالِ- جازِمٌ ومَجْزُومٌ.
* «شَأْوًا»:بِفَتْحِ الشِّينِ المُعْجَمةِ، وسُكُونِ الهَمْزةِ، وبالوَاوِ - مَفْعُولُ «تَدَعْ».
* «لِمُسْتَبِقٍ»:-بِضَمِّ المِيمِ، وسُكُونِ السِّينِ المُهْمَلةِ، وفَتْحِ المُثَنَّاةِ الفَوْقِيَّةِ، وكَسْرِ المُوَحَّدةِ - «مِنَ الدُّنُوِّ»: المُجْرُورانِ مُتَعَلِّقَانِ بـ «تَدَعْ».
* «ولا مَرْقًى»:-بالتَّنْوِينِ- مَعْطُوفٌ عَلَى «شَأْوًا».
* «لِمُسْتَنِمٍ»:-بضَمِّ المِيمِ الأُولَى، وسُكُونِ السِّينِ المُهْمَلةِ، وفَتْحِ المُثَنَّاةِ الفَوْقِيَّةِ، وكَسْرِ النُّونِ- مُتَعَلِّقٌ بـ «تَدَعْ» أَيْضًا.

ومَعْنَى البَيْتِ:

لَا زِلْتَ تَخْتَرِقُ إلَى وَقْتٍ لَمْ تَتْرُكْ فِيهِ غايَةً لِمَنْ يُرِيدُ السَّبْقَ إلَى القُرْبِ، ولا مَوْضِعَ رَقْيِ طالِبِ رِفْعَةٍ.

خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ بالإضَافَةِ إذْ نُودِيتَ بالرَّفْعِ مَثْلَ المُفْرَدِ العَلَمِ
كَيْمَا تَفُوزَ بِوَصْلٍ أَيِّ مُسْتَتِرٍ عَنِ العُيُونِ وسِرٍّ أَيِّ مُكْتَتَمِ

«الخَفْضُ» ضدُّ الرَّفْعِ، والمُرَادُ انحِطَاطُ الرُّتْبَةِ، و«المَقَامُ»: المَنْزِلَةُ، و«الإضَافَة»: النِّسْبَةُ، و«النِّدَاءُ»: طَلَبُ الإقْبَالِ، و«المُفْرَدِ»: المُتَوَحِّدُ في قَوْمِه، و«العَلَمِ»: المَشْهُورُ العَالِي القَدْرِ، و«تَفُوزَ»: أَيْ تَظْفَرَ، و«الوَصْلُ»: ضِدُّ القَطْعِ، و«المُسْتَتِرُ»: المَحْجُوبُ، و«العُيُونِ»: جَمْعُ عَيْنٍ، الباصِرَةُ.

الإعرابُ:

* «خَفَضْتَ»:-بِفَتْحِ التَّاءِ - فِعْلٌ وفاعِلٌ، «كُلَّ»: مَفْعُولٌ بِهِ، «مَقَامٍ»:-بِفَتْحِ المِيمِ- مُضَافٌ إلَيْه.
* «بالإضَافَةِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«خَفَضْتَ» «إذْ»: ظَرْفٌ لِلمَاضِي مُتَعَلِّقٌ بـ«خَفَضْتَ».
* «نُودِيتَ»:-بِضَمِّ النُّونِ، وكَسْرِ الدَّالِ- فِعْلٌ ماضٍ مَبْنِيٌّ لِلمَفْعُولِ، ونائبُ الفاعِلِ تاءُ المُخاطَبِ، «بالرَّفْعِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«نُودِيتَ».
* «مِثْلَ»: نَعْتُ مَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ، مَنْصُوبٌ عَلَى المَفْعُولِ المُطْلَقِ، «المُفْرَدِ»: مُضَافٌ إلَيْه، «العَلَمِ»: بفَتْحَتَيْنِ - نَعْتُ «المُفْرَدِ».
* «كَيْمَا»: «كَيْ»: حَرْفُ جَرٍّ وتَعليلٍ، و«ما»: زائدَةٌ، «تَفُوزَ»: فِعْلٌ مُضارِعٌ مَنْصُوبٌ بـ«أَنْ» مُقَدَّرةٍ بَعْدَ «كَيْ».
* «بِوَصْلٍ»: مُتَعَلِّقٌ بـ «تَفُوزَ»، «أَيِّ»:-بِفَتْحِ الهَمْزةِ، وتشدِيدِ اليَاءِ المَكْسُورةِ - نَعْتُ «وَصْلٍ»، «مُسْتَتِرٍ»: مُضَافٌ إلَيْه، «عَنِ العُيُونِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«مُسْتَتِرٍ».
* «وَسِرٍّ»:-بِكَسْرِ السِّينِ المُهْمَلةِ - مَعْطُوفٌ عَلَى «وَصْلٍ»، «أَيِّ»:-بِفَتْحِ الهَمْزةِ، وتَشْدِيدِ اليَاءِ المَكْسُورةِ - نَعْتُ «سِرٍّ»، «مُكْتَتَمٍ»:-بِضَمِّ المِيمِ، وفَتْحِ التاءَيْنِ الفوقِيَّتَيْنِ - مُضَافٌ إلَيْهِ.

ومعنى البيتَيْنِ:

خَفَضْتَ كُلَّ مَقَامٍ لِغَيْرِكَ بالنِّسْبَةِ إلَى مَقَامِكَ حِينَ نُودِيتَ بالارتِفَاعِ نِدَاءً مِثْلَ نِدَاءِ المُفْرَدِ العَلَمِ لأَجْلِ أَنْ تَفُوزَ بِوَصْلٍ مُسْتَتِرٍ عَنْ عُيُونِ الناظِرِينَ استِتَارًا أَيَّ اسْتِتَارٍ، وَسِرٍّ مُكْتَتَمٍ عَنْ غَيْرِكَ اكتِتَامًا أَيَّ اكتِتَامٍ.

وجَمَعَ في البَيْتِ الأَوَّلِ بَيْنَ الخَفْضِ والإضافةِ والنِّدَاءِ، والرَّفْعِ والمُفْرَدِ والعَلَمِ، وهُوَ جَمْعٌ حَسَنٌ.

فَحُزْتَ كُلَّ فَخَارٍ غَيْرَ مُشْتَرَكٍ ... وجُزْتَ كُلَّ مَقَامٍ غَيْرَ مُزْدَحَمِ

وجَلَّ مِقْدَارُ ما وُلِّيتَ مِنْ رُتَبٍ ... وعَزَّ إدْرَاكُ مَا أُولِيتَ مِنْ نِعَمِ

«الحِيَازَةُ»: الجَمْعُ، و«الفَخَارُ»: ما يُفْتَخَرُ بِهِ مِنَ الفَضَائِلِ، و«المُشْتَرَكُ»: ضِدُّ المُخْتَصِّ، و«الجَوَازُ»: المُرُورُ، و«المَقَامُ»: المَنْزِلَةُ، و«الازْدِحَامُ» المُزَاحَمَةُ.

و«جَلَّ»: أَيْ عَظُمَ، و«المِقْدَارُ»: القَدْرُ، و«مَا وُلِّيتَ»: أَيْ قُلِّدْتَ، وصَارَ أَمْرُهُ إلَيْكَ، و«الرُّتَبُ»: جَمْعُ «رُتْبَةٍ»، وَهِيَ الدَّرَجَةُ العالِيَةُ، و«عَزَّ الشَّيْءُ»: تَمَنَّعَ وعَسُرَ حُصُولُه، و«الإدْرَاكُ» هُنَا: الوِجْدَانُ، و «أُولِيتَ»: أَيْ أُعْطِيتَ، و «النِّعَمُ»: جَمْعُ «نِعْمَةٍ».

الإعرابُ:

* «فَحُزْتَ»:- بِضَمِّ الحَاءِ المُهْمَلَةِ، وسُكُونِ الزَّايِ، وفَتْحِ التَّاءِ- فِعْلٌ وفاعِلٌ، «كُلَّ»: مَفْعُولٌ بِهِ، «فَخَارٍ»:- بِفَتْحِ الفَاءِ والخَاءِ المُعْجَمَةِ- مُضَافٌ إلَيْهِ.
* «غَيْرَ»:-بالنَّصْبِ- نَعْتُ «كُلَّ»، «مُشْتَرَكٍ»:-بِفَتْحِ الرَّاءِ - مُضَافٌ إلَيْه.
* «وجُزْتَ»:- بِضَمِّ الجِيمِ، وسُكُونِ الزَّايِ- فِعْلٌ وفاعِلٌ، «كُلَّ»: مَفْعُولٌ بِهِ، «مَقَامٍ»: بِفَتْحِ المِيمِ- مُضَافٌ إلَيْه.
* «غَيْرَ»:-بالنَّصْبِ نَعْتُ «كُلَّ»، «مُزْدَحَمِ»:-بِضَمِّ المِيمِ، وسُكُونِ الزَّايِ، وفَتْحِ الدَّالِ والحَاءِ المُهْمَلَتَيْنِ- مُضَافٌ إلَيْه.

* «وجَلَّ»: بِفَتْحِ الجِيمِ- فِعْلٌ ماضٍ، «مِقْدَارُ»: فاعلٌ، «مَا»: مَوْصُولٌ اسْمِيٌّ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بالإضافةِ، «وُلِّيتَ»:-بِضَمِّ الوَاوِ، وكَسْرِ اللَّامِ المُشَدَّدةِ، وسُكُونِ المُثَنَّاةِ التحتيَّةِ، وفَتْحِ الفَوْقِيَّةِ - فِعْلٌ ماضٍ مَبْنِيٌّ لِلمَفْعُولِ، والتَّاءُ نائبُ الفاعِلِ، والجُمْلَةُ صِلَةُ «ما»، والعائدُ مَحْذُوفٌ، أَيْ «وُلِّيتَهُ».

* «مِنْ رُتَبٍ»:- بِضَمِّ الرَّاءِ، وفَتْحِ المُثَنَّاةِ الفَوْقِيَّةِ- بَيَانٌ لِـ«مَا»، مُتَعَلِّقٌ بـ «وُلِّيتَ».

* «وعَزَّ»:-بِفَتْحِ المُهْمَلةِ والزَّايِ- فِعْلٌ ماضٍ مَعْطُوفٌ عَلَى «جَلَّ»، «إِدْرَاكُ»:- بِكَسْرِ الهَمْزَةِ- فاعِلُ «عزَّ».

* «ما»: مَوْصُولٌ اسْمِيٌّ فِي مَحَلِّ جَرٍّ بالإضافةِ، «أُولِيتَ»:-بِضَمِّ الهَمْزةِ، وسُكُونِ الوَاوِ، وكَسْرِ اللَّامِ- فِعلٌ ماضٍ مَبْنِيٌّ لِلمَفْعُولِ، صِلَةُ «ما»، والعائدُ مَحْذُوفٌ، أَيْ «أُولِيتَهُ»، «مِنْ نِعَمٍ»:- بِكَسْرِ النُّونِ، وفَتْحِ العَيْنِ المُهْمَلةِ - بَيَانٌ لِـ«مَا»، مُتَعَلِّقٌ بـ«أُولِيتَ».

ومَعْنَى البيتَيْنِ:

فَجَمَعْتَ كُلَّ فَخْرٍ مُسْتَقِلٍّ بِكَ غَيْرِ مُشْتَرَكٍ بَيْنَكَ وبَيْنَ غَيْرِكَ، وعَبَرْتَ كُلَّ مَكَانٍ بِمُفْرَدِكَ غَيْرِ مُزاحَمٍ من غيرك، وعَظُمَ ما وُلِّيتَ مِنَ المَناصِبِ الشريفةِ، وامتَنَعَ الوُصُولُ إِلَى كَمَالِ ما أُعْطِيتَ مِنَ الفَضَائِلِ المنيفةِ.

وَفِي البَيْتِ الأَوَّلِ: الجِنَاسُ المُحَرَّفُ فِي قَوْلِه: «فَحُزْتَ» و «فَجُزْتَ»، وفِي الثَّانِي: الجِنَاسُ الناقِصُ فِي قَوْلِه: «وُلِّيتَ» و «أُولِيتَ».

بُشْرَى لَنَا مَعْشَرَ الإِسْلَامِ؛ إِنَّ لَنَا ... مِنَ العِنَايَةِ رُكْنًا غَيْرَ مُنْهَدِمِ
لَمَّا دَعَا اللهُ دَاعِينَا لِطَاعَتِهِ ... بِأَكْرَمِ الرُّسْلِ كُنَّا أَكْرَمَ الأُمَمِ

«بُشْرَى»: اسمٌ مِنَ البِشَارَةِ، يُطْلَقُ ويُرَادُ بِه الخَبَرُ السَّارُّ المُفِيدُ لِلبَشَرِ، و«المَعْشَرُ»: الجَمَاعةُ الذِينَ يَشْمَلُهُم وَصْفٌ واحِدٌ، و«العِنَايَةِ»: مِنْ عُنِيَ بِحَاجَتِي، أَيِ اعْتَنَى بِهَا، و«رُكْنُ الشَّيْءِ»: ما يُعْتَمَدُ عَلَيْه، و«الانهِدَامُ»: التَّغَيُّرُ، و «دَعَا»: أَيْ سَمَّى،

و«دَاعِينَا»: أَيِ النَّبِيَّ ﷺ، و«الطَّاعَةُ»: ضِدُّ المَعْصِيَةِ، و«الأُمَمِ»: جَمْعُ «أُمَّةٍ»، وهِيَ الجَمَاعةُ.

الإعْرَابُ:

* «بُشْرَى»: مُبْتَدَأٌ، ونَعْتُها مَحْذُوفٌ، أَيْ بُشْرَى عَظِيمةٌ، «لَنَا»: خَبَرُه، «مَعْشَرَ»: مَنْصُوبٌ عَلَى الاختِصَاصِ بِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُه «أَخُصُّ»، «الإسلَامِ»: مُضَافٌ إلَيْه.
* «إنَّ»: بِكَسْرِ الهَمْزةِ أَوْ فَتْحِها، وتَشْديدِ النُّونِ، «لَنَا»: خَبَرُها مُقَدَّمٌ، «مِنَ العِنَايَةِ»:-بِكَسْرِ العَيْنِ، وفَتْحِ النُّونِ- حالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي «لَنَا»، «رُكْنًا»: اسمُ «إنَّ» مُؤَخَّرٌ.
* «غَيْرَ»:-بالنَّصْبِ- نَعْتُ «رُكْنًا»، «مُنْهَدِمٍ»: مُضَافٌ إلَيْه، وهَذِه الجُملةُ تَعليليةٌ، فإنْ كَسَرْتَ «إنَّ» فهِيَ تَعليلٌ مُسْتأنَفٌ، وإنْ فَتَحْتَ فعَلَى تَقْدِيرِ لَامِ العِلَّةِ.
* «لَمَّا»:-بِفَتْحِ اللَّامِ وتَشْديدِ المِيمِ - حَرْفُ وُجُودٍ لِوُجُودٍ، أَوْ ظَرْفٌ بِمعْنَى «حِينَ» عَلَى القَوْلَيْنِ[1]، «دَعَا اللهّ»: فِعْلٌ وفاعلٌ.
* «دَاعِينَا»: مَفْعُولٌ، وسَكَّنَ اليَاءَ عَلَى لُغَةِ مَنْ يُعْرِبُ المَنْقُوصَ فِي الأَحْوَالِ الثَّلَاثةِ بِحَركاتٍ مُقَدَّرةٍ[2]، «لِطَاعَتِه»: مُتَعَلِّقٌ بـ «دَاعِينَا»، «بِأَكْرَمِ»: جارٌّ ومَجْرُورٌ مُتَعَلِّقٌ بـ «دَعَا»، «الرُّسْلِ»:-بِسُكُونِ السِّينِ- مُضَافٌ إلَيْهم.
* «كُنَّا»: كانَ واسْمُهَا، «أَكْرَمَ»: خَبَرُهَا، «الأُمَمِ»: مُضَافٌ إلَيْهِ، والجُملةُ جَوَابُ «لَمَّا».

---

(1) مذهب سيبويه أنها حرف، ومذهب الفارسي أنها ظرف بمعنى حين.

(2) من ذلك قول بشر بن أبي خازم، وهو عربي جاهلي: «كفى بالنأي من أسماءَ كافي * وليس لنأيها إذ طال شافي» حيث قال «كافي» مع أنه حال من النأي أو مفعول مطلق، وقراءة جعفر الصادق: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾[المائدة: 89]، بسكون ياء «أهاليكم».

ومَعْنَى البَيْتَيْنِ:

بُشْرَى عَظِيمةٌ لَنَا - أَيُّهَا المُسْلِمُونَ- لِأَنَّ لَنَا شَرِيعةً باقِيَةً غَيْرَ مَنْسُوخةٍ، ولَمَّا سَمَّى اللهُ - تَعَالَى- نَبِيَّنَا ﷺ بأكْرَمِ الرُّسُل كُنَّا أَكْرَمَ الأُمَمِ السالِفَةِ قَبْلَ مَجِيءِ الإسلامِ، مصداق قوله تعالى:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110]، أَيْ أَنْتُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ، وإنَّمَا كانَتْ أُمَّتُه خَيْرَ الأُمَمِ؛ لِأَنَّه هُوَ خَيْرُ الرُّسُلِ.

الفصل الثامن في جهاد النبي ﷺ

رَاعَتْ قُلُوبَ العِدَا أَنْبَاءُ بَعْثَتِهِ ... كَنَبْأَةٍ أَجْفَلَتْ غُفْلًا مِنَ الغَنَمِ

مَا زَالَ يَلْقَاهُمُ فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ ... حَتَّى حَكَوْا بالقَنَا لَحْمًا عَلَى وَضَمِ

«رَاعَتْ»: أَيْ أَفْزَعَتْ، و«العِدَا»: الأَعداءُ، و«الأَنْبَاءُ»: الأَخْبَارُ، و«البَعْثَةُ»: الرِّسَالةُ، و«النَّبْأَةُ»: الصَّرْخَةُ.

و «أَجْفَلَتْ»: أَيْ أَفْزَعَتْ، و «غُفْلًا»: جَمْعُ «أَغْفَلَ»، وهُوَ البَلِيدُ الغافلُ الَّذِي لا يُحِسُّ بالأَماراتِ الوَاضِحَةِ، و «الغَنَمِ»: اسْمُ جِنْسٍ، و «المُعْتَرَكُ»: مَوْضِعُ الاعْتِرَاكِ، وهُوَ الازْدِحَامُ في الحَرْبِ، و «حَكَوْا»: شابَهُوا، و «القَنَا»: جَمْعُ «قَنَاةٍ»، وهِيَ الرُّمْحُ، و «الوَضَمُ»: ما يَضَعُ عَلَيْه الجَزَّارُ اللَّحْمَ مِنْ قَصَبٍ أَوْ غَيْرِه مُعَدًّا لِمَنْ يَأْخُذُه.

الإعرابُ:

* «رَاعَتْ»:- بالرَّاءِ والعَيْنِ المُهْمَلَتَيْنِ- فِعْلٌ ماضٍ، وتَاءُ التأنِيثِ، «قُلُوبَ»: مَفْعُولٌ مُقَدَّمٌ، «العِدَا»:-بِكَسْرِ العَيْنِ وضَمِّها، والقَصْرِ - مُضَافٌ إِلَيْهِمْ.

* «أَنْبَاءُ»:-بِفَتْحِ الهَمْزةِ الأُولَى، وسُكونِ النونِ، وفَتْحِ المُوَحَّدةِ، والمَدِّ - فاعلُ

«راعَتْ» مُؤَخَّرٌ، «بِعْثَتِه»:- بِكَسْرِ المُوَحَّدةِ، وفَتْحِ المُثَلَّثَة، وكَسْرِ المُثنَّاةِ الفوْقِيَّةِ - مُضَافٌ إلَيْهَا.

* «كَنَبْأَةٍ»:- بِفَتْحِ النُّونِ، وسُكُونِ المُوَحَّدةِ، وفَتْحِ الهَمْزةِ - في مَوْضِعِ الحالِ مِنْ «أنباءُ».

* «أَجْفَلَتْ»: فِعْلٌ ماضٍ، وفاعِلُه مُسْتَتِرٌ فِيهِ يَعُودُ إلى «نَبْأَةٍ»، والجُمْلةُ صِفَتُها، «غُفْلًا»:-بِضَمِّ المُعجَمةِ، وسُكُونِ الفَاءِ - مَفْعُولُ «أَجْفَلَتْ»، «مِنَ الغَنَمِ»: بفَتْحِ الغَينِ المعجَمةِ والنونِ - نَعْتُ «غُفْلًا»، و«مِنْ»: لِلْبَيَانِ.

* «مَا»: حَرْفُ نَفْيٍ، «زالَ» فِعْلٌ ماضٍ ناقصٌ، اسمُه مُستَتِرٌ فِيه يَعُودُ إلى النبيِّ ﷺ، «يَلْقَاهُمُ»:-بِضَمِّ المِيمِ- فِعْلٌ مُضارِعٌ، وفاعلٌ مُسْتَتِرٌ، ومَفْعولٌ، جَمْلَةٌ في مَوْضِعِ نَصْبٍ؛ خَبَرُ «زَالَ»، وضَمِيرُ الجَمْعِ لِلأعداءِ مِنَ الكُفَّارِ.

* «فِي كُلِّ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«يَلْقَاهُمُ»، «مُعْتَرَكٍ»:- بِضَمِّ المِيمِ، وسُكُونِ المُهْمَلةِ، وفَتْحِ المُثَنَّاةِ فَوْقُ والرَّاءِ - مُضَافٌ إلَيْه.

* «حَتَّى»: حَرْفُ ابتِدَاءٍ، «حَكَوْا»:- بِفَتْحِ المُهْمَلةِ والكافِ - فِعْلٌ ماضٍ وفاعلٌ، والضميرُ لِلأعداءِ، «بالقَنَا»:-بِفَتْحِ القافِ والنونِ - مُتَعَلِّقٌ بـ«حَكَوْا»، «لَحْمًا»:- بِفَتْحِ اللَّامِ، وسُكُونِ المُهْمَلةِ- مَفْعولُ «حَكَوْا»، «عَلَى وَضَمٍ»:-بِفَتْحِ الوَاوِ والضادِ المُعْجَمةِ- نَعْتُ «لَحْمًا».

ومَعْنَى البيتَيْنِ:

أَنَّ أخبَارَ بَعْثَةِ النبيِّ ﷺ أَفْزَعَتْ قُلُوبَ الأعداءِ وفَرَّقَتْ شَمْلَهم، كَمَا أَفْزَعَتْ صَيْحَةُ الأَسَدِ قُلُوبَ غَنَمٍ غافِلَةٍ، وما زَال ﷺ، يُحارِبُهم حَتَّى بَضَّعَهُمْ وصارُوا كَلَحْمٍ مُلْقًى عَلَى الأرضِ تَأْكُلُه السِّبَاعُ والوُحوشُ والطُّيورُ.

وَفِي البَيْتِ الأَوَّلِ الجِنَاسُ الشَّبِيهُ بالمُشْتَقِّ في قَوْلِه: «أَنْبَاءُ» و«نَبْأَةٍ».

وَدُّوا الفِـرَارَ، فـكَادُوا يَغْبِطُـونَ بِـهِ أَشْـلَاءَ شَـالَتْ مَـعَ العِقْبَـانِ والرَّخَـمِ
تَمْضِـي اللَّيَالِـي ولا يَـدْرُونَ عِدَّتَهَـا مَـا لَـمْ تَكُـنْ مِـن لَيَالِي الأشهُرِ الحُرُمِ

«وَدُّوا»: أَيْ تَمَنَّوا، «الفِرَارَ»: الهَرَبُ، و«يَكَادُ»: أيْ يُقارِبُ، و«الغِبْطَةُ» تَمَنِّي مِثْلِ حالِ المَغْبُوطِ، ولَمْ يُرِدْ زَوَالها، و«أَشْلَاءَ»: جَمْعُ «شِلْوٍ» -بِكَسْرِ المعجَمةِ، وسُكُونِ اللَّامِ، وهُوَ العُضْوُ مِنَ اللَّحْمِ، و«شَالَتْ»: أَي ارتَفَعَتْ، و«العِقْبَانِ»: جَمْعُ «عُقَاب»، نَوْعٌ مِنْ كَرَائِمِ الطَّيْرِ، و«الرَّخَمِ»: جَمْعُ «رَخَمَةٍ»، وهُوَ طائِرٌ يُشْبِهُ النِّسْرَ يَقَعُ عَلَى المَيْتَاتِ، و«تَمْضِي»: تَمُرُّ، و «اللَّيَالِي»: جَمْعُ «لَيْلةٍ» عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ، والمُرَادُ الليالي والأيَّامُ، وخَصَّ الليالِيَ بالذِّكْرِ لِأَنَّ مُقَاساةَ الهُمُومِ فِيها أَشَدُّ، و«لا يَدْرُونَ»: أَيْ لا يَعْلَمُونَ، و«العِدَّةُ»: العَدَدُ، و«الأَشْهُرِ الحُرُمِ»: أربعةٌ: رَجَبٌ وذُو القَعدةِ، وذو الحِجَّةِ، والمُحَرَّمُ، و«الحُرُمِ»: جَمْعُ «حَرَامٍ».

الإعرابُ:

* «وَدُّوا»:- بِفَتْحِ الوَاوِ، وضَمِّ الدَّالِ- فِعْلٌ ماضٍ وفاعلٌ، والضميرُ لِلأعداءِ، «الفِرَارَ»: بِكَسْرِ الفَاءِ - مَفْعُولُ «وَدُّوا».
* «فكَادُوا»: فِعْلٌ ماضٍ، والواوُ اسمُه، «يَغْبِطُونَ»:-بِفَتْحِ المُثَنَّاةِ التحتيّةِ، وسُكُونِ الغَينِ المُعجَمةِ، وكَسْرِ المُوَحَّدةِ، وضَمِّ الطاءِ المُهْمَلةِ - فِعْلٌ مضارعٌ وفاعلٌ، والجُملةُ في مَوْضِعِ نَصْبٍ؛ خَبَرُ «كَادَ».
* «بِهِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«يَغْبِطُونَ»، والضميرُ لِلفِرَارِ.
* «أَشْلَاءَ»: بِهَمْزَتَيْنِ مَفْتُوحتَيْنِ، بَيْنَهما شِينٌ مُعْجَمةٌ ساكِنَةٌ ولَامٌ مَفتوحةٌ، والمَدِّ بِغَيْرِ تَنْوينٍ لِلضَّرورةِ؛ لِأَنَّ أَصْلَه «أَشْلَاؤٌ»، قُلِبَتِ الواوُ هَمْزةً لتَطَرُّفِها إِثْرَ أَلِفٍ زائِدةٍ كَـ «سَمَاءٍ»- مَفْعُولُ «يَغْبِطُونَ»، «شَالَتْ»:- بالشِّينِ المُعْجَمةِ- فِعْلٌ ماضٍ، وفاعِلُه ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ فِيه يَعُودُ إلى «أَشْلَاءَ»، والجُمْلةُ نَعْتُ «أَشْلَاءَ».

* «مَعَ»:- بِفَتْحِ العَيْنِ وكَسْرِها - مُتَعَلِّقٌ بـ «شالَتْ»، «العِقْبَانِ»: بِكَسْرِ العَيْنِ- مُضَافٌ إلَيْها، «والرَّخَمِ»: بِفَتْحِ المُهْمَلةِ والخاءِ المُعْجَمةِ - مَعْطُوفٌ عَلَى «العِقْبَانِ».

* «تَمْضي اللَّيَالي»: فِعْلٌ وفاعِلٌ، والمَعْطُوفُ مَحْذوفٌ، أَيْ «والأَيَّامُ»، عَلَى حَدِّ: ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ [النحل: 81]، أَيْ «والبَرْدَ».

* «ولا»: حَرْفُ نَفْيٍ، «يَدْرُونَ»: فِعْلٌ مُضَارِعٌ وفاعِلٌ، «عِدَّتَها»:-بِكَسْرِ العَيْنِ- مَفْعُولٌ «يَدْرُونَ».

* «ما»: ظَرْفِيَّةٌ مَصْدَرِيَّةٌ، «لَمْ تَكُنْ»: صِلَةُ «ما»، واسمُ «تَكُنْ» مُسْتَتِرٌ فِيها يَعُودُ إلى «اللَّيالِي»، «مِنْ لَيَالِي»: خَبَرُ «تَكُنْ»، «الأَشْهُرِ»: مُضَافٌ إلَيْها، «الحُرُمِ»:- بِضَمِّ الحاءِ والرَّاءِ المُهْمَلَتَيْنِ- نَعْتُ «الأَشْهُرِ».

ومَعْنَى البيتَيْنِ:

تَمَنَّى الأعداءُ الفِرَارَ مِنَ الحَرْبِ لِشِدَّةِ ما حَصَلَ عَلَيْهم فلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْه، وتَمَنَّوْا أَنْ يَحْصُلَ لَهُم مِثْلُ ما حَصَلَ لِأَعضاءِ أمثالِهم حِينَ وَقَعَتْ عَلَيْها الطُّيُورُ فأَكَلَتْ مِنْها ما اختارَتْ، وارتَفَعَتْ مِنْها بِمَا شاءَتْ، لِيَتَخَلَّصُوا مِمَّا هُمْ فِيه؛ فإنَّ الإنسانَ إذا اشْتَدَّ عَلَيْه الحالُ ولا يَجِدُ لِشِدَّتِه فَرَجًا ولا لِضِيقِه مَخْرَجًا، يَتَمَنَّى المَوْتَ، وإذا استَوْلَى عَلَيْه الخَوْفُ لا يُمَيِّزُ بَيْنَ الأيَّامِ واللَّيَالِي، ولا يَضْبِطُ عَدَدَ اللَّيْلِ والنَّهَارِ.

فكَذَلِكَ هُؤلاءِ؛ تَمُرُّ عَلَيْهم اللَّيالي والأيَّامُ لا يَعْرِفُونَ عَدَدَها لِشِدَّةِ ما حَصَلَ علَيْهم مِنَ القِتَالِ والمُحَارَبةِ لَهُم، فإذَا دَخَلَتِ الأَشْهُرُ الحُرُمُ عَرَفُوها بإمْسَاكِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ القِتَالِ فِيهَا رِعَايَةً لِحُرمَتِها ووَفَاءً بِحَقِّهَا.

كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ بِكُلِّ قَرْمٍ إِلَى لَحْمِ العِدَا قَرِمِ

«الدِّينُ»: الإسْلَامُ، و«حَلَّ»: نَزَلَ، و«السَّاحَةُ»: المَكَانُ، و«قَرِم» بِسُكُونِ الرَّاءِ: السَّيِّدُ، وبِكَسْرِها: شَدِيدُ الشَّهْوَةِ إلى اللَّحْم، والمُرَادُ: شَدِيدُ الحِرْصِ عَلَى قَتْلِ أعْداءِ الدِّينِ.

الإعرابُ:

* «كَأَنَّمَا»: حَرْفُ تَشْبِيهٍ، «الدِّينُ»:- بِكَسْرِ الدَّالِ - مُبتَدأٌ، «ضَيْفٌ»: خَبَرُه.
* «حَلَّ»: بِفَتْحِ المُهْمَلَةِ- فِعْلٌ ماضٍ، وفاعلُه مَسْتَتِرٌ فيه يَعُودُ علَى «ضَيْفٌ».
* «ساحَتَهم»: مَفعُولٌ فيه بـ «حَلَّ»، والجُملةُ نَعْتُ «ضَيْفٌ».
* «بِكُلِّ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«حَلَّ»، «قَرْمٍ»:- بفَتْحِ القافِ، وسُكُونِ الرَّاءِ - مُضَافٌ إلَيْه.
* «إلَى لَحْمِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«قَرِمٍ»، آخِرَ البَيْتِ، «العِدَا»:- بِكَسْرِ العَيْنِ، والقَصْرِ- مُضَافٌ إلَيهم، «قَرِمٍ»:- بِفَتْحِ القَافِ، وكَسْرِ الرَّاءِ- نَعْتُ «قَرْمٍ» - بِسُكُونِ الرَّاءِ- المُتَقَدِّمِ.

ومَعْنَى البَيْت:

كَأَنَّ دِينَ الإسلامِ ضَيْفٌ نَزَلَ ساحةَ كُلِّ سَيِّدٍ مِنَ الصَّحَابةِ شَدِيدِ الشَّهْوَةِ إلَى قَتْلِ أَهْلِ الكُفْرِ وتَمْزِيقِ لُحُومِهم.

وَفِي البَيْتِ مِنَ البَدِيعِ: الجِنَاسُ المُحَرَّفُ بَيْنَ قَوْلِه: «قَرْمٍ» و«قَرِمٍ».

يَجُرُّ بَحْرَ خميسٍ فَوْقَ سابِحَةٍ ... يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الأبطالِ مُلْتَطِمِ
مِنْ كُلِّ مُنْتَدِبٍ للهِ مُحْتَسِبٍ ... يَسْطُو بِمُسْتَأْصِلٍ لِلكُفْرِ مُصْطَلِمِ

«البَحْرُ»: كِنَايَةٌ عَنِ الكَثْرَةِ، و«الخَمِيسُ»: الجَيْشُ؛ سُمِّيَ بذلكَ لِأَنَّه خَمْسُ فِرَقٍ: المُقَدِّمةُ، والقَلْبُ، والمَيْمَنَةُ، والمَيْسَرةُ، والسَّاقَةُ - قالَه في «القامُوسِ»، و«خَيْلٌ سابِحَةٌ»: إذا مَدَّتْ يَدَها لِلجَرْيِ، مأخُوذٌ مِنَ السِّبَاحةِ، وهِيَ العَوْمُ في المَاءِ، و«الأَبْطَالُ»: جَمْعُ «بَطَلٍ»- بفَتْحِ الطَّاءِ، وهُوَ الشُّجَاعُ، و«مَوْجٌ مُلْتَطِمٌ»: أَيْ دَخَلَ بَعْضُه على بَعْضٍ لِكَثْرَتِه.

و«المُنْتَدِبُ»: المُجِيبُ، يُقَالُ: نَدَبَهُ لِكَذَا فانْتَدَبَ، أَيْ دَعَاه فأَجَابَه، و«المُحْتَسِبُ»: مَنْ يُقَدِّمُ الخَيْرَ ويَعدُّه فِيمَا يَدَّخِرُه، و«يَسْطُو»: أَيْ يَصُولُ، و«مُسْتَأْصِلٍ لِلكُفْرِ»: أَيْ يَقْلَعُه مِنْ أَصْلِه، و«الاصْطِلَامُ»: الاستِئْصَالُ، قالَه في «الصِّحَاحِ».

الإعرابُ:

* «يَجُرُّ»:-بضَمِّ الجِيمِ - فِعْلٌ مُضارِعٌ، وفاعلُه مُسْتَتِرٌ فِيه يَعُودُ إلى «الضَّيْفِ»، «بَحْرَ»:- بِسُكُونِ المُهْمَلةِ - مَفْعُولٌ به، «خَمِيسٍ»: بِفَتْحِ الخَاءِ المُعْجَمَةِ - مُضَافٌ إلَيْه.

* «فَوْقَ»: ظَرْفُ مَكَانٍ مَنْصُوبٌ بـ «يَجُرُّ»، «سابِحَةٍ»:- بِمُهْمَلَتَيْنِ بَيْنَهُما باءٌ مُوَحَّدَةٌ مَكْسُورةٌ - مُضَافٌ إلَيْهَا، والمَنْعُوتُ بِهَا مَحْذُوفٌ، تَقدِيرُه: «خَيْلٍ سابِحَةٍ».

* «يَرْمِي»:-بِفَتْحِ اليَاءِ المُثَنَّاةِ التَّحْتِيَّةِ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ، وفاعلُه مُسْتَتِرٌ فِيه يَعُودُ إلى «بَحْرَ»، «بِمَوْجٍ»: جارٌّ ومَجْرُورٌ مُتَعَلِّقٌ بـ «يَرْمِي»، «مِنَ الأَبْطَالِ»: نَعْتُ «مَوْجٍ»، «مُلْتَطِمٍ»:- بِضَمِّ المِيمِ الأُولَى، وفَتْحِ التَّاءِ الفَوْقِيَّةِ، وكَسْرِ الطَّاءِ المُهْمَلةِ - نَعْتٌ ثَانٍ لِـ«مَوْجٍ».

* «مِنْ كُلِّ»:بَدَلٌ «مِنَ الأبطالِ» بإعادةِ «مِنْ»، «مُنْتَدِبٍ»:- بِضَمِّ المِيمِ، وسُكُونِ النُّونِ، وفَتْحِ المُثَنَّاةِ الفَوْقِيَّةِ، وكَسْرِ الدَّالِ المُهْمَلةِ- مُضَافٌ إلَيْه، «للهِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«مُنْتَدِبٍ»، «مُحْتَسِبٍ»:-بِضَمِّ المِيمِ، وسُكُونِ الحَاءِ وكَسْرِ السِّينِ المهمَلَتَيْنِ- نَعْتُ «مُنْتَدِبٍ»، بِكَسْرِ الدَّالِ دُونَ فَتْحِهَا.

* «يَسْطُو»:- بفَتْحِ اليَاءِ المُثَنَّاةِ التحتِيَّةِ، وسُكُونِ السِّينِ، وضَمِّ الطاءِ المُهْمَلتَيْنِ - فِعْلٌ مُضارِعٌ - وفاعلُه مُستَتِرٌ فِيه يَعُودُ إلى «مُنْتَدِبٍ».

* «بِمُستأصِلٍ»: بِضَمِّ المِيمِ، وسُكُونِ السِّينِ المُهْمَلةِ، وفَتْحِ المُثَنَّاةِ الفَوْقِيَّةِ، وسُكُونِ الهَمْزةِ، وكَسْرِ الصَّادِ المُهْمَلةِ - مُتَعَلِّقٌ بـ«يَسْطُو» عَلَى تَقْدِيرِ مُضَافٍ بَيْنَ الجَارِّ والمَجْرُورِ، أيْ «بِسَيْفِ مُستأصِلٍ».

* «لِلكُفْرِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«مُستأصِلٍ» عَلَى تَقْدِيرِ مُضَافٍ بَيْنَ الجَارِّ والمَجْرُورِ، أَيْ «لِأَصْلِ الكُفْرِ».

* «مُصْطَلِمٍ»: بِضَمِّ المِيمِ الأُولَى، وسُكُونِ الصَّادِ وفَتْحِ الطَّاءِ المُهْمَلَتَيْنِ، واللَّامِ- نَعْتُ «مُنْتَدِبٍ».

ومَعْنَى البَيْتَيْنِ:

يَجُرُّ ذلكَ الضَّيْفُ جَيْشًا يَمُوجُ كَمَوْجِ البَحْرِ المُلْتَطِمِ فَوْقَ خَيْلٍ سابِحَةٍ بِكُلِّ فارِسٍ مُنْتَدِبٍ للهِ تعالى، مُحْتَسِبٍ بِعَمَلِه عِنْدَ اللهِ تعالى، يَصُولُ بِسَيْفٍ قاطِعٍ قالِعٍ لِأَصْلِ الكُفْرِ، مُهْلِكٍ لِأَهْلِهِ.

حَتَّى غَدَتْ مِلَّةُ الإِسْلَامِ وَهْيَ بِهِمْ ... مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهَا مَوْصُولَةَ الرَّحِمِ

مَكْفُولَةً أَبَدًا مِنْهُمْ بِخَيْرِ أَبٍ ... وَخَيْرِ بَعْلٍ، فَلَمْ تَيْتَمْ وَلَمْ تَئِمِ

«غَدَتْ»: صَارَتْ، و«المِلَّةُ»: الشَّرِيعَةُ، و«الغَرِيبَةُ»: البَعِيدَةُ عَنْ أَهْلِهَا، و«صِلَةُ الرَّحِمِ»: قُرْبُ ذَوِي الأَرْحَامِ بَعْضِهِم مِنْ بَعْضٍ فِي تَعَاطُفِهم وتَوَاصُلِهم.

و«المَكْفُولُ» الَّذِي يُقَامُ بِحَقِّه، و «الأَبَدُ»: الدَّائِمُ، و «البَعْلُ»: الزَّوْجُ، و «يَتِمَ الصَّبِيُّ- بالكَسْرِ - يَيْتَمُ-بالفَتْحِ-»: إِذَا مَاتَ أَبُوهُ، و «آمَتِ المَرْأَةُ، تَئِيمُ أَيْمَةً وأَيْمًا»: إِذَا خَلَتْ مِنْ زَوْجٍ.

الإعرابُ:

* «حَتَّى»: حَرْفُ ابْتِدَاءٍ، «غَدَتْ»:-بالْغَيْنِ المُعْجَمَةِ- فِعْلٌ ماضٍ ناقِصٌ، «مِلَّةُ»: اسْمُهَا، «الإِسْلَامِ»:مُضَافٌ إِلَيْه.
* «وَهْيَ بِهِمْ»: مُبتَدَأٌ وخَبَرُه، وضَمِيرُ «بِهِمْ»: لِلأبطالِ، والجُمْلَةُ حالٌ مِنْ «مِلَّةُ» مُرْتَبِطٌ بالوَاوِ والضمير.
* «مِنْ بَعْدِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ «غَدَتْ»، «غُرْبَتِهَا»:- بِضَمِّ الغَيْنِ المُعْجَمَةِ، وسُكُونِ الرَّاءِ المُهْمَلَةِ، وفَتْحِ البَاءِ المُوَحَّدَةِ - مُضَافٌ إِلَيْها.
* «مَوْصُولَةَ»:-بالنَّصْبِ- خَبَرُ «غَدَتْ»، «الرَّحِمِ»:- بِكَسْرِ الحَاءِ المُهْمَلَةِ- مُضَافٌ إِلَيْها.
* «مَكْفُولةً»:-بالنَّصْبِ- خَبَرٌ بَعْدَ خَبَرٍ، «أَبَدًا»: ظَرْفُ زَمَانٍ مَنْصُوبٌ بـ «مَكْفُولةً».
* «مِنْهم، بِخَيْرٍ»: مُتَعَلِّقَانِ بـ«مَكْفُولةً»، والضَّمِيرُ لِلأبطالِ، «أَبٍ»: مُضَافٌ إِلَيْه.

* «وخَيْرٍ»:- بالجَرِّ- مَعْطُوفٌ عَلَى «خَيْرٍ» المَجْرُورِ بالبَاءِ، «بَعْلٍ»:- بالمُوَحَّدَةِ والمُهْمَلَةِ - مُضَافٌ إلَيْه.

* «فَلَمْ تَيْتَمْ»:-بِتَاءَيْنِ مُثَنَّاتَيْن مِنْ فَوْقُ مَفْتُوحَتَيْنِ، بَيْنَهُما يَاءٌ مُثَنَّاةٌ تَحْتِيَّةٌ ساكِنَةٌ- جَازِمٌ ومَجْزُومٌ. «وَلَمْ تَئِم»:-بِفَتْحِ المُثَنَّاةِ الفَوْقِيَّةِ، وكَسْرِ الهَمْزَةِ- جازِمٌ ومَجْزُومٌ، مَعطُوفٌ عَلَى ما قَبْلَه.

وَفِيهِ: لَفٌّ ونَشْرٌ لِأَنَّه نَفَى اليُتْمَ مَعَ وُجُودِ الأُبُوَّةِ، ونَفَى التَّأَيُّمَ مَعَ وُجُودِ البُعُولةِ.

ومَعْنَى البيتَيْنِ:

لَمْ يَزَلِ السَّيْفُ قائمًا حَتَّى صَارَتْ مِلَّةُ الإسلامِ مَوْصُولةً بَعْدَ أنْ كانَتْ مَقْطُوعةَ الوصْلةِ، ومَكْفولةً بخَيْرِ أبٍ وخَيْرِ زَوْجٍ وهُوَ النبيُّ ﷺ فلَمْ يَحْصُلْ لَهَا يُتْمٌ مِنْ جَهَةِ الأَبِ، ولا تَأَيُّمٌ مِنْ جِهَةِ الزَّوْجِ لِأَنَّه أبُو المِلَّةِ وبَعْلُها في الشَّفَقةِ عَلَى أَهْلِهَا.

هُـمُ الجِبَـالُ فَسَـلْ عَنْهُـمْ مُصَادِمَهُـمْ ... مـاذَا رَأَى مِنْهُـمُ فِـي كُلِّ مُصْطَـدَمِ

وَسَـلْ حُنَيْنًـا، وسَـلْ بَـدْرًا، وسَـلْ أُحُدًا ... فُصُولُ حَتْـفٍ لَهُـمْ أَدْهَـى مِـنَ الوَخَـمِ

«الجِبَالُ» جَمْعُ «جَبَلٍ»، و«تَصَادَمَ الفارِسَانِ»: إذَا التَقَيَا بأجسادِهما، و«المُصْطَدَمُ»: مَوْضِعُ الاصْطِدَامِ، و«حُنَيْنٌ»: وادٍ قَرِيبٌ مِنَ الطائفِ، بَيْنَه وبَيْنَ مَكَّةَ بِضْعَةَ عَشَرَ مِيلًا، و«بَدْرٌ»: اسمُ ماءٍ بَيْنَه وبَيْنَ المَدِينةِ ثَمانيَةٌ وعِشْرونَ فَرْسَخًا عَلَى طريقِ مَكَّةَ، و«أُحُدٌ»: جَبَلٌ عِنْدَ المَدينةِ الشَّرِيفةِ؛ والمُرَادُ بِهَذِه الأَمْكِنَةِ الثَّلاثةِ الغَزَواتُ عِنْدَها، و«الفُصُولُ»: جَمْعُ «فَصْلٍ»، والمُرَادُ بِهَا هُنَا أَنْوَاعُ الهَلَاكِ، و «الحَتْفُ»: الهَلَاكُ، و«أَدْهَى»: أَفْعَلُ تفضيلٍ مِنَ الدَّاهِيَةِ، و«الوَخَمِ»: الوَبَاءُ.

الإعرابُ:

* «هُمُ الجِبَالُ»:- بالجِيمِ- مُبتَدَأٌ وخَبَرٌ.

* «فَسَلْ»: فِعْلُ أَمْرٍ وفاعلٌ، «عَنْهُم»: مُتَعَلِّقٌ به، «مُصَادِمَهم»:- بِضَمِّ المِيمِ الأُولَى، وفَتْحِ الثَّانِيَةِ، وكَسْرِ الدَّالِ - مَفْعُولٌ به، والضَّمِيرُ لِلأبطالِ.

* «مَا»: اسمُ استِفْهامٍ مُبتَدَأٌ، «ذا»: خَبَرُه، وهُوَ اسمٌ مَوْصُولٌ، «رَأَى»:-بِفَتْحِ الرَّاءِ والهَمْزةِ- صِلَةُ «ذا»، فاعلُه ضَمِيرٌ مُستَتِرٌ فيه يَعُودُ إلى «مُصادِمَهم»، والعائدُ مَحْذُوفٌ، أَيْ رَآه، ويَحْتَمِلُ أنْ تَكُونَ «ماذَا» كَلِمَةً واحِدَةً فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بـ«رَأَى».

* «مِنْهُمُ فِي كُلِّ»:مُتَعَلِّقَانِ بـ «رَأَى»، «مُصْطَدَمِ»:- بِضَمِّ المِيمِ الأُولَى، وسُكُونِ الصَّادِ، وفَتْحِ الطَّاءِ والدَّالِ، المُهْمَلَاتِ- مُضَافٌ إلَيْه.

* «وَسَلْ حُنَيْنًا»: بِضَمِّ الحَاءِ المُهْمَلةِ، وفَتْحِ النُّونِ- فِعْلٌ وفاعِلٌ ومَفْعُولٌ، «وَسَلْ بَدْرًا»:- بِفَتْحِ المُوَحَّدةِ- فِعْلٌ وفاعِلٌ ومَفْعُولٌ، «وَسَلْ أُحُدًا»:-بِضَمِّ الهَمْزَةِ والحَاءِ المُهْمَلةِ- فِعْلٌ وفاعِلٌ ومَفْعُولٌ، والجُمَلُ الثَّلَاثُ مَعْطُوفةٌ عَلَى «سَلْ مُصَادِمَهم»، مِنْ عَطْفِ الخاصِّ عَلَى العَامِّ.

* «فُصُولُ»:- بِضَمِّ الفَاءِ والصادِ المُهْمَلةِ- خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، أَيْ «هِيَ فُصُولُ»، ويَجُوزُ نَصْبُها على البَدَلِيَّةِ مِنَ الأَمْكِنَةِ الثَّلَاثةِ؛ لِأَنَّ المُرَادَ بِهَا زَمَنُ القِتَالِ فِيها.

* «حَتْفٍ»:- بِفَتْحِ الحَاءِ المُهْمَلةِ، وسُكُونِ الفَوْقِيَّةِ- مُضَافٌ إلَيْه، «لَهُمْ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«حَتْفٍ».

* «أَدْهَى»: اسْمُ تَفضِيلٍ، نَعْتُ «حَتْفٍ» «مِنَ الوَخَمِ»:- بِفَتْحِ الوَاوِ والخاءِ المُعْجَمَةِ- مُتَعَلِّقٌ بـ«أَدْهَى».

ومَعْنَى البيتَيْنِ:

هُمُ الأبطالُ الرَّاسِخُونَ في القِتَالِ؛ فاسْأَلْ عُنْهم مَنْ صَادَمَهم فِي الحَرْبِ ما الَّذِي رَآهُ مِنْهُم فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مِنْ مَوَاضِعِ الاصْطِدَام، واسْأَلْ عَنْهم وَقْعَةَ حُنَيْنٍ، ووَقْعَةَ بَدْرٍ، ووَقْعَةَ أُحُدٍ، تُخْبِرْكَ أَنَّها كانَتْ عَلَيْهم فُصُولَ وَبَاءٍ وهَلَاكٍ.

المُصْدِرِي البِيضِ حُمْرًا بَعْدَمَا وَرَدَتْ ... مِنَ العِدَا كُلَّ مُسْوَدٍّ مِنَ اللِّمَمِ
والكاتِبِينَ بِسُمْرِ الخَطِّ، ما تَرَكَتْ ... أَقْلَامُهُمْ حَرْفَ جِسْمٍ غَيْرَ مُنْعَجِمِ

«المُصْدِرِي»: جَمْعُ «مُصْدِرٍ»، مِنْ قَوْلِهم: صَدَرَ عَنِ المَاءِ، أَيْ رَجَعَ عَنْه، وأَصْدَرَ غَيْرَه، فَهُوَ مُصْدِرٌ، و«البِيضِ»: جَمْعُ «أَبْيَضَ»، والمُرَادُ السُّيُوفُ المَصْقُولَةُ، و«حُمْرًا»: جَمْعُ «أَحْمَرَ»، و«الوُرُودُ»: الإِتْيَانُ، و«العِدَا»: اسمُ جَمْعٍ «عَدُوٍّ»، و«مُسْوَدِّ»: اسمُ مَفْعُولٍ مِنَ «اسْوَدَّ» بتَشْدِيدِ الدَّالِ، و«اللِّمَمِ»: جَمْعُ «لِمَّةٍ»، وهِيَ الشَّعْرُ إذا جاوَزَ شَحْمَةَ الأُذُنِ، فإذَا بَلَغَ المَنْكِبَيْنِ فهُوَ جُمَّةٌ.

و«السُّمْرُ»: الرِّماحُ، و«الخَطُّ»: شَجَرٌ يُؤْخَذُ مِنْه خَشَبُ الرِّمَاحِ، واسمُ مَوْضِعٍ باليَمَامَةِ، وهُوَ «خَطُّ هَجَرَ»، تُجْلَبُ إلَيْه الرِّمَاحُ مِنَ الهِنْدِ فتُقَوَّمُ بِه، وإلَيْهِ تُنْسَبُ الرِّمَاحُ الخَطِّيَّةُ، و«الأَقْلَامُ»: جَمْعُ «قَلَمٍ»، والمُرَادُ أَسِنَّةُ الرِّمَاحِ، و«الحَرْفُ»: الطَّرَفُ، و«المُنْعَجِمُ»: مِنْ «أَعْجَمْتُ الكِتَابَ»: نَقَطْتُه، وحَقِيقَةُ اللَّفظِ: «أَزَلْتُ عَنْه العُجْمَةَ».

الإعرابُ:

* «المُصْدِرِي»:-بِضَمِّ المِيمِ، وسُكُونِ الصَّادِ وكَسْرِ الدَّالِ المُهْمَلَتَيْنِ - بالجَرِّ نَعْتُ «الأبطالِ» في البَيْتِ السَّادِسِ قَبْلَه، وحُذِفَتِ النُّونُ لِلإِضَافَةِ، «البيضِ»: مُضَافٌ إلَيْها، «حُمْرًا»:- بِضَمِّ الحَاءِ - حالٌ مِنَ «البِيضِ».
* «بَعْدَ»:ظَرفُ زَمَانٍ مَنْصُوبٌ بـ«المُصْدِرِي»، «ما»: مَصْدَرِيَّةٌ، «وَرَدَتْ»: صلتها، «مِنَ العِدَا» - بِكَسْرِ العَيْنِ وضَمِّها - مُتَعَلِّقٌ بـ«وَرَدَتْ».
* «كُلَّ»: مَفْعُولُ «وَرَدَتْ»، «مُسْوَدِّ»:- بِضَمِّ المِيمِ، وسُكُونِ السِّينِ، وفَتْحِ الوَاوِ، وتَشْدِيدِ الدَّالِ- مُضَافٌ إلَيْه، «مِنَ اللِّمَمِ»:-بِكَسْرِ اللَّامِ، وفَتْحِ المِيمِ الأُولَى- نَعْتُ «مُسْوَدِّ».
* «والكَاتِبِينَ»: مَعْطُوفٌ عَلَى «المُصْدِرِي»، «بسُمْرِ»:-بِضَمِّ السِّينِ المُهْمَلَةِ، وسُكُونِ المِيمِ- مُتَعَلِّقٌ بـ«الكاتِبِينَ»، «الخَطِّ»:- بالخَاءِ المُعْجَمَةِ، والطَّاءِ المُهْمَلَةِ - مُضَافٌ إلَيْه.
* «ما»: نافِيَةٌ، «تَرَكَتْ أَقْلَامُهم»: فِعْلٌ وفاعِلٌ، «حَرْفَ»:- بِفَتْحِ الحَاءِ وسُكُونِ الرَّاءِ المُهْمَلَتَيْنِ - مَفْعُولٌ به، «جِسْمٍ»: بِكَسْرِ الجِيمِ- مُضَافٌ إلَيْه، «غَيْرَ»:-بالنَّصْبِ- نَعْتُ «حَرْفَ»، «مُنْعَجِمِ»: بِضَمِّ المِيمِ، وسُكُونِ النُّونِ، وفَتْحِ العَيْنِ المُهْمَلَةِ، وكَسْرِ الجِيمِ - مُضافٌ إلَيْه.

ومَعْنَى البيتَيْنِ:

الرَّاجِعِينَ أسيافَهم المَصْقُولةَ حُمْرًا مِنْ دَمِ القَتْلَى بَعْدَمَا وَرَدَتْ كُلَّ شَعْرٍ أَسْوَدَ، وطَعَنَتِ الرِّمَاحُ الخَطِّيَّةُ كُلَّ جِسْمٍ؛ فَلَمْ تَتْرُكْ طَرَفًا مِنْه بِلَا أَثَرِ طَعْنَةٍ.

وفي البَيْتِ الأَوَّلِ: الجَمْعُ بَيْنَ الصُّدورِ والوُرُودِ وهُوَ نَوْعٌ مِنَ المُطَابَقَةِ، والجَمْعُ بَيْنَ البَيَاضِ والحُمْرَةِ، والسَّوَاد وهُوَ مُراعَاةُ النَّظِيرِ.

شَـاكِي السِّـلَاحِ لَهُـمْ سِـيمَا تُمَيِّزُهُـمْ ... والـوَرْدُ يَمْتَـازُ بالسِّـيمَا مِـنَ السَّـلَمِ

تُهْـدِي إِلَيْـكَ رِيَـاحُ النَّصْـرِ نَشْـرَهُمُ ... فَتَحْسَـبُ الزَّهْـرَ فِي الأَكْمَـالِ كُلَّ كَمِي

«شَاكِي»: مِنَ الشَّوْكَةِ، وهِيَ الحِدَّةُ والشِّدَّةُ، يُقَالُ: رَجُلٌ شَاكِي السِّلَاحِ، أَيْ حَادُّه، و«السِّلَاحِ»: آلَةُ الحَرْبِ، و«السِّيمَا»: العَلَامَةُ، «تُمَيِّزُهم»: أيْ تُعَيِّنُهم عَنْ غَيْرِهم، و«السَّلَمِ»: شَجَرٌ لَه شَوْكٌ يُشْبِهُ شَجَرَ الوَرْدِ، ويَمْتَازُ الوَرْدُ عَنْه بِحُسْنِ الخِلْقَةِ، وبَهَاءِ المَنْظَرِ، وطِيبِ الرَّائحةِ، ويَمْتَازُ مِنَ النَّوْرِ؛ فإنَّ شَجَرَ الوَرْدِ نَوْرُه أَحْمَرُ غَالِبًا، والسَّلَمَ نَوْرُه أَصْفَرُ.

و «الهَدِيَّةُ»: اسمُ ما يُهْدَى بِه، و «الرِّيَاحُ»: جَمْعُ «رِيحٍ»، و«النَّصْرِ»: التأييدُ وقَهْرُ الأَعْدَاءِ، و «النَّشْرُ»: الرائحةُ الطَّيِّبَةُ، و «تَحْسَبُ»: تَظُنُّ، و «الأَكْمَامِ»: جَمْعُ «كِمٍّ» - بِكَسْرِ الكَافِ، وهُوَ الغِلَافُ الّذِي يَكُونُ عَلَى الزَّهْرِ، وإنَّمَا خَصَّ الزَّهْرَ فِي أكمامِه لِكَوْنِه أَعْظَمَ رائحةً، وأَحْسَنَ مَنْظَرًا، و «الكَمِيُّ»: الرَّجُلُ الشُّجَاعُ الّذي يَكْمِي جَسَدَه بالسِّلاحِ، أَيْ يَسْتُرُه.

* «شاكِي»: مَنْصُوبٌ عَلَى الحالِ مِنَ «الأبطالِ»؛ لِأَنَّه صِفَةٌ مُضافةٌ إلى مَعْمُولِها وإضافَتُها لا تُفِيدُ التعريفَ، والأَصْلُ: «شاكِينَ»، حُذِفَتِ النُّونُ لِلإضافةِ[1]، «السِّلَاحِ»: مُضَافٌ إلَيْه.

* «لَهُمْ»: خَبَرٌ مُقَدَّمٌ، والضَّمِيرُ لِلأبطالِ، «سِيمَا»:- بكَسْرِ السِّينِ المُهْمَلةِ، وسُكُونِ

(1) جمع سلامة لـ «شاكي» وأصله «شائك» حدث فيه قلب مكاني قدمت لامه على عينه؛ فوزنه «فالع».

اليَاءِ المثُنَّاةِ التحتيَّةِ، والقَصْرِ[1] - مُبتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ، «تُمَيِّزُهم»:- بِضَمِّ التَّاءِ الفوْقيَّةِ، وكَسْرِ التَّحتيَّةِ المُشَدَّدةِ، وبالزَّاي - فِعْلٌ وفاعلٌ ومفعولٌ، نَعْتُ «سِيمَا».

* «والوَرْدُ»:-بِفَتْحِ الوَاوِ- مبتدأٌ، «يَمْتَازُ»:- بالزَّاي - خَبَرُه، «بالسِّيمَا»: مُتَعَلِّقٌ بـ«يَمْتَازُ»، «مِنَ السَّلَمِ»:-بِفَتْحِ السِّينِ المُهْمَلةِ واللَّام - مُتَعَلِّقٌ بـ «يَمْتَازُ» أَيْضًا.

* «تُهْدِي»: بِضَمِّ التَّاءِ الفَوْقيَّةِ، وسُكُونِ الهَاءِ، وكَسْرِ الدَّالِ -مُضَارِعُ «أَهْدَى»، «إِلَيْكَ»: مُتَعَلِّقٌ بـ «تُهْدِي».

* «رِيَاحُ»: بالمُثَنَّاةِ التحتيَّةِ - فاعلُ «تُهْدِي»، «النَّصْرِ»: مُضَافٌ إِلَيْه.

* «نَشْرَهُمُ»:- بِفَتْحِ النُّونِ، وسُكُونِ الشِّينِ المُعْجَمةِ، وفَتْحِ الرَّاءِ المُهْمَلةِ، وضَمِّ الهَاءِ والمِيمِ - مَفْعُولُ «تُهْدِي».

* «فَتَحْسَبُ»: فِعْلٌ مُضَارِعٌ يَتَعَدَّى إلى اثْنَيْنِ، «الزَّهْرَ»:-بالزَّاي- مَفْعُولُه الأَوَّلُ، «فِي الأَكْمَامِ»:-بِفَتْحِ الهَمْزةِ- حالٌ مِنَ «الزَّهْرَ»، أَوْ نَعْتٌ له؛ لِأَنَّه مَعَرَّفٌ بـ «أَلِ» الجِنْسِيَّةِ.

* «كُلَّ»: مَفْعُولٌ ثانٍ لِـ «تَحْسَبُ»، «كَمِي»:- بِفَتْحِ الكَافِ، وكَسْرِ المِيمِ - مُضَافٌ إِلَيْه، وهُوَ مِنْ بَابِ القَلْبِ، والأَصْلُ: فتَحْسَبُ كُلَّ كَمِيٍّ الزَّهْرَ فِي الأكمامِ.

ومَعْنَى البيتَيْنِ:

والأبطالُ في حالِ كَوْنِهم شاكِي السِّلَاحِ لَهُم بذلكَ عَلَامةٌ تُمَيِّزُهم مِنْ غَيْرِهم كَمَا يَمْتَازُ الوَرْدُ مِنَ السَّلَمِ بِعَلَامةٍ؛ وَهِيَ طِيبُ الرَّائحةِ، وبَهَاءُ المَنْظَرِ، وحُسْنُ الخَلْقِ. تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَاحُ النَّصْرِ خَبَرَهم الطَّيِّبَ، فتَظُنُّ أنتَ كُلَّ كَمِيٍّ مِنْهم في استِتَارِه بِسِلَاحِه كَأَنَّه الزَّهْرُ فِي استِتَارِه بأكمامِه؛ لِأَنَّه في أكمامِه أَحْسَنُ مَنْظَرًا وأَطْيبُ رائحةً مِنْه خارِجَ أكمامِه. وفي قَوْلِه «الأَكْمَامِ» و«كَمِي»: الجِنَاسُ الشَّبِيهُ بالمُشْتَقِّ.

---

(1) «سِيمَا»: مقلوب «وِسْمَى»، مشتقة من الوَسْم، قدمت عين الكلمة على فائها فصارت «سِوْمَى»، فقلبت الواو ياء؛ لوقوعها ساكنة غير مشددة بعد كسرة، ويجوز فيها القَصر والمد.

كَأَنَّهُمْ فِي ظُهُورِ الخَيْلِ نَبْتُ رُبًا ... مِنْ شِدَّةِ الحَزْمِ لا مِنْ شَدَّةِ الحُزُمِ

طَارَتْ قُلُوبُ العِدَا مِنْ بَأْسِهِم فَرَقًا ... فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ البَهْمِ والبُهَمِ

«الخَيْلِ»: اسمُ جَمْعٍ، واحِدُه في المَعْنَى «فَرَسٌ»، و «رُبًا»: جَمْعُ «رَبْوَةٍ»، بِضَمِّ الرَّاءِ وفَتْحِها وكَسْرِها؛ المُرْتَفِعُ مِنَ الأَرْضِ، «الحَزْمِ»:- بالسُّكُونِ- ضَبْطُ الأَمْرِ وقُوَّةُ الثَّبَاتِ، و «الحُزُمِ»:- بِضَمَّتَيْنِ - جَمْعُ «حِزَامٍ» - مِثْلُ كُتُبٍ وكِتَابٍ؛ وهُوَ ما يُشَدُّ به السَّرْجُ أَوْ غَيْرُه عَلَى ظَهْرِ الدَّابَّةِ. و«طَارَت»: أَيِ اضْطَرَبَتْ، و «بأسِهِم»: شِدَّتُهم في الحَرْبِ، و «فَرَقًا»: أَيْ خَوْفًا، و «البَهْم»: بفَتْحِ البَاءِ، وسُكُونِ الهَاءِ- جَمْعُ «بَهْمَةٍ»، وهِيَ السَّخْلَةُ، و «البُهَمِ»:- بِضَمِّ البَاءِ، وفَتْحِ الهَاءِ - جَمْعُ «بُهْمَةٍ» - بِضَمِّ البَاءِ، وسُكُونِ الهَاءِ؛ وهُوَ الشُّجَاعُ الَّذِي لا يُدْرَى مِنْ أَيْنَ يُؤْتَى فِي الحَرْبِ لِشِدَّةِ بَأْسِه.

الإعرابُ:

* «كَأَنَّهُمْ»: كَأَنَّ واسمُها، «فِي ظُهُورِ»: حالٌ مِنَ اسمِ «كَأَنَّ»، «الخَيْلِ»:-بفَتْحِ الخَاءِ المُعْجَمَةِ -مُضَافٌ إِلَيْه، «نَبْتُ»:-بِفَتْحِ النُّونِ، وسُكُونِ المُوَحَّدَةِ - خَبَرُ «كَأَنَّ»، «رُبًا»:- بِضَمِّ المُهْمَلَةِ، وفَتْحِ المُوَحَّدَةِ، والقَصْرِ - مُضَافٌ إِلَيْه.
* «مِنْ شِدَّةِ»: بِكَسْرِ الشِّينِ المُعْجَمَةِ - مُتَعَلِّقٌ بـ «كَأَنَّ» لِمَا فِيها مِنْ مَعْنَى التشبيهِ، «الحَزْمِ»:-بِفَتْحِ الحَاءِ المُهْمَلَةِ، وسُكُونِ الزَّايِ - مُضَافٌ إِلَيْه.
* «لا مِنْ شَدَّةِ»:- بِفَتْحِ الشِّينِ المُعْجَمَةِ - المَرَّةُ مِنَ الشَّدِّ، مَعْطُوفٌ عَلَى الجَارِّ والمَجْرُورِ قَبْلَه[1]، «الحُزُمِ»:-بِضَمِّ الحَاءِ المُهْمَلَةِ والزَّايِ - مُضَافٌ إِلَيْها.
* «طَارَتْ قُلُوبُ»: فِعْلٌ وفاعِلٌ، جُمْلَةٌ مستأنَفَةٌ، «العِدَا»:- بِكَسْرِ العَيْنِ المُهْمَلَةِ، والقَصْرِ - مُضَافٌ إِلَيْه، «مِنْ بَأْسِهِم»: مُتَعَلِّقٌ بـ«طَارَتْ»، «فَرَقًا»: بِفَتْحِ الفَاءِ والرَّاءِ والقافِ- مَفْعولٌ لِأَجْلِه.

(1) «لا» حرف عطف يفيد نفي الحكم عن المعطوف بعد ثبوته للمعطوف عليه، والجار والمجرور بعده معطوفان به على الجار والمجرور قبله.

* «فَمَا»: حَرْفُ نَفْيٍ، «تُفَرِّقُ»:- بِضَمِّ التَّاءِ الفَوْقِيَّةِ، وفَتْحِ الفَاءِ، وكَسْرِ الرّاءِ المُشَدَّدةِ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ، وفاعلُه مُسْتَتِرٌ فيه يَعُودُ إلى «قُلُوبُ العِدَا».

* «بَيْنَ»: ظَرْفُ مَكَانٍ مَنْصُوبٌ بـ«تُفَرِّقُ»، «البَهْمِ»:-بِفَتْحِ المُوَحَّدةِ، وسُكُونِ الهَاءِ- مُضَافٌ إلَيْه، «والبُهَمِ»:- بِضَمِّ المُوَحَّدةِ، وفَتْحِ الهَاءِ - مَعْطُوفةٌ عَلَى «البَهْمِ».

ومَعْنَى البيْتَيْنِ:

كَأَنَّهُم فِي ثَبَاتِهِمْ عَلَى ظُهُورِ الخَيْلِ مِثْلُ ثَبَاتِ نَبْتِ الرُّبَا، ونَبْتُها أَثْبَتُ فِي الأَرْضِ مِنْ نَبْتِ غَيْرِها لِطُولِ عُرُوقِه حَتَّى تَصِلَ إِلَى المَاءِ بِخِلَافِ نَبْتِ غَيْرِها، وثَبَاتُهم عَلَى ظُهُورِ الخَيْلِ مِنْ شِدَّةِ حَزْمِهم لا مِنْ شَدِّ الحِزَامِ عَلَى السَّرْجِ.

واضطَرَبَتْ قُلُوبُ الأَعَادِي مِنْ ثَبَاتِهم فِي الحَرْبِ خَوْفًا مِنْهم؛ حَتَّى صارَتْ مِنَ الخَوْفِ لا تُفَرِّقُ مِنْ دَهْشَتِها بَيْنَ سِخَالِ الغَنَمِ وشُجْعَانِ الفُرْسَانِ.

وَفِي البَيْتِ الأَوَّلِ مِنَ البَدِيعِ: الجِنَاسُ المُحَرَّفُ بَيْنَ قَوْلِه: «شِدَّةِ» و «شَدَّةِ»، الأُولَى بالكَسْرِ، وهِيَ القُوَّةُ، والثَّانِيَةُ بالفَتْحِ، وهِيَ المَرَّةُ مِنَ الشَّدِّ، وهُوَ الرَّبْطُ، وبَيْنَ قَوْلِه: «الحَزْمِ» و «الحُزُمِ»، وفي البَيْتِ الثَّانِي: الجِنَاسُ المُحَرَّفُ أَيْضًا فِي قَوْلِه: «بَهْم، وبُهَم»، والجِنَاسُ الشَّبِيهُ بالمُشْتَقِّ في قَوْلِه: «فَرَقًا» و «تُفَرِّقُ».

ثُمَّ أَخَذَ يُبِينُ السَّبَبَ المُوصِلَ إلى ذلكَ، فقالَ:

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللهِ نُصْرَتُهُ ... إِنْ تَلْقَهُ الأُسْدُ فِي آجَامِهَا تَجِمِ

وَلَنْ تَرَى مِنْ وَلِيٍّ غَيْرِ مُنْتَصِرٍ ... بِهِ ولا مِنْ عَدُوٍّ غَيْرِ مُنْقَصِمِ

«النُّصْرَةُ»: التَّأْيِيدُ، و«الأُسْدُ»: جَمْعُ «أَسَدٍ»، وهُوَ الحَيَوانُ المُفْتَرِسُ، و«الآجَامُ»: جَمْعُ «أَجَمَةٍ»، وهِيَ الغابَةُ، و«تَجِمِ»: مُضارِعُ «وَجَمَ»، إِذَا أَمْسَكَ عَنِ الكَلَامِ وغيْرِه لِخَوْفٍ أَوْ هَيْبَةٍ أَوْ غَيْرِهِما، و«تَرَى»: تُبْصِرُ، و«مِنْ وَلِيٍّ»: أَيْ صَدِيقٍ، و«المُنْتَصِرُ»: المُنْتَقِمُ، و«المُنْقَصِمُ» بالقَافِ: المُنْكَسِرُ المَقْطُوعُ، وبالفَاءِ: بِلَا قَطْعٍ، والرِّوَايَةُ بالقَاف.

الإعرابُ:

* «وَمَنْ»:-بِفَتْحِ المِيمِ - اسمُ شَرْطٍ، مُبْتَدَأٌ، «تَكُنْ»:-بالفَوْقِيَّةِ والتحتيّةِ- فِعْلُ الشَّرْطِ خَبَرُ «مَنْ»، فَهِيَ عامِلَةٌ فِي لَفْظِه الجَزْمَ، وفي مَحَلِّ الجُمْلةِ الرَّفْعَ، «بِرَسُولِ اللهِ»: خَبَرُ «تَكُنْ» مُقَدَّمٌ عَلَى اسمِها، إنْ قُرِئَ «تَكُنْ» بالفَوْقِيَّةِ، «نُصْرَتُه»: اسمُ «تَكُنْ» مُؤَخَّرٌ، وإنْ قُرِئَ «يَكُنْ» بالتَّحْتِيَّةِ فاسمُها مُسْتَتِرٌ فِيه يَعُودُ إلى «مَنْ» الشَّرْطِيَّةِ، و«نُصْرَتُه»: مُبْتَدأٌ، خَبَرُه في المَجرورِ قَبْلَه، والجُملةُ خَبَرُ «يَكُنْ».

* «إنْ»:-بِكَسْرِ الهَمْزةِ، وسُكُونِ النُّونِ- حَرْفُ شَرْطٍ، «تَلْقَه»: فِعْلُ الشَّرْطِ، وعَلَامَةُ جَزْمِه حَذْفُ الأَلِفِ، والهاءُ يَعُودُ إلَى «مَنْ» الشَّرْطِيّةِ، «الأُسْدُ»:-بِضَمِّ الهَمْزةِ، وسُكُونِ السِّينِ - فاعلُ «تَلْقَه».

* «فِي آجَامِها»:- بِمَدِّ الهَمْزةِ وبالجِيمِ - حالٌ مِنَ «الأسْدُ».

* «تجِمِ»:-بِفَتْحِ التَّاءِ الفَوْقِيّةِ، وكَسْرِ الجِيمِ - جَوَابُ «إنْ»، و«إنْ» وجَوَابُها جَوَابُ «مَنْ».

* «وَلَنْ»: حَرْفُ نَفْيٍ، «تَرَى»: مَنْصُوبٌ بـ«لَنْ»، وعَلَامةُ نَصْبِه فَتْحَةٌ مُقَدَّرةٌ عَلَى الأَلِفِ، وفاعلُه ضَمِيرُ المُخاطَبِ.

* «مِنْ وَلِيٍّ»: مَفْعُولُ «تَرَى» و«مِنْ»: زائدةٌ في المَفعُولِ به، «غَيْرِ»: بالجَرِّ نَعْتُ «وَلِيٍّ» عَلَى لَفْظِهِ، وبالنَّصْبِ عَلَى مَحَلِّه إنْ كانَتْ «تَرَى» بَصَرِيّةً، وإنْ كانَتْ عِلْمِيّةً فهِيَ المَفْعُولُ الثَّانِي، «مُنْتَصِرٍ»:- بِكَسْرِ الصَّادِ - مُضَافٌ إلَيْه، «بِهِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«مُنْتَصِرٍ»، والضمِيرُ لِلنَّبِيِّ ﷺ.

* «ولا»:حَرْفُ نَفْيٍ، «مِنْ عُدُوٍّ»: مَعْطُوفٌ عَلَى «مِنْ وَلِيٍّ»، «غَيْرِ»: نَعْتُ «عَدُوٍّ»، وفِيهَا ما تَقَدَّمَ، «مُنْقَصِمِ»:- بِضَمِّ المِيمِ، وفَتْحِ القَافِ، وكَسْرِ الصادِ - مُضَافٌ إلَيْه.

ومَعْنَى البيتَيْنِ:

ومَنْ تَكُنْ نُصْرَتُه وتأييدُه بإعانةِ رَسولِ اللهِ ﷺ فهُوَ المنتصِرُ، ولَوْ لَقِيَتْه السِّبَاعُ في غاباتِها - التي هِيَ أَشَدُّ فِيها بالوُثُوبِ مِنْ غَيْرِها - سَكَنَتْ وخَضَعَتْ له؛ فلِذَلكَ لا تُبْصِرُ وَلِيًّا صَدِيقًا مُسْلِمًا إلّا وهُوَ به مَنصُورٌ، ولا تُبْصِرُ عَدُوًّا كافِرًا إلّا وهُوَ به مُنقَصِمٌ مَقْهُورٌ.

ولا يَخْفَى ما فِيه مِنَ المُوازَنةِ والتَّكْرِيرِ.

أَحَـلَّ أُمَّتَـه فِـي حِـرْزِ مِلَّتِـهِ كاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الأَشْبَالِ فِي أَجَمِ

«أَحَلَّ»: أَنْزَلَ، «أُمَّتَه»: أَيْ أُمَّةَ الإجابةِ، «في حِرْز»: حِصْنٍ حَصِينٍ، و«المِلَّةُ»: الدِّينُ الذِي أُمْلِيَ مِنَ السَّماءِ، وهُوَ دِينُ الإسلامِ، و«اللَّيْثِ»: الأَسَدُ، و«الأَشْبَالِ»: جَمْعُ «شِبْلٍ»؛ وهُوَ وَلَدُ الأَسَدِ، و«أَجَمِ»:-بِفَتْحَتَيْنِ- جَمْعُ «أَجَمَةٍ»؛ وهِيَ الغابَةُ.

الإعرابُ:

* «أَحَلَّ»:- بِفَتْحِ الهَمزةِ والحاءِ المُهْمَلَةِ - فِعْلٌ ماضٍ، وفاعِلُه ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ فِيه يَعُودُ إلى النبيِّ ﷺ، «أُمَّتَه»: مَفْعُولُ «أَحَلَّ».
* «فِي حِرْزِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«أَحَلَّ»، «مِلَّتِه»: مُضَافٌ إلَيْهَا.
* «كاللَّيْثِ»: في مَوْضِعِ الحالِ مِنْ فاعِلِ «أَحَلَّ» المُسْتَتِرِ فِيه، «حَلَّ»: فِعْلٌ ماضٍ، وفاعِلُه ضَمِيرُ «اللَّيْثِ» المستَتِرُ فِيه، والجُملةُ حالٌ مِنَ «اللَّيْثِ».
* «مَعَ»:-بفَتْحِ العَيْنِ وكَسْرِها - مُتَعَلِّقٌ بـ «حَلَّ»، «الأَشْبَالِ»: بِفَتْحِ الهَمْزةِ- مُضَافٌ إلَيْها، «فِي أَجَمِ»:-بِفَتْحِ الهَمْزةِ والجِيمِ - حالٌ مِنَ «الأَشْبَالِ».

ومَعْنَى البيتِ:

أَنْزَلَ النبيُّ ﷺ أُمَّتَه في حِرْزِ دينِه الحَصينِ مِنْ نارِ الكُفْرِ كَمَا يَنْزِلُ اللَّيْثُ مَعَ أَوْلادِه فِي الغابةِ لِلتَّحْصِينِ مِنْ عَدُوٍّ يَطْرُقُهم. والتشبيهُ بالأَسَدِ في السُّلْطَةِ، وكَمَالِ الشَّجَاعةِ، ورِفْعَةِ الهِمَّةِ، وشِدَّةِ البَطْشِ لَمِنْ يَتَمَرَّدُ عَلَيْه، وعَدَمِ التَّعَرُّضِ لِمَنَ يَتَذَلَّلُ له، والشَّفَقَةِ على أَتْبَاعِه.

وشَبَّهَ الأُمَّةَ بالأَشْبَالِ لِأَنَّه ﷺ أَصْلُهم فِي الإِسْلَامِ، وأزواجَه أُمَّهاتُهم وسَبَبُ حياتِهم الحقيقيةِ، ومِنْه نَشْؤُهم.

كَـمْ جَدَّلَـتْ كَلِمَـاتُ اللهِ مِـنْ جَـدِلٍ فيـه وكَـمْ خَصَـمَ البرهـانُ مِـن خَصـم

«الجَدَالَةُ» وَجْهُ الأَرْضِ، وجَدَّلَه: أَوْقَعَه عَلَى الجَدَالَةِ، و«كَلِمَاتُ اللهِ»: القُرْآنُ، و«الجَدِلُ»- بِكَسْرِ الدَّالِ المُهْمَلةِ - كَثِيرُ الجِدَالِ، أَي الخُصومةِ، و«خَصَمَ»:- بِفَتْحِ الخَاءِ والصّادِ - غَلَبَ فِي الخِصَامِ، و«البُرْهانُ»: الدَّلِيلُ القَاطِعُ، و«الخَصِمُ»:- بكَسْرِ الصّادِ- الأَلَدُّ الشديدُ الخِصَامِ.

الإعرابُ:

* «كَمْ»: خَبَرِيّةٌ، مَوْضِعُهَا نَصْبٌ عَلَى المَصْدَرِيَّةِ أَوِ الظرفيّةِ، «جَدَّلَتْ»:-بفَتْحِ الجِيمِ والدّالِ المُهْمَلةِ المُشَدَّدةِ - فِعْلٌ ماضٍ وتَاءُ تأنِيثٍ.

* «كَلِمَاتُ اللهِ»: فاعلُ «جَدَّلَتْ» ومُضَافٌ إِلَيْه، «مِنْ جَدِلٍ»:- بِفَتْحِ الجِيمِ، وكَسْرِ الدّالِ المُهْمَلةِ - مَفْعُولُ «جَدَّلَتْ» و«مِنْ» زائدةٌ[1]، «فِيه»: مُتَعَلِّقٌ بـ«جَدِلٍ»؛ لِأَنَّه صِفَةٌ مُشَبَّهةٌ، والهاءُ لِلنَّبِيّ ﷺ.

* «وكَمْ»: خَبَرِيَّةٌ مَعْطوفةٌ عَلَى «كَمْ» المُتَقَدِّمةِ.

* «خَصَمَ»:- بِفَتْحِ الخَاءِ المُعْجَمَةِ والصَّادِ المُهْمَلةِ المُخَفَّفةِ - فِعْلٌ ماضٍ، «البُرْهَانُ»:- بِضَمِّ المُوَحَّدةِ - فاعلُه، «مِنْ خَصِمٍ»:- بِفَتْحِ الخَاءِ المُعْجَمةِ، وكَسْرِ الصَّادِ المُهْمَلةِ - مَفْعُولُ «خَصَمَ»، و«مِنْ» : زائدةٌ، وتَمْيِيزُ «كَمْ» في المَوْضِعَيْنِ مَحْذُوفٌ.

(1) زيادة «من» عند جمهور البصريين لابد أن يسبقها نفي أو شبهه، والكلام مع «كم» الخبرية إيجاب، أما عند الكوفيين وأبي الحسن الأخفش والكسائي فتجوز زيادة «من» في الإيجاب، فإعراب الشارح موافق لرأي الكوفيين ومن قال بقولهم، أما التوجيه على رأي البصريين فـ«كم» مفعول به مقدم للفعل «جدَّلت» لأنه لم يستوفِ مفعوله إلا بها، و «من جدل» تمييز «كم».

ومَعْنَى البيتِ:

كَمْ مَرَّةٍ رَمَتْ الَى الأرْضِ - فِي المُجَادَلَةِ - آياتُ اللهِ تعالى - الَّتِي أتَى بِهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ تعالى - شَخْصًا كَثِيرَ الجدَالِ، وكَمْ مَرَّةٍ غَلَبَ الدَّلِيلُ القاطِعُ شَخْصًا كَثِيرَ الخِصَامِ.

وفِيهِ: الجِنَاسُ الشَّبِيهُ بالمُشْتَقِّ.

كَفَـاكَ بالْعِلْـمِ فِـي الأُمِّـيِّ مُعْجِـزَةً فِـي الجَاهِلِيَّـةِ والتأديـبِ فِـي اليُتُـمِ

«الأُمِّيِّ» مَنْسُوبٌ إلى «الأُمِّ»، كَأنَّه بَاقٍ عَلَى أَصْلِ الخِلْقَةِ، وهُوَ فِي العُرْفِ: مَنْ لا يَعْرِفُ الكِتَابةَ، ولَمْ يَقْرأْ مِنَ الخَطِّ، ولَمْ يَتَعَلَّمْ بِطَرِيقِ العادَةِ مِنْ مُعَلِّمٍ، و«الجاهليّة»: عِبَارَةٌ عَنْ زَمَانٍ لا عِلْمَ فِيهِ، و«التأديبِ»: مَصْدَرُ «أَدَّبَه»، والأَدَبُ: ما يَحْصُلُ لِلنَّفْسِ مِنَ الأَخْلَاقِ الحَسَنَةِ، ومَا يَحْصُلُ مِنَ العُلُومِ المُكْتَسَبةِ، و«اليُتُمِ»: مَصْدَرُ «يَتِمَ»؛ فهُوَ يَتِيمٌ، إذا مَاتَ أَبُوه وهُوَ صَغِيرٌ.

الإعرابُ:

* «كَفَاكَ»: فِعْلٌ ماضٍ ومَفْعُولٌ، «بالعِلْمِ»: فاعلُ «كَفَاكَ»، والبَاءُ زائدةٌ. «في الأُمِّيِّ»: حالٌ مِنَ «العِلْمِ»، «مُعْجِزَةً»: تَمييزٌ، «فِي الجاهِلِيّةِ»: مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ، حالٍ مِنَ «العِلْمِ».
* «والتأدِيبِ»: بالجَرِّ؛ عَطْفًا على لَفْظِ «العِلْمِ»، وبالرَّفْعِ؛ عَطْفًا عَلَى مَحَلِّهِ، والأَوَّلُ هُوَ الرِّوَايَةُ، «فِي اليُتُمِ»:- بِضَمِّ التَّاءِ الفَوْقِيَّةِ عَلَى لُغَةٍ، لا تَبَعًا لِلتحتيَّةِ - حالٌ مِنَ «التأديبِ».

ومَعْنَى البَيْتِ:

كَفَاكَ - أَيُّهَا المُخاطَبُ - بالعِلْمِ الذِي جاءَ به النبيُّ ﷺ مُعْجِزةً له مَعَ كَوْنِهِ أُمِّيًّا لا يَقْرَأُ ولا يَكْتُبُ، ومَوْلُودًا جاءَ فِي زَمَنِ الجاهِلِيّةِ الَّذِينَ لا عِلْمَ عِنْدَهم يَكْتَسِبُه مِنْهم، وكَفَاكَ بالتَّأْدِيبِ الحاصِلِ مِنْه مُعْجِزَةً لِكَوْنِه مِنْ غَيْرِ مُؤَدِّبٍ مَعَ أَنَّه رُبِّيَ يَتِيمًا لا أَبَ له يُؤَدِّبُه.

الفصل التاسع في التوسل برسول الله ﷺ

خَدَمْتُـهُ بِمَدِيـحٍ أَسْـتَقِيلُ بِـهِ ذُنُـوبَ عَمْـرٍ مَضَى فِي الشِّـعْرِ والخِـدَمِ
إِذْ قَلَّدَانِـيَ مـا تُخْشَـى عَوَاقِبُـهُ كَأَنَّنِـي بِهِمَـا هَـدْيٌ مِـنَ النَّعَـمِ

«خَدَمْتُه»: أَيْ مَدَحْتُه، والهَاءُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، و«المَدْحُ»: عَدُّ الفضائلِ وبَيَانُها، و«المَدِيحُ»: اسمٌ لِمَا يُمْدَحُ بِهِ مِنَ الثَّنَاءِ الحَسَنِ، و«أَسْتَقِيلُ»: أَطْلُبُ الإقالةَ، و«الذُّنُوبُ»: جَمْعُ «ذَنْبٍ»، وهِيَ الجَرَائمُ، و«عُمْرُ الإنسانِ»: مُدَّةُ حَيَاتِه، و«مَضَى»: أَيْ ذَهَبَ وقارَبَ الفَرَاغَ، و«الشِّعْرِ»: الكَلَامُ المَوْزُونُ مِنْ أَيِّ بَحْرٍ كانَ، و«الخِدَمِ»: جَمْعُ «خِدْمَةٍ»، وهِيَ ما يُتَقَرَّبُ به إلى الغَيْرِ، و«قَلَّدَانِيَ»: مِنْ «قَلَّدْتُه الأَمْرَ»، أَيْ جَعَلْتُه كالقِلَادةِ فِي عُنُقِه، و«الخَشْيَةُ»: الخَوْفُ، و«العَوَاقِبُ»: جَمْعُ «عاقِبَةٍ»، وهِيَ ما يَؤُولُ إِلَيْه الأَمْرُ آخِرًا، وعاقِبَةُ كُلِّ شَيْءٍ: آخِرُه، و«الهَدْيُ»: ما يُهْدَى إلى الحَرَمِ مِنَ «النَّعَمِ»؛ وهِيَ الإِبِلُ غالِبًا.

الإعرابُ:

* «خَدَمْتُه»: -بِضَمِّ التَّاءِ- فِعْلٌ ماضٍ وفاعلٌ ومَفْعُولٌ، «بِمَدِيحٍ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«خَدَمْتُه».
* «أَسْتَقِيلُ»: بِفَتْحِ الهَمْزةِ، وكَسْرِ القافِ- فِعْلٌ مُضَارِعٌ، وفاعلُه ضَمِيرُ المُتَكَلِّمِ مُستَتِرٌ فيه وُجُوبًا، «به»: مُتَعَلِّقٌ بـ«أَسْتَقِيلُ»، والضَّمِيرُ لِلمَدِيحِ.
* «ذُنُوبَ»: -بِضَمِّ الذَّالِ المُعْجَمةِ - مَفْعُولُ «أَسْتَقِيلُ»، «عُمْرٍ»: -بِضَمِّ المُهْمَلَةِ، وسُكُونِ المِيمِ - مُضَافٌ إِلَيْه، «مَضَى»: -بِفَتْحِ الضَّادِ المُعْجَمةِ - فِعْلٌ ماضٍ، وفاعِلُه مُسْتَتِرٌ فِيه يَعُودُ إلى «عُمْرٍ»، والجُملةُ نَعْتٌ له.

* «فِي الشِّعْرِ»:- بكَسْرِ الشِّينِ المُعْجَمةِ، وسُكُونِ العَيْنِ المُهْمَلةِ - مُتَعَلِّقٌ بـ«مَضَى»، «الخِدَمِ»:- بكَسْرِ الخَاءِ المُعْجَمةِ، وفَتْحِ الدَّالِ المُهْمَلةِ - مَعْطُوفٌ عَلَى «الشِّعْرِ».

* «إِذْ»:- بِسُكُونِ الذَّالِ المُعْجمَةِ - تَعليلُ «أَسْتَقِيلُ»، «قَلَّدَانِيَ»:- بفَتْحِ القَافِ واللَّامِ والدَّالِ، وكَسْرِ النُّونِ، وفَتْحِ اليَاءِ - فِعْلٌ وفاعِلٌ ومَفْعُولٌ أَوَّلُ، وضَمِيرُ التثنِيَة- وهُوَ الأَلِفُ - يَعُودُ إلى «الشِّعْرِ والخِدَمِ».

* «مَا»: نَكِرَةٌ مَوْصُوفةٌ فِي مَوْضِعِ المَفْعُولِ الثَّانِي، أَيْ «أَمْرًا»، «تُخْشَى»:-بِضَمِّ التَّاءِ الفَوْقِيَّةِ، وسُكُونِ الخَاءِ وفَتْحِ الشِّينِ المُعْجَمَتَيْنِ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ مَبْنِيٌّ لِلمَفْعُولِ، «عَوَاقِبُه»: نائبُ الفاعِلِ، والجُملةُ نَعْتُ «ما»، ورابطُها الهَاءُ مِنْ «عَوَاقِبُهُ».

* «كَأَنَّنِي»: حَرْفُ تَشْبِيهٍ، ويَاءُ المُتَكَلِّمِ اسمُهَا «بِهِمَا»:- بِكَسْرِ المُوَحَّدةِ - حالٌ مِنَ اسمِ «كَأَنَّ»، «هَدْيٌ»:- بفَتْحِ الهَاءِ، وسُكُونِ الدَّالِ - خَبَرُ «كَأَنَّ»، «مِنَ النَّعَمِ»:-بِفَتْحَتَيْنِ- نَعْتُ «هَدْيٌ».

ومَعْنَى البيتَيْنِ:

مَدَحْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِمَدِيحٍ أَطْلُبُ مِنَ اللهِ تعالى أنْ يُقِيلَنِي به مِنْ أَوْزَارِ عُمْرٍ انقَضَى غالِبُه فِي إنشَادِ الشِّعْرِ والخِدَمِ لِأَبْنَاءِ الدُّنْيَا مِنَ المُلُوكِ وأصحابِ الدَّوْلةِ؛ فإنَّ الشِّعْرَ والخِدَمَ كَلَّفَانِي ارتِكَابَ أُمُورٍ مِنَ المَكَارِهِ تُخْشَى عَوَاقِبُها؛ كَأَنَّها قِلَادةٌ في عُنُقِي، وكَأَنِّي فِي التَّقْلِيدِ كالنَّعَمِ المُقَلَّدةِ لِلهَدْيِ إلى الحَرَمِ.

وفِي البيتِ الأَوَّلِ: رَدُّ العَجُزِ علَى الصَّدْرِ فِي قَوْلِه: «خَدَمْتُه» و«الخِدَمِ»، وفِي التشبيهِ بالهَدْيِ دَقِيقةٌ؛ وهِيَ أَنَّه خَشِيَ عَلَى نَفْسِه الهَلَاكَ المُتَوَقَّعَ لِلإِبِلِ المُقَلَّدةِ.

أَطَعْتُ غَيَّ الصِّبَا فِي الحالَتَيْنِ، وَمَا ... حَصَلْتُ إِلَّا عَلَى الآثَامِ والنَّدَمِ
فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِي تِجَارَتِهَا ... لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بالدُّنْيَا ولَمْ تَسُمِ
ومَنْ يَبِعْ آجِلًا مِنْه بِعَاجِلِهِ ... يَبِنْ لَهُ الغَبْنُ فِي بَيْعٍ وفِي سَلَمِ

«أَطَعْتُ»: امْتَثَلْتُ، و«الغَيُّ»: الضَّلَالُ، و«الصِّبَا»: حَدَاثَةُ السِّنِّ، و«الحالَتَيْنِ»: حالَةُ الشِّعْرِ، وحالَةُ الخِدَمِ، و«الآثَامِ»: الذُّنُوبُ، و«النَّدَمِ»: الحَسْرَةُ، و«الخَسَارَةُ»: ضِدُّ الرِّبْحِ، و«التِّجَارَةُ»: التَّقْلِيبُ في المَالِ لِطَلَبِ الرِّبْحِ، و«السَّوْمُ»: العَرْضُ لِلشِّرَاءِ، و«الآجِلُ»: -بِمَدِّ الهَمْزَةِ - ضِدُّ العاجِلِ، و«يَبِعْ»: يُعْطِي، و«يَبِنْ»: يَظْهَرُ، و«الغَبْنُ»: النَّقْصُ، و«السَّلَمُ»: صِنْفٌ مِنَ البَيْعِ.

الإعرابُ:

* «أَطَعْتُ»: -بِضَمِّ التَّاءِ- فِعْلٌ وفاعِلٌ، «غَيَّ»: -بِفَتْحِ الغَيْنِ المُعْجَمَةِ - مَفْعُولٌ به، «الصِّبَا»: مُضَافٌ إلَيْه، «فِي الحالَتَيْنِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ «أَطَعْتُ».

* «ومَا»: حَرْفُ نَفْيٍ «حَصَلْتُ»: فِعْلٌ وفاعِلٌ، «إلّا»: حَرْفُ إيجَابٍ، «عَلَى الآثَامِ»: -بِفَتْحِ الهَمْزَةِ المَمْدُودَةِ والمُثَلَّثَةِ - مُتَعَلِّقٌ بـ«حَصَلْتُ»، عَلَى الاستثناءِ المُفَرَّغِ، «والنَّدَمِ»: - بِفَتْحِ النُّونِ والدَّالِ المُهْمَلَةِ - مَعْطُوفٌ عَلَى «الآثَامِ».

* «فَيَا»: حَرْفُ نِدَاءٍ، «خَسَارَةَ نَفْسٍ»: مُنَادًى عَلَى طَرِيقِ التَّعَجُّبِ، أَيْ «ما أَخْسَرَ نَفْسًا»، «فِي تِجَارَتِهَا»: مُتَعَلِّقٌ بـ«خَسَارَةَ».

* «لَمْ تَشْتَرِ»: بالمُنَثَّاةِ فَوْقُ - جازِمٌ ومَجْزُومٌ، نَعْتُ «نَفْسٍ»، «الدِّينَ»: - بِكَسْرِ الدَّالِ المُهْمَلَةِ - مَفْعُولُ «تَشْتَرِ»، «بالدُّنْيَا»: مُتَعَلِّقٌ بـ«تَشْتَرِ»، «وَلَمْ تَسُمِ»: - بِضَمِّ السِّينِ المُهْمَلَةِ - مَعْطُوفٌ عَلَى «لَمْ تَشْتَرِ».

* «وَمَنْ»: - بِفَتْحِ المِيمِ - اسمُ شَرْطٍ مُبْتَدَأٌ، «يَبِعْ»: خَبَرُها، «آجِلًا»: - بِمَدِّ الهَمْزَةِ- مَفْعُولُ «يَبِعْ».

* «مِنْه»: نَعْتُ «آجِلًا»، والضَّمِيرُ لِـ«مَنْ»، «بِعَاجِلِه»: مُتَعَلِّقٌ بـ«يَبِعْ».

* «يَبِنْ»: -بِفَتْحِ اليَاءِ المُثَنَّاةِ تَحْتُ، وكَسْرِ المُوَحَّدَةِ - جَوَابُ الشَّرْطِ، «لَه»: مُتَعَلِّقٌ بـ«يَبِنْ»، «الغَبْنُ»: - بِفَتْحِ المُعْجَمَةِ، وسُكُونِ المُوَحَّدَةِ - فاعلُ «يَبِنْ»، «فِي بَيْعٍ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«الغَبْنُ»، «وَفِي سَلَمٍ»: - بِفَتْحِ السِّينِ واللّامِ - مَعْطُوفٌ عَلَى «فِي بَيْعٍ».

ومَعْنَى الأبْيَاتِ الثَّلَاثة:

امتَثَلْتُ أَمْرَ ضَلَالِ الصِّبَا فِي حالةِ اشتغَالِي بالشِّعْرِ وفي حالةِ اشتِغالِي بخِدَمِ النَّاسِ؛ فَمَا حَصَلَ لِي إلّا الإثمُ والنَّدَامةُ، فَمَا أَخْسَرَ نَفْسي في تجارَتِها؛ إذْ لَمْ تَأْخُذِ الدِّينَ بَدَلَ الدُّنيَا، ولَمْ تَتَعَرَّضْ لِأَخْذِه، بَلْ أَخَذَتِ الدُّنْيَا، وتَرَكَتِ الدِّينَ الَّذِي تَنْجُو به في الآخِرَةِ، ومَا مِثْلُها في الخَسَارةِ إلا مِثْلُ مَنْ باعَ عَيْنًا حاضِرَةً بِثَمَنٍ غائِبٍ؛ فإنَّه قَدْ يَتَخَلَّفُ الوَفَاءُ بالثَّمَنِ، فيُؤَدِّي إلى الغَبْنِ، سَوَاءٌ وَقَعَ العَقْدُ بِلَفْظِ البَيْعِ أَمْ بِلَفْظِ السَّلَمِ، فكَيْفَ مَنْ باعَ ما يَنْفَعُه آجِلًا بِمَا يَضُرُّه عاجِلًا؟! فإنَّه أَشَدُّ غَبْنًا!!

إنْ آتِ ذَنْبًا فَمَا عَهْدِي بِمُنْتَقِضٍ ... مِنَ النَّبِيِّ، ولَا حَبْلِي بِمُنْصَرِمِ

فَإنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَتِي ... مُحَمَّدًا، وَهْوَ أَوْفَى الخَلْقِ بالذِّمَمِ

«العَهْدُ»: المِيثَاقُ، و«نَقْضُ العَهْدِ»: عَدَمُ الوَفَاءِ به، و«الحَبْلُ»: الوَصْلُ، و«المُنْصَرِمُ»: المُنْقَطِعُ، و«الذِّمَّةُ»: الأَمَانُ - قالَه أَبُو عُبَيْدَةَ-، و«التَّسْمِيَةُ»: جَعْلُ الاسمِ عَلَمًا عَلَى الذَّاتِ، و«أَوْفَى»: اسمُ تَفْضِيلٍ مِنْ «وَفَى بالعَهْدِ»، إذَا راعَى مُقْتَضَاه، و«الذِّمَمِ»: جَمْعُ «ذِمَّةٍ».

الإعرابُ:

* «إنْ»:- بِكَسْرِ الهَمْزةِ، وسُكُونِ النُّونِ - حَرْفُ شَرْطٍ، «آتِ»:- بِمَدِّ الهَمْزةِ، وكَسْرِ التَّاءِ الفَوْقِيَّةِ - فِعْلُ الشَّرْطِ، وفاعلُه مُستَتِرٌ فِيه وُجُوبًا، «ذَنْبًا»:-بِفَتْحِ المُعْجَمةِ، وسُكُونِ النُّونِ - مَفْعُولُ «آتِ».

* «فَمَا»: حَرْفُ نَفْيٍ، «عَهْدِي»: اسمُها، «بِمُنْتَقِضٍ»:- بالقَافِ والضادِ المُعْجَمةِ - خَبَرُها، «مِنَ النَّبِيِّ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«مُنْتَقِضٍ».

* «ولا»: حَرْفُ نَفْيٍ، «حَبْلِي»: بِفَتْحِ الحَاءِ المُهْمَلةِ، وسُكُونِ المُوَحَّدةِ- اسمُها، «بِمُنْصَرِمٍ»:- بِضَمِّ المِيمِ، وفَتْحِ الصَّادِ وكَسْرِ الرَّاءِ المُهْمَلَتَيْنِ - خَبَرُها، والبَاءُ زائدةٌ فِي المَوضِعَيْنِ.

* «وجُمْلةُ»: «فَمَا عَهْدِي... إلى آخِرِه»: جَوَابُ الشَّرْطِ عَلَى إقَامةِ السَّبَبِ مَقَامَ المُسَبَّبِ، والأَصْلُ: «إنْ آتِ ذَنْبًا فإنِّي أَرْجُو سَتْرَه وغُفْرَانَه؛ لِأَنَّ عَهْدِي ثابِتٌ»، ولا يَصِحُّ جَعْلُها جَوَابًا أَصالةً لِفَسَادِ المَعْنَى؛ فإنَّ مَفْهُومَه أَنَّه إذَا لَمْ يَأْتِ ذَنْبًا فإنَّه يَنْتَقِضُ عَهْدُه، ولَيْسَ كذلكَ لِأَنَّ عَهْدَه ثابتٌ عَلَى كُلِّ حالٍ؛ سَوَاءٌ أَتَى ذَنْبًا أَمْ لا.

* «فإنَّ»: -بِكَسْرِ الهَمْزةِ، وتَشْدِيدِ النُّونِ- حَرْفُ تَوْكِيدٍ، «لِي»: خَبَرُها؛ مُقَدَّمٌ، «ذِمَّةً»: -بِكَسْرِ الذَّالِ المُعْجَمةِ- اسمُها؛ مُؤَخَّرٌ، «مِنْه»: نَعْتُ «ذِمَّةً»، والضَّمِيرُ لِلنبيِّ ﷺ.

* «بِتَسْمِيَتِي»: مُتَعَلِّقٌ بـ«ذِمَّةً»، والبَاءُ لِلسَّبَبِيَّةِ، و«تَسْمِيَتِي»: مَصْدَرٌ يَتَعَدَّى لِمَفْعُولَيْنِ، وهُوَ مُضَافٌ إلَى مَفْعُولِه الأَوَّلِ، وهُوَ يَاءُ المُتَكَلِّمِ، «مُحَمَّدًا»: مَفْعُولُه الثَّانِي.

* «وهْوَ أَوْفَى»: -بِفَتْحِ الهَمْزةِ والفَاءِ - مُبْتَدَأٌ وخَبَرٌ، «الخَلْقِ»: مُضَافٌ إلَيْه، «بالذِّمَمِ»: - بِكَسْرِ الذَّالِ المُعْجَمةِ، وفَتْحِ المِيمِ الأُولَى - مُتَعَلِّقٌ بـ«أَوْفَى».

ومَعْنَى البيتَيْنِ:

إنْ عُدْتُ بَعْدَ تَوْبَتِي وأَتَيْتُ ذَنْبًا فإنِّي أَرْجُو غُفْرَانَه؛ فإنَّ نَقْضِي التوبةَ لا يَنْقُضُ عَهْدِي مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، ولَا يَقْطَعُ سَبَبَ الوُصْلَةِ بِه؛ فإنَّ لِي أَمَانًا مِنه بِسَبَبِ تَسْمِيَتِي باسْمِه الشريفِ، وارتكابُ الذنْبِ لا يَقْطَعُ التسمِيَةَ فإنّه أَكْثَرُ الناسِ وَفَاءً بالعَهْدِ.

إنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَعَادِي آخِذًا بِيَدِي ... فَضْلًا، وإلَّا فَقُلْ يا زَلَّةَ القَدَمِ

حاشَاهُ أَنْ يُحْرِمَ الرَّاجِي مَكَارِمَهُ ... أَوْ يَرْجِعَ الجَارُ مِنْه غَيْرَ مُحْتَرَمِ

«المَعَادُ»: العَوْدُ إلَى دَارِ الجَزَاءِ، و«الأَخْذُ باليَدِ»: الخَلَاصُ مِنَ الشِّدَّةِ، و«الفَضْلُ»: التَّبَرُّعُ، و «زَلَّةَ القَدَمِ»: كِنَايَةٌ عَنِ الوُقُوعِ في الشِّدَّةِ، و«حاشَاهُ»: أَيْ تَنْزِيهَه، «أَنْ يُحْرِمَ»: أَيْ يَمْنَعَ، و«الرَّجَاءُ»: الطَّمَعُ فِي مُمْكِنِ الحُصُولِ، و«المَكَارِمُ»: جَمْعُ «مَكْرُمَةٍ»، والمُرَادُ بِهَا هُنَا الشَّفاعةُ، و«الجَارُ»: الدَّاخِلُ في الجِوَارِ، و«المُحْتَرَمُ»: المُوَقَّرُ.

الإعرابُ:

* «إنْ»: حَرْفُ شَرْطٍ «لَمْ»: حَرْفُ جَزْمٍ، «يَكُنْ»:- باليَاءِ المُثَنَّاةِ التحتِيَّةِ - مَجْزُومٌ بـ«لَمْ»، و «لَمْ يَكُنْ»: فِي مَحَلِّ جَزْمٍ بـ«إنْ»، واسمُ «يَكُنْ» مُسْتَتِرٌ فِيها يَعُودُ إلى النبيِّ ﷺ.

* «فِي مَعَادِي»: بِفَتْحِ الميمِ والعَيْنِ وكَسْرِ المُهْمَلَتَيْنِ - مُتَعَلِّقٌ بـ«يَكُنْ».

* «آخِذًا»:-بِهَمْزةٍ مَمْدُودةٍ، وبِخَاءٍ وذَال مُعْجَمَتَيْنِ - خَبَرُ «يَكُنْ»، «بِيَدِي»: مُتَعَلِّقٌ بـ«آخِذًا».

* «فَضْلًا»: مَفْعُولٌ لِأَجْلِه مَنْصُوبٌ بـ «آخِذًا».

* «وإلّا»: حَرْفُ شَرْطٍ مَقْرُونٌ بـ «لا» النافيةِ، وفِعْلُ الشَّرْطِ وجَوَابُه مَحْذُوفانِ، أَيْ «وإنْ كانَ آخِذًا بِيَدِي فُزْتُ»؛ لِأَنَّ نَفْيَ النَّفْيِ إثْبَاتٌ، والجُملةُ مُقْتَرِنةٌ بِوَاوِ الاعتِرَاضِ بَيْنَ الشَّرْطِ الأَوَّلِ وجَوَابِه؛ وفِي بَعْضِ الشُّرُوحِ تَقْدِيرُه: «وإنْ لَمْ يَكُنْ آخِذًا بِيَدِي»، وهُوَ تَوْكِيدٌ لِلشَّرْطِ الأَوَّلِ، وفِيه نَظَرٌ مِنْ جِهَةِ حَذْفِ الشَّرطِ، والعَطْفِ بالواوِ؛ فإنَّ الحَذْفَ يُنَافِي التَّوْكِيدَ، والعَطْفَ فِي توكيدِ الجُمَلِ خاصٌّ بـ «ثُمَّ»، والأَوَّلُ قالَه ابنُ مالكٍ، والثاني قالَه أَبو حَيَّانَ. ثُمَّ إنِّي سَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ بَيْنَ اليَقَظةِ والمَنَامِ: قَوْلُه «وإلّا»: زائدةٌ في الكَلَامِ.

* «فَقُلْ»: جَوَابُ الشَّرطِ الأَوَّلِ، «يا»: حَرْفُ نِدَاءٍ، «زَلَّةَ»:-بِفَتْحِ الزَّايِ- مُنادًى مَنْصُوبٌ، «القَدَمِ»:- بفَتْحِ الدَّالِ - مُضَافٌ إلَيْه، أَيْ يا زَلَّةَ القَدَمِ، تَعَالَيْ؛ فهَذَا أَوَانُكِ.

* «حَاشَاهُ»: مَصْدَرٌ مَنْصُوبٌ بِفِعْلٍ محذُوفٍ، والهَاءُ مُضَافٌ إلَيْها، والتقديرُ: «أُحاشِيه حاشًا»، أَيْ مُحاشَاةً، أيْ أُنَزِّهُه تَنْزِيهًا.

* «أَنْ»:-بِفَتْحِ الهَمْزةِ، وسُكُونِ النُّونِ - «يُحْرِمَ»:- بِضَمِّ أَوَّلِه، وكَسْرِ ثالثِه- مُضارِعُ «أَحْرَمَ» مَبْنِيٌّ لِلفاعِلِ، وفاعلُه مُستَتِرٌ فيه يَعُودُ إلى النبيِّ ﷺ.

* «الرّاجِي»:- بسُكُونِ اليَاءِ عَلَى لُغَةٍ - مَفْعُولُه الأَوَّلُ.

* «مَكَارِمَه»: مَفعولُه الثاني.

* «أوْ يَرْجِعَ»: بالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى «يُحْرِمَ».

* «الجَارُ»: -بالجِيمِ- فاعلُ «يَرْجِعَ»، «مِنْه»: مُتَعَلِّقٌ بـ«يَرْجِعَ»، والضميرُ لِلنبيِّ ﷺ.

* «غَيْرَ»: حالٌ مِنَ «الجَارُ»، «مُحْتَرَمٍ»: -بِفَتْحِ التَّاءِ والرّاءِ - مُضَافٌ إلَيْه.

ومَعْنَى البيتَيْنِ:

إنْ لَمْ يَكُنِ النبيُّ ﷺ في عَوْدِي يَوْمَ القِيَامةِ لِدَارِ الجَزَاءِ آخِذًا بِيَدِي فيَشْفَعَ لِي فَضْلًا مِنْه وإحسانًا إلَيَّ - وإلَّا- فَيَا زَلَّةَ قَدَمِي عَنِ الصراطِ المستقيمِ إلَى نارِ الجَحِيمِ، وإنْ كانَ كَمَا أَرْجُو فَرَوْحٌ ورَيْحَانٌ وجَنَّةُ نَعِيمٍ.

وحَاشَا قَدْرِه الجليلِ، أَنْ يُحْرِمَ الراجِيَ الذَّلِيلَ، كَرَمَه الجَزيلَ، وأَنْ يَرْجِعَ مَنِ الْتَجَأَ إلَى جِوَارِه المَنِيعِ وجَنَابِه الرَّفِيعِ، مَحرُومًا مِنْ نَوَالِه الوَسِيعِ.

وَمُنْـذُ أَلْزَمْـتُ أَفْـكَارِي مَدَائِحَـهُ ... وَجَدْتُـهُ لِخَلَاصِـي خَيْـرَ مُلْتَـزِمِ

وَلَـنْ يَفُـوتَ الغِنَـى مِنْـهُ يَـدًا تَرِبَـتْ ... إنَّ الحَيَـا يُنْبِـتُ الأزهـارَ فِـي الأَكَـمِ

وَلَـمْ أُرِدْ زَهْـرَةَ الدُّنْيَـا الَّتِـي اقْتَطَفَـتْ ... يَـدَا زُهَيْـرٍ بِمَـا أَثْنَـى عَلَـى هَـرِمِ

«أَلْزَمْتُ نَفْسِي الأَمْرَ»: أيْ جَعَلْتُها لازمةً له، و«الأفكارُ»: جَمْعُ «فِكْرٍ»، وهُوَ قُوَّةٌ في الإنسانِ يَحْصُلُ بِهَا التَّأَمُّلُ، و«المَدَائحُ»: جَمْعُ «مَدِيحةٍ»، لا جَمْعُ «مَدِيحٍ»؛ لِأَنَّ «فَعِيلًا» لا يُجْمَعُ عَلَى «فعائلَ»، و«التَزَمَ»: تَكَفَّلَ وأَوْجَبَ على نَفْسِه، و«فاتَه الشيءُ»: سَبَقَه؛ فلَمْ يُدْرِكْه، و«الغِنَى»: الاستغناءُ بالشَّفاعةِ عَنِ الأعمالِ، و«يَدًا تَرِبَتْ»: أي افتقَرَتْ، و«الحيا»: -بالقَصْرِ- المَطَرُ، و«الأزهَارَ»: جَمْعُ «زَهْرٍ»، و«الأكَمِ»: جَمْعُ «أَكَمَةٍ» -بفَتْحِ الكافِ - الرَّبْوَةُ.

و«زَهْرَةَ الدُّنْيَا»: نَعِيمُها، و«اقْتَطَفَتْ»جَنَتْ، و«زُهَيْرٍ»: هُوَ ابنُ أَبِي سُلْمَى -بِضَمِّ السِّينِ- المُزَنِيُّ، بالزَّايِ والنونِ، وكانَ يَمْدَحُ هَرِمَ بْنَ سِنَانٍ المُرِّيَّ -بالمُهْمَلَةِ- وهُوَ مِنْ

أَجْوَادِ مُلُوكِ العَرَبِ، حَصَلَ لِزُهَيْرٍ مِنْه عَطَايَا كثيرةٌ خارِجةٌ عَنِ العادَاتِ، ومِنْ مَدْحِه له قَوْلُه:

قِفْ بالدِّيَارِ الَّتِي لَمْ يَعْفُها القِدَمُ ... بَلَى وغَيَّرَها الأرواحُ والدِّيَمُ
إنَّ البَخِيلَ مَلُومٌ حيثُ كانَ ولَـ ... ـكِنَّ الجَوَادَ عَلَى عِلّاتِهِ هَرِمُ
هُوَ الجَوادُ الَّذِي يُعطيكَ نائِلَه ... عَفْوًا ويُظْلَمُ أحيَانًا فيَظْطَلِمُ
وإنْ أَتَاه خَلِيلٌ يَوْمَ مَسْغَبَةٍ ... يَقُولُ: لا غائِبٌ مالِي ولا حَرِمُ

الإعرابُ:

* «ومُنْذُ»: ظَرْفُ زَمَانٍ - لِدُخُولِها علَى الجُمْلةِ الفِعْلِيَّةِ - في مَحَلِّ نَصْبٍ بـ «وَجَدْتُ».
* «أَلْزَمْتُ»: بِضَمِّ التَّاءِ - فِعْلٌ وفاعلٌ، «أَفْكارِي»:- بِفَتْحِ الهَمْزةِ - مَفْعُولٌ أَوَّلُ لـ«أَلْزَمْتُ»، «مَدَائِحه»: مَفْعُولُه الثَّانِي.
* «وَجَدْتُه»:-بالجِيمِ- فِعْلٌ وفاعلٌ ومَفْعُولٌ أَوَّلُ، «لِخَلَاصِي»: مُتَعَلِّقٌ بـ«وَجَدْتُ».
* «خَيْرَ»: مِفْعُولٌ ثانٍ لِـ«وَجَدْتُ»، «مُلْتَزِمِ»:- بِكَسْرِ الزَّايِ عَلَى الرِّوَايَةِ الشَّهيرةِ- مُضَافٌ إلَيْه.
* «وَلَنْ يَفُوتَ»:- بالفَاءِ والمُثَنَّاةِ الفَوْقِيَّةِ - ناصِبٌ ومَنْصُوبٌ، «الغِنَى»:-بِكَسْرِ الغَيْنِ المُعْجَمةِ، وفَتْحِ النُّونِ- فاعلُ «يَفُوتَ»، «مِنْه»: مُتَعَلِّقٌ بـ«يَفُوتَ»، والهَاءُ لِلنَّبِيِّ ﷺ.
* «يَدًا»: بِفَتْحِ اليَاءِ التحتِيَّةِ - مَفْعُولُ «يَفُوتَ»، «تَرِبَتْ»:- بِفَتْحِ التَّاءِ الفَوْقِيَّةِ، وكَسْرِ الرَّاءِ، وفَتْحِ المُوَحَّدةِ - فِعْلٌ وفاعِلٌ، نَعْتُ «يَدًا».
* «إنَّ»: بِكَسْرِ الهَمْزةِ، وفَتْحِ النُّونِ المُشَدَّدةِ، «الحَيَا»:- بِفَتْحِ المُهْمَلةِ واليَاءِ المُثَنَّاةِ التحتِيَّةِ، والقَصْرِ - اسمُ «إنَّ».
* «يُنْبِتُ»: بِضَمِّ اليَاءِ التحتِيَّةِ وسُكُونِ النُّونِ وكَسْرِ المُوَحَّدةِ - فِعْلٌ مُضَارِعٌ وفاعلُه

مُسْتَتِرٌ فِيه يَعُودُ إلى «الحَيَا»، «الأَزْهَارَ»:-بِفَتْحِ الهَمْزةِ وسُكُونِ الزَّايِ - مَفْعُولٌ به، «فِي الأَكَمِ»:-بفَتْحَتَيْنِ - مُتَعَلِّقٌ بـ «يُنْبِتُ».

* «وَلَمْ أُرِدْ»:- بِضَمِّ الهَمْزةِ، وكَسْرِ الرَّاءِ - فِعْلٌ وفاعلُه ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ فِيه وُجُوبًا.

* «زَهْرَةَ»:- بِفَتْحِ الزَّايِ - مَفْعُولٌ به، «الدُّنْيَا»: مُضَافٌ إلَيْها.

* «الَّتِي»: اسمٌ مَوْصُولٌ، «اقْتَطَفَتْ»: صِلَةُ «الَّتِي»، وعائدُها مَحْذُوفٌ، أي «اقْتَطَفَها».

* «يَدَا»: فاعلُ «اقْتَطَفَتْ»، وحُذِفَتِ النُّونُ لِلإضافةِ؛ بِنَاءً على أنّه مُثَنًّى، ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ مُفْرَدًا مَقْصُورًا على لُغَةِ مَنْ قالَ:

يَـا رُبَّ سَـارٍ بَـاتَ مَـا تَوَسَّـدَا ... إلّا ذِرَاعَ العِيـسِ أَوْ كَـفَّ اليَـدَى

* «زُهَيْرٍ»:-بِضَمِّ الزّايِ، وفَتْحِ الهَاءِ - مُضَافٌ إلَيْه.

* «بِمَا»: البَاءُ لِلسَّبَبِيّةِ، مُتَعَلِّقٌ بـ«اقْتَطَفَتْ»، و «ما»: حَرْفٌ مَوْصُولٌ.

* «أَثْنَى»:- بِفَتْحِ الهَمْزةِ، وسُكُونِ المُثَلَّثةِ، وفَتْحِ النُّونِ- فِعْلٌ ماضٍ، وفاعِلُه مُسْتَتِرٌ فيه يَعُودُ إلى «زُهَيْرٍ»، والجُمْلةُ صِلَةُ «ما».

* «عَلَى هَرِمٍ»:- بِفَتْحِ الهَاءِ، وكَسْرِ الرّاءِ - مُتَعَلِّقٌ بـ«أَثْنَى».

ومَعْنَى الأبْيات الثّلاثة:

ومُنْذُ أَلْزَمْتُ أفكارِي مَدائحَه وجَدْتُه خَيْرَ مُلْتَزِمٍ لَخَلَاصي مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وعطَايَاه لا تَفُوتُ يَدَ فَقِيرٍ ذِي فاقَةٍ؛ فإنَّ المَطَرَ إذَا نَزَل إلى الأرضِ عَمَّ الصالحَ مِنْها وغَيْرَ الصالحِ، وأَنْبَتَ الرَّيَاحِينَ والأزهارَ على رُؤُوسِ المَنَازِلِ وأطْرَافِ الرَّوَابِي، وأَنَا - على فَقْرِي ومَسِيسِ حاجَتِي - ما أُرِيدُ علَى مَدْحِه شَيْئًا مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا مِثْلَ ما حَصَلَ لِزُهَيرٍ مِنْ هَرِمِ بنِ سنَانٍ بِسَبَبِ ثَنائِه عَلَيْه حَيثُ مَدَحَه لِحُطَامِ الدنيا الفانِيَةِ؛ وإنَّمَا أُرِيدُ الشفاعةَ، مِنْ وِزْرِ البِضَاعةِ.

الفصل العاشر في المناجاة وعرض الحاجات

يا أَكْرَمَ الخَلْقِ، مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِه ... سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الحادِثِ العَمِمِ
ولَنْ يَضِيقَ - رَسولَ اللهِ - جاهُكَ بِي ... إذَا الكَرِيمُ تَحَلَّى باسْمِ مُنْتَقِمِ
فَإنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وضَرَّتَها ... وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللَّوْحِ والقَلَمِ

«أَلُوذُ»: أَلْتَجِئُ، «سِوَاكَ»: غَيْرُكَ، و«حُلُولِ الحادِثِ العَمِمِ»: وُقُوعُ هَوْلِ يَوْمِ القِيَامةِ الشامِلِ لِجَمِيعِ الخَلْقِ، و«الجَاهُ»: العِزُّ، و«الكَرِيمُ»: أي الخَالِقُ جَلَّتْ عَظَمَتُه، وتعالَى شأنُه، و«تَحَلَّى»:- بالمُهْمَلةِ - أي اتَّصَفَ، والمُرَادُ: أَوْقَعَ الانتِقامَ؛ لِأَنَّ التَّحْلِيَةَ تَجَدُّدُ الصِّفَةِ، وهِيَ في حَقِّ اللهِ تعالى مُحَالٌ، و«المُنْتَقِمُ»: المُعاقِبُ لِمَنْ عَصَاه، و«ضَرَّةُ المرأةِ»: امرَأةُ زَوْجِهَا؛ سُمِّيَتْ بذلكَ لِمَا بَيْنَهُما مِنْ ضَرَرِ المُعاشَرةِ، فَلَا تَكَادَانِ تَجْتَمِعانِ عَلَى أَمْرٍ واحِدٍ، كَمَا أَنَّ الدنيا والآخِرةَ ضَرَّتَانِ؛ لِأَنَّهُمَا لا تَجْتَمِعانِ لِطالِبٍ واحِدٍ لِمَا بَيْنَهُما مِنَ التَّنَافِي، و«العُلُومُ»: جَمْعُ «عِلْمٍ»، وإنَّمَا جُمِعَ باعتِبَارِ أنواعِه، ولِلنّاسِ أَقْوَالٌ شَتَّى في حقيقةِ اللَّوْحِ والقَلَمِ، والمُرَادُ هُنَا عِلْمُ ما كَتَبَه القَلَمُ وثَبَتَ في اللَّوْحِ.

الإعرابُ:

* «يا»: حَرْفُ نِدَاءٍ، «أَكْرَمَ الخَلْقِ»: مُنَادًى مَنْصُوبٌ ومُضَافٌ إلَيْه.
* «ما»: حَرْفُ نَفْيٍ «لي»: خَبَرٌ مُقَدَّمٌ، «مَنْ»:- بِفَتْحِ المِيمِ - مُبتدأٌ مُؤَخَّرٌ، وهُوَ نَكِرَةٌ مَوْصُوفةٌ بِمَعْنَى «أَحَدٍ»، «أَلُوذُ»:- بِفَتْحِ الهَمْزةِ، وضَمِّ اللَّامِ، وبالذّالِ المُعْجَمةِ- فِعْلٌ مُضَارِعٌ، وفاعلُه ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ فِيه وُجُوبًا، «به»: مُتَعَلِّقٌ بـ«أَلُوذُ»، والجُملةُ صِفَةُ «مَنْ»، وعائدُها الهاءُ مِن «به».

* «سِوَاكَ»:- بِكَسْرِ السِّينِ، والقَصْرِ - بَدَلٌ مِنَ النَّكِرةِ، أَوْ صِفَةٌ ثانِيَةٌ لَهَا، أَيْ غَيْرُكَ، أَوْ ظَرْفُ مَكَانٍ، أَيْ مكانَكَ.

* «عِنْدَ»: مَنْصُوبٌ بِمَا فِي «لِي» مِن مَعْنَى الاستقرارِ، «حُلُولِ»:- بِضَمِّ المُهْمَلةِ واللَّامِ الأُولَى - مُضَافٌ إِلَيْه ومُضَافٌ أيضًا، «الحادِثِ»:- بالمُهْمَلةِ والمُثَلَّثَة - مُضَافٌ إِلَيْه، «العَمِمِ»:- بِفَتْحِ المُهْمَلةِ، وكَسْرِ المِيمَيْنِ- نَعْتُ «الحادثِ».

* «ولَنْ يَضِيقَ»: بِفَتْحِ اليَاء المُثَنَّاةِ التحتِيّةِ، وكَسْرِ الضَّادِ المُعْجَمةِ - ناصِبٌ ومَنْصُوبٌ.

* «رَسُولَ اللهِ»:- بالنَّصْبِ- مُنادًى مُضَافٌ سَقَطَ مِنْه حَرْفُ النِّداءِ.

* «جَاهُكَ»:- بالجِيمِ وضَمِّ الهَاءِ- فاعلُ «يَضِيقَ»، ومَا بَيْنَهُما اعتِرَاضٌ، «بِي»: بِكَسْرِ المُوَحَّدةِ - مُتَعَلِّقٌ بـ«يَضِيقَ».

* «إِذَا»: - بِكَسْرِ الهَمْزةِ، وفَتْحِ الذَّالِ المُعْجَمةِ - ظَرْفٌ لِمَا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ، «الكَرِيمُ»: فاعلُ فِعْلٍ مَحذُوفٍ يُفَسِّرُه «تَحَلَّى»، والتقديرُ: إِذَا تَحَلَّى الكَرِيمُ، عَلَى حَدِّ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: 1].

* «تَحَلَّى»:- بِفَتْحِ المُثَنَّاةِ الفَوْقِيّةِ والحاءِ المُهْمَلةِ واللَّامِ المُشَدَّدةِ - فِعْلٌ ماضٍ، وفاعلُه مُستَتِرٌ فِيهِ يَعُودُ إِلى «الكَرِيمُ»، ويُرْوَى «إِذْ»، بِسُكُونِ الذّالِ، و«الكَرِيمُ» على هذا مُبتدأٌ، و«تَحَلَّى»: خَبَرُه.

* «باسْمِ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«تَحَلَّى»، «مُنْتَقِمِ»:- بكَسْرِ القافِ- مُضَافٌ إِلَيْه.

* «فإِنَّ»: حَرْفُ تَوْكِيدٍ، «مِنْ جُودِكَ»:- بِضَمِّ الجِيمِ- خَبَرُها، مُقَدَّمٌ، «الدنْيَا»: اسمُها مُؤَخَّرٌ.

* «وضَرَّتَها»:-بفَتْحِ الضّادِ المُعجَمةِ، والمُثَنّاةِ الفَوْقِيّةِ- مَعْطُوفٌ علَى «الدُّنْيَا».

* «ومِنْ عُلُومِكَ»: مَعْطُوفٌ علَى «مِنْ جُودِكَ».

* «عِلْمَ»:- بِكَسْرِ العَيْنِ، ونَصْبِ المِيمِ - مَعْطُوفٌ عَلَى «الدنيا»، مِنْ عَطْفِ الاسمِ عَلَى الاسمِ والخَبَرِ عَلَى الخَبَرِ، وكَرَّرَ «مِنْ» هَرَبًا مِنَ العَطْفِ على مَعْمُولَيْ عامِلَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، ويَحتَمِلُ أنْ يَكُونَ «عِلْمَ» مَرفُوعًا عَلَى الابتداءِ، تَقَدَّمَ خَبَرُه في المَجرورِ قَبْلَه، والجُملةُ مستأنَفةٌ، والأَوَّلُ أَوْلَى لِمَا فِيه مِنَ التأكيدِ بـ «إنَّ»، «اللَّوْحِ»:- بالمُهمَلةِ - مُضَافٌ إلَيْه.

* «والقَلَمِ»: بِفَتْحِ القافِ واللّامِ - مَعْطُوفٌ علَى «اللَّوْحِ».

ومَعْنَى الأبْيَاتِ الثَّلاثةِ:

يا أَكرَمَ كُلِّ مَخلوقٍ، ما لِي أَحَدٌ غَيْرُكَ أَلْتَجِئُ إلَيْه يَوْمَ القِيَامةِ مِنْ هَوْلِه العَمِيمِ، والخَلْقُ مُتطاوِلُونَ إلَى جاهِكَ الرَّفِيعِ، وجَنابِكَ المَنِيعِ، ولَنْ يَضِيقَ بِي جاهُكَ - يا رَسُولَ اللّهِ - إذَا اشْتَدَّ الأَمْرُ، وعِيلَ الصَّبْرُ، وانتَقَمَ اللّهُ تعالى مِمَّنْ عَصَاه؛ فإنَّكَ أَعْظَمُ الخَلْقِ على اللّهِ تعالى، وخَيْرِي الدُّنْيَا والآخِرةِ مِنْ جُودِكَ، وعِلْمِي اللَّوْحِ والقَلَمِ مِنْ عِلْمِكَ، وأَنْتَ الحَقِيقُ بذلكَ، والمُعَوَّلُ في الشفاعةِ عَلَيْكَ، ولا أَقْطَعُ رَجَائِي مِنْكَ، وأَقُولُ:

يـا نَفْـسِ لا تَقْنَطِـي مِـنْ زَلَّـةٍ عَظُمَـتْ ... إنَّ الكَبَائِـرَ فـي الغُفْـرَانِ كاللَّمَـمِ

لَعَـلَّ رَحْمَـةَ رَبِّـي حِيـنَ يَقْسِـمُها ... تَأْتِي علَى حَسَبِ العِصْيَانِ في القِسَمِ

«القُنُوطُ» اليَأْسُ، و«الزَّلَّةُ»: الذَّنْبُ الشاملُ لِلكَبِيرِ والصَّغِيرِ، و«عَظُمَتْ»: أَيْ كَبُرَتْ، و«الكَبَائِرَ»: جَمْعُ «كَبِيرةٍ»، و«الغُفْرانِ»: المَغْفِرةُ، و«اللَّمَمِ»: صِغَارُ الذُّنُوبِ، و«حَسَبِ»:- بفَتْحِ السِّينِ- القَدْرُ، و«العِصْيَانِ»: ضِدُّ الطاعةِ؛ يَشمَلُ الصغائرَ والكَبائرَ، و«القِسَمِ»: جَمْعُ «قِسْمةٍ»، وهِيَ ما يَقْسِمُه اللّهُ تعالى لِخَلْقِه.

الإعرابُ:

* «يا»: حَرْفُ نِدَاءٍ، «نَفْسِ»:- بكَسْرِ السِّينِ - مُنَادًى مُضَافٌ لِيَاءِ المُتَكَلِّمِ، حُذِفَ المُضَافُ إلَيْه، واكْتَفَى بالكَسْرَةِ، وإنْ قُرِئَ بالضَّمِّ فهُوَ لُغَةٌ قَلِيلةٌ؛ إلّا أنْ تَكُونَ نَكِرةً مَقْصودةً.

* «لا»: حَرْفُ نَهْيٍ، «تَقْنِطِي»:- بِكَسْرِ النُّونِ- مَجْزُومٌ بـ«لا» وعلَامةُ جَزْمِه حَذْفُ النُّونِ.

* «مِنْ زَلَّةٍ»:-بِفَتْحِ الزَّايِ- مُتَعَلِّقٌ بـ«تَقْنِطِي»، «عَظُمَتْ»:- بِضَمِّ الظَّاءِ المُعْجَمةِ- نَعْتُ «زَلَّةٍ».

* «إنَّ الكَبَائِرَ»: إنَّ واسمُها، «فِي الغُفْرَانِ»: مُتَعَلِّقٌ بِمَا تَعَلَّقَ به خَبَرُ «إنَّ»، «كاللَّمَمِ»:- بِفَتْحِ اللَّامِ والمِيمِ الأُولَى - خَبَرُ «إنَّ»؛ فَيَتَعَلَّقُ بالاستِقْرَارِ.

* «لَعَلَّ»: حَرْفُ تَرَجٍّ، «رَحْمَةَ»: اسمُهَا، «رَبِّي»: مُضَافٌ إلَيْه.

* «حِينَ»: ظَرْفُ زَمَانٍ مَنْصُوبٌ بـ«تَأْتِي»، «يَقْسِمُهَا»: فِعْلٌ وفاعِلٌ ومَفْعُولٌ فِي مَوْضِعِ جَرٍّ بإضافةِ «حِينَ» إلَيْهَا.

* «تَأْتِي»: خَبَرُ «لَعَلَّ»، «عَلَى حَسَبٍ»:- بِفَتْحِ الحَاءِ والسِّينِ المُهْمَلَتَيْنِ - مُتَعَلِّقٌ بـ «تَأْتِي»، «العِصْيَانِ»:- بِكَسْرِ العَيْنِ وسُكُونِ الصَّادِ، المُهْمَلَتَيْنِ - مُضَافٌ إلَيْه، «فِي القِسَمِ»:- بكَسْرِ القَافِ وفَتْحِ السِّينِ - مُتَعَلِّقٌ بـ«حَسَبٍ».

ومَعْنَى البيتَيْنِ:

يا نَفْسِ، لا تَيْئَسي مِنْ مَغْفِرَةِ ذَنْبٍ كَبِيرٍ؛ إنّ الذُّنوبَ الكبائرَ كالذُّنوبِ الصَّغائرِ في جَوَازِ الغُفْرَانِ، قالَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء : 48]، لَعَلَّ رَحمةَ رَبِّي إذا قَسَمَها تَأْتِي علَى قَدْرِ العِصْيَانِ، فتَعُمُّ الكبائرَ والصغائرَ، وأنَا ذَنْبِي كَبِيرٌ، فأَرْجُو أنْ يَكُونَ نَصِيبَه مِنَ الرَّحْمَةِ بِقَدْرِه.

يَا رَبِّ واجْعَلْ رَجَائِي غَيْرَ مُنْعَكِسٍ ... لَدَيْكَ واجْعَلْ حِسَابِي غَيْرَ مُنْخَرِمِ

والْطُفْ بِعَبْدِكَ فِي الدّارَيْنِ إنَّ لَهُ ... صَبْرًا مَتَى تَدْعُهُ الأَهْوالُ يَنْهَزِمِ

«الرَّجَاءُ»:- بالمَدِّ- الأَمَلُ، و«غَيْرَ مُنْعَكِسٍ»: أيْ غَيْرَ مُخَالِفٍ لِظَنِّي بِكَ، و«الحِسَابُ» هُنَا: الاعتِقَادُ، و«المُنْخَرِمُ»: المُنْقَطِعُ، و«الْطُفْ»: أي ارْفُقْ، «في

الدارَيْنِ»: أيْ دارِ الدُّنْيَا والآخرةِ، و«الأَهْوَالُ»: جَمْعُ «هَوْلٍ»؛ وهُوَ الأَمْرُ العَظِيمُ المَشَقَّةِ، و«الانهِزَامُ»: الهَرَبُ.

الإعرابُ:

* «يا رَبِّ»:- بحَذْفِ ياءِ المُتَكَلِّمِ، والاجْتِزَاءِ بالكَسْرِ- مُنَادًى، «واجْعَلْ رَجَائِي»:- بالمَدِّ- جُمْلةٌ مَعْطُوفةٌ عَلَى جُمْلةٍ مُقَدَّرةٍ قَبْلَها، والتقديرُ: «يا رَبِّ، حَقِّقْ ظَنِّي، واجْعَلْ رَجَائِي».
* «غَيْرَ»:- بالنَّصْبِ - مَفْعُولٌ ثانٍ لِـ «اجْعَلْ»، «مُنْعَكِسٍ»: مُضَافٌ إلَيْه، «لَدَيْكَ»:-بِفَتْحِ الدّالِ المُهْمَلةِ - مُتَعَلِّقٌ بـ «مُنْعَكِسٍ».
* «واجْعَلْ»: فِعْلٌ وفاعِلٌ، «حِسَابِي»: مَفْعُولُه الأَوَّلُ، «غَيْرَ»: مَفْعُولُه الثَّانِي، «مُنْخَرِمٍ»: بِفَتْحِ الخاءِ المُعْجَمةِ، وكَسْرِ الرَّاءِ- مُضَافٌ إلَيْه.
* «والْطُفْ»:-بِضَمِّ الطَّاءِ- مَعْطُوفٌ عَلَى «اجْعَلْ»، «بِعَبْدِكَ، فِي الدارَيْنِ»: مُتَعَلِّقَانِ بـ«الْطُفْ».
* «إنَّ لَهُ»: إنَّ وخَبَرُها، «صَبْرًا»:- بِفَتْحِ الصَّادِ المُهْمَلةِ، وسُكُونِ المُوَحَّدةِ- اسمُها.
* «مَتَى»:- بِفَتْحِ المُثَنَّاةِ الفَوْقِيَّةِ- ظَرْفُ زَمَانٍ مُتَضَمِّنٌ مَعْنَى الشَّرْطِ، يَجْزِمُ فِعْلَيْنِ، مَنْصُوبٌ بـ «تَدْعُهُ».
* و«تَدْعُه»: مَجْزُومٌ به، وعَلَامةُ جَزْمِه حَذْفُ الواوِ «الأَهْوَالُ»: فاعلُ «تَدْعُهُ»، «يَنْهَزِمِ»:-بِكَسْرِ الزَّايِ - جَوَابُ «مَتَى»، وكُسِرَ حَرْفُ الرّوِيِّ لِلقَافِيَةِ.

ومَعْنَى البيتَيْنِ:

يا رَبِّ، واجْعَلْ ما أَمَلْتُه فِيكَ غَيْرَ مُخالِفٍ له، واجْعَلْ ما اعتَقَدْتُه فِيكَ مِنَ العَفْوِ غَيْرَ مُنْخَرِمٍ عِنْدَكَ؛ فإنَّكَ وَعَدْتَنِي بالإجابةِ، وقُلْتَ: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60]، وارفُقْ بِعَبْدِكَ في الدنيا والآخِرةِ فِيمَا قَدَّرْتَه عَلَيْه فِيهِمَا؛ فإنَّ له صَبْرًا ضَعِيفًا لا يُقِيمُ عَلَى مُقَاسَاةِ الأَهْوَالِ والشَّدَائِدِ، فمَتَى تَدْعُه الأَهْوَالُ لِمُلَاقاتِها يَنْهَزِمْ مِنْها مِنْ أَوَّلِ الأَمْرِ، ولا يُقابِلْهَا، فهُوَ مُفْتَقِرٌ إلَى اللُّطْفِ به والإحسانِ إلَيْه.

وأْذَنْ لِسُحْبٍ صَلَاةٍ مِنْكَ دائمَةٍ عَلَى النَّبِيِّ بمُنْهَلٍّ ومُنْسَجِمِ
ما رَنَّحَتْ عَذَبَاتِ البَانِ رِيحُ صَبًا وأَطْرَبَ العِيسَ حادِي العِيسِ بالنَّغَمِ

«وأْذَنْ»: أي ائْمُرْ، «السُّحْبُ»: جَمْعُ سَحَابٍ، وهُو الغَيْمُ، و«الصَّلَاةُ عَلَى الأنبِيَاءِ»: طَلَبُ مَزِيدِ الرَّحْمةِ والكَرَامةِ لَهُم؛ ويُكْرَهُ إفرادُها عَنِ السَّلَامِ نَثْرًا وشِعْرًا وخَطًّا، و«انْهَلَّ المَطَرُ»: سَالَ بِشِدَّةٍ، و«انْسَجَمَ»: سَالَ بِشِدَّةٍ وغَيْرِها.

و«رَنَّحَتِ الرِّيحُ الغُصْنَ»: أَمَالَتْه، و«عَذَبَاتِ البَانِ» أَغْصَانُه، و«البَانِ»: نَوْعٌ مِنَ الشَّجَرِ لَه أَغْصَانٌ لَطِيفَةٌ، وهُوَ المُسَمَّى بـ«الخِلَافِ» - بالتَّخْفِيفِ، و«الصَّبَا»: الرِّيحُ الشَّرْقِيَّةُ؛ سُمِّيَتْ «صَبَا» لِأَنَّهَا تُقَابِلُ بِهُبُوبِها بابَ الكَعْبَةِ كَأَنَّهَا تَصْبُو إِلَيْها، وتُسَمَّى «القَبُولَ»، ويُقَابِلُها «الدَّبُورُ».

و«الطَّرَبُ»: الخِفَّةُ الحاصِلَةُ مِنْ شِدَّةِ السُّرُورِ مُقْتَضِيَةً لِلْهِزَّةِ والحَرَكَةِ، و«العِيسَ»: جَمْعُ «الأَعْيَسِ»، وهِيَ الإِبِلُ الَّتِي يُخالِطُ بَيَاضَها الشُّقْرَةُ، وقِيلَ: هِيَ كَرَائِمُ الإِبِلِ، و«حادِيها»: هُوَ الَّذِي يَسُوقُها، و«الحَدْوُ»: سَوْقُ الإِبِلِ، و«الحُدَاءُ» :- بالمَدِّ مَعَ ضَمِّ الحاءِ وكَسْرِها - الغِنَاءُ لَها، قالَ الشاعرُ:

فَغَنِّهَا وَهْيَ لَكَ الفِدَاءُ إِنَّ غِنَاءَ الإِبِلِ الحُدَاءُ

و«النَّغَمِ»: الصَّوْتُ الحَسَنُ، يُقَالُ: فُلَانٌ حَسَنُ النَّغَمِ، أَيْ حَسَنُ الصَّوْتِ، و«النَّغْمَةُ»: فِي الفَمِ: صَوْتٌ يُقْصَدُ بِهِ الإِطْرَابُ.

الإعرابُ:

* «وأْذَنْ»:- بِسُكُونِ الهَمْزَةِ، وفَتْحِ المُعْجَمَةِ - فِعْلٌ وفاعِلٌ.
* «لِسُحْبٍ»:- بِضَمِّ السِّينِ، وسُكُونِ الحَاءِ، المُهْمَلَتَيْنِ - مُتَعَلِّقٌ بـ«ائْذَنْ»، «صَلَاةٍ» مُضَافٌ إِلَيْها، «مِنْكَ»: نَعْتُ «صَلَاةٍ»، «دائمةٍ» بالجَرِّ: نَعْتُ «صَلَاةٍ»، وبالنَّصْبِ: حالٌ مِنْها.
* «عَلَى النَّبِيِّ»: مُتَعَلِّقٌ بـ«دائمةٍ»، لا بـ«صَلَاةٍ»؛ لِأَنَّ المَصْدَرَ المَنْعُوتَ قَبْلَ العَمَلِ لا يَعْمَلُ.

* «بِمُنْهَلٍ»:-بِضَمِّ المِيمِ، وفَتْحِ الهَاءِ، وتَشْدِيدِ اللَّامِ- نَعْتُ «سُحْبٍ»؛ عَلَى تَقْدِيرِ مَوْصُوفٍ بَيْنَ الجَارِّ والمَجْرُورِ، أَيْ «بِمَطَرٍ مُنْهَلٍ»، والبَاءُ لِلمُصاحَبَةِ.

* «ومَنْسَجِمٍ»:-بِضَمِّ المِيمِ، وسُكُونِ النُّونِ، وفَتْحِ السِّينِ، وكَسْرِ الجِيمِ - مَعْطُوفٌ عَلَى «مُنْهَلٍ».

* «مَا»: مَصْدَرِيَّةٌ ظَرْفِيَّةٌ، «رَنَّحَتْ»: بِفَتْحِ الرّاءِ، والنُّونِ المُشَدَّدةِ، والحَاءِ المُهْمَلةِ- فِعْلٌ ماضٍ وتاءُ تأنيثٍ.

* «عَذَبَاتِ»:-بِفَتْحِ العَيْنِ المُهْمَلةِ والذّالِ المُعْجَمةِ والبَاءِ المُوَحَّدةِ، وكَسْرِ التَّاءِ الفَوْقِيَّةِ- مَفْعُولُ «رَنَّحَتْ»، «الْبَانِ»:- بالمُوَحَّدةِ - مُضَافٌ إلَيْه.

* «رِيحُ»: بِكَسْرِ الرّاءِ، وسُكُونِ المُثَنَّاةِ التَّحتِيَّةِ- فاعِلُ «رَنَّحَتْ»، «صَبًا»:-بِفَتْحِ الصّادِ المُهْمَلةِ والباءِ المُوَحَّدةِ، والقَصْرِ - مُضَافٌ إلَيْه؛ مِنْ إضافةِ العامِّ إلى الخاصّ.

* «وَأَطْرَبَ»:-بِفَتْحِ الهَمْزةِ، وسُكُونِ الطّاءِ، وفَتْحِ الرّاءِ والبَاءِ المُوَحَّدةِ- مَعْطُوفٌ عَلَى «رَنَّحَتْ»، «العِيسَ»:- بِكَسْرِ العَيْنِ المُهْمَلةِ، وسُكُونِ اليَاءِ التحتِيَّةِ، وبالسِّينِ المُهْمَلةِ - مَفْعُولُ «أَطْرَبَ».

* «حَادِي»:- بِفَتْحِ الحاءِ وكسْرِ الدالِ، المُهْمَلتَيْنِ - فاعِلُ «أَطْرَبَ»، «العِيسِ»: وفِي نُسخةٍ: «الرَّكْبِ» - مُضَافٌ إلَيْه.

* «بالنَّغَمِ»: بِفَتْحِ النُّونِ والغَيْنِ المُعْجَمةِ - مُتَعَلِّقٌ بـ«أَطْرَبَ»، والبَاءُ لِلاستعانةِ.

ومَعْنَى البَيْتَيْنِ:

يَا مَنْ هُوَ الرَّبُّ اللَّطِيفُ بِعِبَادِهِ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَأْمُرَ بِسُحْبِ الصَّلَوَاتِ والتَّسليماتِ الدَّائِمَاتِ عَلَى نَبِيِّكَ محمدٍ ﷺ الَّذِي جَمَعْتَ فِيه بَيْنَ المَكَارِمِ والخَيْرَاتِ بحَذافِيرِهَا، وجَعَلْتَه حائزَ الفَضَائِلِ كَبِيرِها وصَغِيرِها، ما دامَتِ الصَّبَا تُمِيلُ أَغْصَانَ البَانِ، ومَا دامَ الحَادِي يُطْرِبُ العِيسَ بالنَّغَمِ والألحَانِ، ويُذَكِّرُها العَهْدَ بالحِمَى والأَوْطَانِ، فإنَّكَ أَمَرْتَنَا بالصَّلَاةِ والسَّلَامِ عَلَيْه قَدِيمًا، فَقُلْتَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

محتويات الكتاب

مقدمة	3
البوصيري وبردته	4
عناصر البردة	4
المتشددون والبوصيري	6
شروح البردة	8
التعريف بالشيخ خالد الأزهري	16
إعراب البردة	17
العمل والمنهج	19
صور المخطوط	20
مقدمة الشارح	34
الفصل الأول: في الغزل وشكوى الغرام	35
الفصل الثاني: في التحذير من هوى النفس	46

الفصل الثالث: في مدح النبى ﷺ	58
الفصل الرابع: في مولده ﷺ	78
الفصل الخامس: في معجزاته ﷺ	89
الفصل السادس: في شرف القرآن ومدحه	103
الفصل السابع: في إسرائه ومعراجه ﷺ	116
الفصل الثامن: في جهاد النبي ﷺ	125
الفصل التاسع: في التوسل برسول الله ﷺ	143
الفصل العاشر: في المناجاة وعرض الحاجات	152